المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب



المرأة في السيرة الذاتية السعودية

" قضاياها وتشكيلاتها "

بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير في الأدب

إعداد

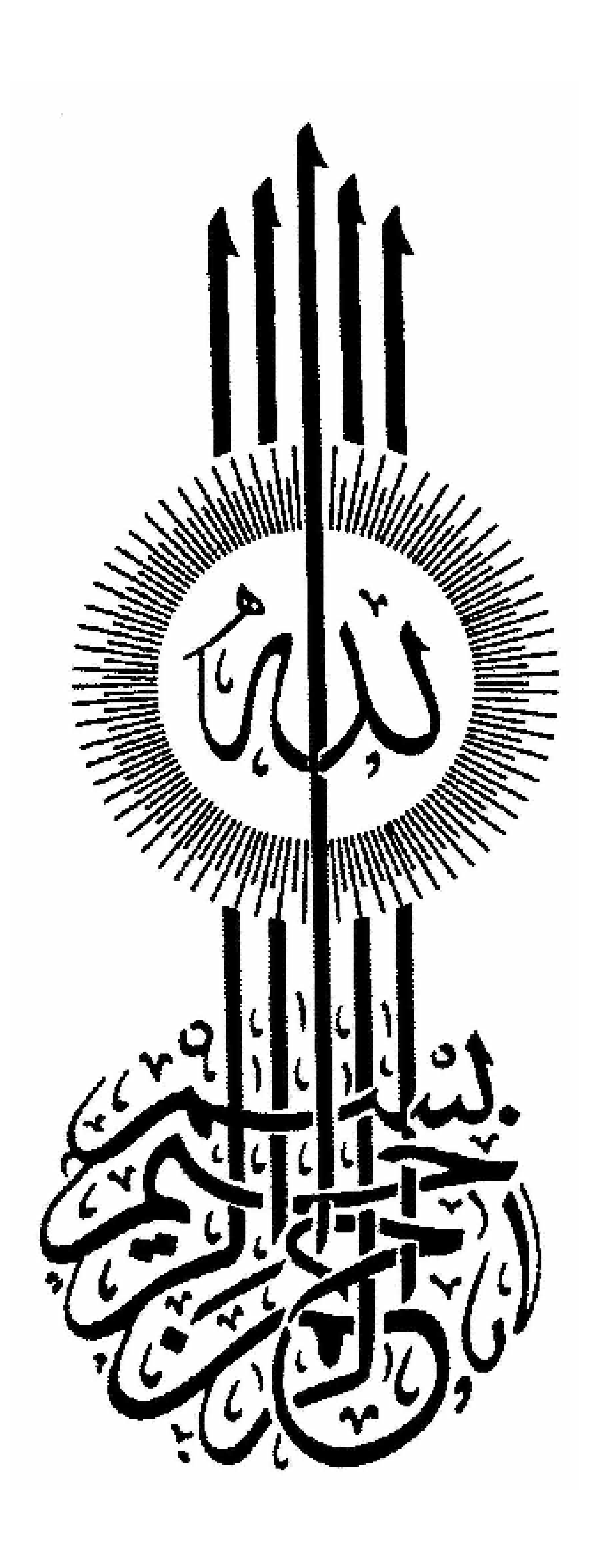
بسمة بنت محيسن بن عواض القثامي

الرقم الجامعي (٤٣٠٨٨٢٢٥)

إشراف

أ.د. عبد الله بن إبراهيم الزهراني

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

موضوع هذه الرسالة (المرأة في السيرة الذاتية السعودية قضاياها وتشكيلاتها) وهي رسالة هدفها تسليط الضوء على أحوال ومواقف المراة ، وتجلية خصوصياتها في السيرة الذاتية السعودية من خلال نظرة كتابها .

وقد جاءت خطة البحث مكونة في بنائها من فصلين رئيسين ، تسبقها مقدمة ، وتقفوها خاتمة ، وثبت للمصادر والمراجع ، وفهرس للموضوعات ، اتبعت فيها منهجاً إدماجياً بين التنظير والتطبيق .

فتناولت في الفصل الأول : تشكلات المرأة بكل صورها المتعددة من أم وجدة ، وزوجة وابنة وغيرهن متتبعة لأبرزها يتعلق بوضعها وثقافتها إيجاباً وسلباً وثقافة ثم تحدثت من قضاياها الاجتماعية مستشفة أثرها ، وعلاقتها بالكاتب ومن ثم المجتمع .

واستهدفت في الفصل الثاني البناء الفني المتعلق باللغة وبأسلوب الكتاب ، من خلال اللغة والشخصيات والحدث وتوضيح التتابع الزماني والمكاني في السير وانتهى البحث بخاتمة أفصحت فيها عن أهم النتائج والتوصيات .

عميد كلية اللغة العربية:	المشرف:	الطالبة:
أ.د.صالح سعيد الزهراني	أ.د.عبدالله إبراهيم الزهراني	بسمة بنت محيسن القثامي

Abstract

The subject of this letter (of women in Saudi
Arabia CV objective study of art), a message aimed
at shedding light on the conditions and attitudes
of women, and clarify the specificities
of the biography of Saudi Arabia through the eyes of her
book.
The research plan was made up in the construction of
two presidents, preceded by an
introduction, conclusion Tagafoha, and proven to sources and
references, and an indexof subjects, followed
the approach Admajia between theory and application.
Addressed the in the first chapter: formations presence of
women in all its forms frommultiple mother and
grandmother, and wife, and daughter, and others for keeping
track of the most prominent with regard to their status, their
culture positively and negatively, and I talked
about social issues Mschfah impact, and its relationship
with the writer and then the community.
Targeted in the second building on the technical language
and style
The book, through language, characters, and the event and to
clarify the temporal and spatial sequence in the BIOS and
the search is over revealed the conclusion about the most
important findings and recommendations.

Student : Basma Muheisen Qathami

Supervisor :Dr. Abdullah Ibrahim Al-Zahrani

Dean of the Faculty of Arabic Language : Saleh Saeed Al-Zahrani

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وأغدق النعمة عليه مدراراً ، نحمده بجميع محامده ، إذ رضي من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فيحتل العمل السردي في الأدب المعاصر مساحة جيدة ، فظهرت القصة والرواية ، والسيرة الذاتية ، وشغلت القصة والرواية المساحة الأرحب من النتاج والعناية، وفي المقابل تعد السيرة الذاتية أقل نتاجاً ودرساً من قبل النقاد، وربما كان طغيان فن الرواية على السيرة الذاتية ، وبخاصة في العصر الحديث ، هو الذي جعل النقاد يعنون عناية كبيرة بفن الرواية ، على الرغم من الثراء الفني والفكري في فن السيرة الذاتية .

ووجد في الساحة الأدبية المحلية عدد من كتاب السيرة الذاتية ، كتب لبعضهم الذيوع والشهرة ، والآخر عدمها ، وهذا ما جعلني راغبة في الكتابة عن هذا الفن ، وبخاصة تلك القضايا التي لم تتطرق الدراسات السيرية لدراستها ، وهي قمينة بتسليط الأضواء عليها أعني هنا صورة المرأة لدى أولئك الكتاب السيرين ، إذ عرض كُتاب السيرة الذاتية لها في وظائفها كافة.

وعموماً عملي الكتابي تمحور حول المرأة في السيرة الذاتية السعودية ، وأخرجت منه ما يتعلق بها أماً ، وجدة ، وعمة ، وخالة ، وبنتاً وزوجة ، بل تخطيت إلى المرأة الأجنبية عربية وغربية في حدود ما كتبه الكاتب ، ووقفت

عند كل موقف تعلق بوضعها وسلوكها إيجابياً وسلبياً ، أخلاقاً وثقافة من غير تمحل مستشفة كل الصور الممكنة وربطها ببقية البناءات الفنية .

على أن الشيء الذي يجب الإشارة إليه أنه ليس كل من كتب سيرة ذاتية دخل في نطاق الدراسة ، فقد اتبعت الشروط الواجبة توفرها في السيرة الأدبية حتى يمكن أن تكون أدبية ، كي نفرق بين السرد التاريخي والأدب ، وإن قال أصحابها أنها سيرة ذاتية ،فالكثير منها أقرب إلى الترجمة الذاتية منها إلى الأدب ولذا استبعدت هذه الكتابات ، وما التبس مع الرواية مثل (ثمن التضحية) لحامد الدمنهوري ، و(الغيمة الرصاصية) لعلي الدميني و (شقة الحرية) لغازي القصيبي .

وكلي أمل أن أقدم شيئاً للساحة الأدبية ، والعلمية في باب، العمل فيه قليل والدراسات أقل ، ولعله من الواجب قبل عرض خطه البحث الإشارة إلى موضوع البحث الموسوم بعنوان (المرأة في السيرة الذاتية السعودية قضاياها وتشكيلاتها) أهمية البحث تكمن في :

- تسليط الضوء على صورة المرأة في السيرة الذاتية .

- تجلية تلك الصورة لدى أولئك الأدباء الذين يعبرون عن انتماء لعروبتهم وإسلامهم .

- إعطاء صورة واضحة عن أحوال المرأة محلية أو أجنبية ، وقضاياها الاجتماعية أمية أو متعلمة في داخل المملكة أو خارجها .

- دراسة الأساليب الفنية الراقية لدى أولئك الأدباء ومستويات أدائها .

أما أسباب اختيار البحث .

فهناك العديد من الأسباب التي أدت إلى اختياري لهذه الدراسة ، من أهمها :

- قلة الدراسات التي تعنى بصورة المرأة في السيرة الذاتية في الأدب السعودي إذ عني بصورتها في الشعر، و الرواية، والقصة إلى حد ما أما في السيرة فهي إشارات عجلى .

- ثراء تجربة السيرة الذاتية ، ولاسيما الكتابة عن جوانب تخص المرأة والتي احتلت مساحة جيدة في السيرة الذاتية السعودية .

- العواطف الإنسانية الجياشة تجاه المرأة أما وجدة بشكل خاص ، وزوجة وبنتاً بشكل عام .

- الصورة الأدبية والأسلوب الراقي لدى معظم كتاب السيرة الذاتية تجعل هذا الموضوع حرياً بالدراسة .

تساؤلات البحث :

يطرح البحث بعضاً من التساؤلات منها :

- ما جدوى اختيار صورة المرأة في السيرة الذاتية السعودية ؟

- لماذا تم اختيار السير المحلية لتكونه موضوعاً لهذه الدراسة ؟

- لماذا قلت الدراسات النقدية حول فن السيرة الذاتية ؟

المنهج المتبع :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الادماجي مستعينة بكل ما يسهم في إثراء مقاربات النص ، حيث اتكأت على الجانب التنظيري والتطبيقي ، والمنهج اللغوي الذي يدرس طبيعة اللغة عند الكتاب .

الدراسات السابقة :

على مستوى الأدب العربي كما سيظهر من خلال المصادر لا توجد إلا قلة من الدراسات التي عنيت بأدب السيرة الذاتية ، وضمن ذلك المرأة ، لكنني لم أجد في حدود المساحة المعرفية التي أطلعت عليها أي دراسة عنيت بصورة المرأة مستقلة .

وفي الأدب السعودي تزداد المساحة ضيقاً ، فهي أقل من القليل ، إذ لم أجد إلا دراسة الدكتور : عبد الله الحيدري (السيرة الذاتية في الأدب السعودي) .

وهي دراسة مسحية وصفية لم تعن بـالوقوف عنـد الجزئيـات المهمـة ولا جماليات النص فهي جمع وتصنيف ، ويكفيها سبق الريادة في هذا الباب .

ثم دراسة وتصنيف ، ويكفيها سبق الريادة في هذا الباب .

ثم دراسـة:الفـضاء في الـسيرة الذاتيـة الـسعودية.عزيـز ضـياء نموذجـاً للدكتور سعيد الجعيد،وهي دراسة ضخمة عنيت بالجانب الفلـسفي في جـزء كبير منها ، ولم يشر للمرأة مع الدراسة إلا في الـسنين الأولى مـن حيـاة عزيـز ضياء ، ومع ذلك كانت خافته .

وهناك دراسة جانبيه عن السيرة الذاتية ولكنها لم تشر لجانـب المـرأة مثـل دراسة محمد صالح الشنطي عن الأدب السعودي .

محتوى البحث :

وقد جاءت خطة هذا البحث مكونة في بنائها من فصلين رئيسين يـسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة ، وثبت للمصادر ، وفهرس للموضوعات .

وتناول الفصل الأول :

مبحثين رئيسين أولهما (تشكلات صورة المرأة) وفيـه تحـدثت عـن أهـم الشخصيات المؤثرة وأبعاد صورها من خلال رؤية الكاتب للمرأة، وتطلعه لها وتحليلاً لشخصيتها ، وشعوره نحوها ، وقد يجاء في خمس مطالب هي : صورة الأم والجدة ، والزوجـة ، والابنـة ، ونـساء أخريـات ، مـن عمـة ، وأخـت ، أو جارة ، أو جارية وغيرها مما افضت به السيرة الذاتية .

والمبحث الثاني يكون بعنوان (القضايا الإجتماعية) عرضت فيه لأبرز القضايا الاجتماعية العامة ، مثل الطلاق ، والعنوسة ، والزواج ، وتعاليم المرأة، وأميتها ، وقضية التقليد والانفتاح وبعض القضايا الأخرى من مثل العادات والتقاليد .

وكيف صور كتاب السير هذه القضايا ، ورصدوا جوانب بعض معاناتهم معها .

والفصل الثاني (البناء الفني) فيه مجمل الخصائص والمميزات الفنية والجمالية ، وأبعادها الدلالية من جهة ارتباطها بصورة المرأة ، قد جاء في خمس مباحث الأول عن اللغة ومستوياتها المشتملة على اللغة التقريرية والتصويرية واللغة التعبيرية والشعورية وأخيراً الوثائقية وذكرت الحوار بضربيه المباشر والغير مباشر .

والمبحث الثاني خصصته للشخصيات من خلال أبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية وأهميتها كونها رئيسة وثانوية مضمنة بالنماذج .

أما المبحث الثالث فامتاز بالحديث عن الحدث واعتماده على الأحداث الرئيسة والثانوية التي يراد بها حقيقة كما حدث في الواقع ، والمبني الحكائي الذي يراد به الطريقة التي اتخذها الكاتب في عرض سرده .

وجاء المبحث الرابع عن الزمان ، وقد عالجت فيه الاتجاه الزماني للسيرة الذاتية السعودية بتحديد طابع الزمن من خلال الزمن السردي من حيث

الماضي ،والحاضر ، والمستقبل مبرزة أسلوب الاستذكار والاستباق ، وتقنيات الزمن من حيث السرعة والإبطاء ، التي من تقنياتها التخليص ، والحذف ، والمشهد ، والوقفة الوصفية .

وختمتها بالمبحث الخامس المتعلق بالمكان وفيه عرضت تفاعل المكان مع الشخصية وكيفية التأثر والتأثير عليها من أمثال المنزل والمسجد ، والرحلات وغيرها .

ثم ختمت البحث بخاتمة أشرت فيها إلى أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة التي أرجو أن أكون قد وفقت فيها إلى ما قصدت ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الطالبة

بسمة بنت محيسن القثامي

الفصل الأول

المبحث الأول

تشكيلات صورة المرأة وقضاياها

- الأم .
- الجدة .
- الزوجة .
- الابنة .
- نساء أخريات .

المبحث الأول

تشكلات صورة المرأة

التوطئة :

عندما اختار الأدباء السعوديون الكشف عن ذواتهم للآخرين اتجهوا لأصدق الفنون الأدبية تصويراً للإنسان السيرة الذاتية، غير أن الصدق المحض في السيرة الذاتية ظهر حوله اشكالية نقدية .

فمن النقاد من يرى أن من ((الآفات التي تصيب الصدق ما يحتمه الفن على الكاتب من الاستعانة بشيء من الخيال حتى يقدم حياته في لوحة رائعة منسقة الخطوط والظلال ، وهذا يؤدي في الأغلب إلى ابتعاده عن الصدق المحض))[1] .

ويميل يحيى عبد الدايم إلى أن الصدق المحض في السيرة الذاتية : ((هو مجرد محاولة ، وهو صدق نسبي ، وليس شيئاً متحققاً ، لأن هناك عوائق تعترض سبيل المترجم لنفسه ، وتحول بينه وبين نقل الحقيقة الخالصة))[2] .

إلاّ أني أرى إن الصدق في كتابات السيرة الذاتية يكون نسبياً إلا إذا ما دار حول الأم ، كونها لصيقة بالنفس ودورها بحياتهم لا يحتمل التخبئة ، وليس في علاقتها

---

(١) السيرة الذاتية في التراث ، شوقي المعاملي ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٩م / ١٤٠٩هـ، ص ٢٣ .

(٢) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، د / يحيى إبراهيم عبد الدايم : بيروت دار النهضة العربية ١٩٧٤م / ١٣٩٤هـ . ص ٦ .

معهم العلاقة الإنسانية المعروفة ما يمنع النشر ، ويجعل الكاتب يخجل من التصريح بها، أو ذكرها علانية دون تزيف أو حجب لبعضها .

الأم :

الأم هي إحدى وجوه صور المرأة ، وأرفعها شأناً ، وأعظمها شرفاً .

وهي الأصل والعماد ، فحين نتصفح معاجم اللغة العربية بحثاً عن دلالات كلمة (الأم) نجدها منضوية تحت مادة (أم) وأن ((أم كل شيء هو أصله وعماده))[1] .

وكون الشيء أصله وعماده يدل دلالة على علو المكانة وعظم الشأن .

((ويقال لكل شيء اجتمع إليه شيء آخر فضمه هو أم له))[2] .

وأن من عطايا الله للبشرية الأمومة الحانية التي تمتد للأبناء منذ نطفتهم وحتى مماتهم ((بتشعب الولد على قدر تشعب الرحم، ثم لا يتغذى إلا من دم الأم، ولا يمتص إلا من قواها ،ولا يجذب إلا من الأجزاء التي فيها لطائف الأغذية، وله ذلك ما دام في جوفها، فإذا ظهر غذته بلبنها ،ويشك الأطباء أن اللبن دم استحال عند خروجه، فهي تغذية بدمها مرتين وتزيد))[3] .

---

(١) لسان العرب ، مادة أمّ .

(٢) مقاييس اللغة ، مادة أمّ .

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، ج ١ ، دار المعارف القاهرة ص ٣٤٤ .

والأم تعد الدافع، والمحفز لدى كاتب السيرة الذاتية فإذا ما تعرض الكاتب لعاطفة الأمومة فهي تحرضه على الكتابة،كونها تعد المثير الحقيقي في حياة أي مبدع فـ ((إذا تعرضت عاطفة المبدع لإثارة ، ... عندئذ تتولد لديه رغبة جامحة ، لتحريك الماضي فيحرض المحرك الأصلي للذاكرة للاسترجاع ، وتهفو المشاعر إلى رؤية الماضي والالتحام به))[1] .

ونظراً لهذه المكانة فقد يكون توصيف مشاعر الأمومة،والكتابة عنها ، ونقل الإحساس حولها من الأمور الصعبة جداً على الكاتب فيتهيب الخوض فيها، مخافة التقصير عن وصفها بما تستحق، وبما يليق بجلال مكانتها .

كمثل عبد العزيز الربيع الذي قال ((تهيبت طويلاً كتابه هذا الفصل))[2] ورغم هذا التهيب نجده يكثر في تعداد فضائل هذه الأم ومميزاتها .

((ومن مميزات هذه السيدة أنها تتمتع بقلب ذكي، وذهنية واعية ولذلك فقد استفادت كثيراً من أحاديث أبي، ومطالعاته، ومناقشاته فحفظت كثيراً من آيات القرآن ،وكثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة ،وكثيراً من المعارف والطرائف))[3] .

قد قامت الأم بدور كبير جعلت الكاتب يعتز بها، ويقدر مكانتها، وهو

(١) الزمن الروائي ، عبد السلام الككلي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة (د . ط) ص ٧٢ .

(٢) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، مطابع الفرزدق ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٦٩ .

(٣) السابق ص ٢٧٢ .

حرصها على جعل البيت منبعاً للسعادة والطمأنينة ((على أن هناك أمراً كبيراً يجب أن أذكره لهذه السيدة بكل تقدير وإعتزاز وذلك حرصهاعلى أن تجعل من بيتها سكناً سعيداً يغمره الهدوء والحب . وأشهد أنها وفقت في ذلك توفيقاً لا مزيد عليه فلا أذكر أن خصاماً أو شجاراً أو ملاحاة من أي نوع وقعت بين أبي وأمي))[1] وهو دور عظيم ، وحلقه مهمة في البيئة الأسرية والتنشئة الاجتماعية، حيث ((تتميز الأسرة عن غيرها من المؤسسات الاجتماعية بأن العلاقات القائمة بين أفراد الأسرة ، تتسم بالترابط والحب والدفء ، ومن المعروف أن الأطفال في الأسرة يتأثرون بالجو النفسي والعلاقات القائمة بين الأم والأب ، .... ولذلك تختلف شخصية الفرد الذي تربى في ظل المناخ الأسري الدافئ عن شخصية فرد آخر نشأ في بيئة أسرية مفعمة بالخلافات والشجار وسوء المعاملة))[2] .

ويرى عبد العزيز الربيع أمه المعلم الأول له فقد علمته أموراً كثيرة يصعب حصرها، وتعدادها لكنه أشار إلى بعضها ،كبعثها في روحه الشجاعة والتجرؤ على الظلام، وقتل العقارب يقول ((لقد علمتني هذه السيدة أموراً كثيرة لا سبيل إلى إحصائها ولكنني أحب أن أذكر منها أنها عودتني الجرأة على

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، مطابع الفرزدق ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٧٣ .

(٢) الإرشاد النفسي النظرية – التطبيق – التكنولوجيا ، د / طه عبد العظيم حسن ، ط١ ٢٠٠٤م ، دار الفكر . ص ١٢٩ .

الظلام وكان الظـلام مخيفـاً في داخـل البيـت وخارجـه))[1] يقـول:((وقـد عودتني كذلك على قتل العقارب وكانت البيوت القديمة حافلة بهذه الحـشرة المؤذية الكريهة))[2] .

ومما لاشك فيه أن أم الكاتب أدركت بأمومتها أنها القدوة الحسنة، والمثـل الأعلى الذي يحتذى به ، وعليه فأن الطفل صورة من أمه ، لأنه تشبع بأخلاقها وشب ونشأ على أنماط سلوكها .

ولا عجب ،لأنه قد تربـى عـلى يـديها، ونـشأ في أحـضانها، وشـب عـلى غرارها، وقلدها في كل حركاتها وسكناتها .

وبما أن الأم قدوة ومثل في نظر ابنها ،والقدوة تحتاج أن تكـون شـجاعة و شجاعة الأم ولدت كـردة فعـل تجـاه المجتمـع، والبيئـة التـي عايـشتها، لأن الإنسان ابن بيئته ، ومنها يستمد صفاته العقلية والنفسية

فـ ((لا مناص في أن كل فرد لابد وأن يعيش في واقع اجتماعي له معاييره وقيمه وأطره الثقافية والاجتماعية الخاصة بـه ، ومـن ثـم فهـو يـؤثر في الفـرد ويتأثر به))[3] .

وهناك قاسم مـشترك بـين أم عبـد العزيـز وأم عبـد الـرحمن الظـاهري ،

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٧٢ .

(٢) السابق ، ٢٧٢ .

(٣) الإرشاد النفسي النظرية –التطبيق –التكنولوجيا ، طه عبد العظيم حسين ص ٣٨ .

فنجدها المعول الأول لإزالة الوحشة، وبث الطمأنينة وتلبية مناجاة ابن يقطع مسافات شاسعة، وسراديب مظلمة، وهي على يقين إن الوحشة تبعثرها المناجاة ، فتتعاطى معه بالقول .يقول واصفا بحب تلك الذكرى المؤثرة: ((والمسافة بين باب السوق إلى السطح شاسعة بين مرامل ومجابيب وسراديب مظلمة ، وكنت أناجي من في السطح ... وكانت والدتي رحمها الله تجاوبني بفضول من القول أيضاً ، والغرض من ذلك إزالة الوحشه ومراد الصوت كما يقول العوام))[1] .

وأما في حالة الكاتب أحمد السباعي تكون الأم مصدراً للتردد والاضطراب،فهو يصور حالته في بعض المواقف والتردد الذي يسكنه حيالها معللاً ذلك، تربية أمة وما غرسته بداخله يقول:((لا تستنكر ترددي في مواطن الإقدام ، فقد علمتني أمي الخوف من العفاريت والأشباح))[2] وهي مفارقه تعكس دور الأم المؤثر في شخصية الأبناء .

صور الأم :

تعددت صورة الأم في السيرة الذاتية السعودية ، فظهرت الأم المثالية المرتبطة جوهرياً بوظيفتها الأمومية ، والعاملة على إسعاد أسرتها ورعايتها .

---

(١) تباريح التباريح [سيرة ذاتية، ومذكرات وهجيري ذات]، أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ، ط ١ ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، دار الصحوة النشر والتوزيع ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) أيامي ، أحمد السباعي ،جدة،ط ١، مطابع النصر ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٢م ، ص ١١٥ .

وفي صور أخرى نجدها القاسية المهملة ، المتصنعة للأمومة ، وهو أمر راجع لطبائع الحياة الإنسانية .

الأم المثالية :

أ / الحنونة :

عندما تحظى المرأة بالأمومة فإنها تكون أماً لمشاعر إنسانية صادقة فياضة بالرحمة والشفقة والحب والحنان خصوصاً ما اتصلت بالأبناء ((إذا طبع الله المرأة حين تكون أماً على جملة من المشاعر الإنسانية العليا الفياضية بالرحمة والشفقة والحنان على أبنائها بصورة لا تتوافر عند المرأة من حيث الصدق في الحب))[1] .

وحين يخصص الحديث عن الأم تكون العاطفة والحب هي الشكل المادي الذي يتبدى من خلاله أي عمل ، وتكون أفعالها وأعمالها مادته الأولى التي تبرز عواطف الكاتب .

ولعل الإهداءات المتصدرة في كتب السير من أجل الأم هي أكبر دليل على عمق وأثر عاطفة الأمومة في الأبناء فهذا عبد الفتاح أبو مدين قام بإهداء كتابه لأمه يقول : ((إلى ذلك القلب الحاني إلى أمي))[2] .

---

(١) قضايا المرأة السعودية من خلال السرد ،الرياض،ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية د/ محمد بن عبد العزيز العوين ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، ص ٢٠٩ .

(٢) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، الشركة السعودية للتوزيع ، جدة ، ط١ ، ١٤١٦هـ ص ٥ .

والمبدع عزيز ضياء يهدي سيرته لأمه بتعبير واضح ومباشر « الاهـداء إلى أمي » والتي شكلت نسبة كبيرة في كتابه حياتي مع الجوع والحب والحرب .

وعبد الرحمن السدحان يقول في إهدائه معبرا عن امتنانه لامه التي زرعت بحبها في داخل كيانه القدرة على مواجهه أعباء الحياة ((إلى أمي التي ضـخت في شراييني أنهار من الحب والصمود في وجه الخطوب))[1] .

وأفرد الكاتب عبد العزيز الربيع فصلاً في كتابه عن أمه ((كنت تحدثت في فصل عنوانه (أم جاهلة ... وعظيمة) عن والدتي))[2] .

وقد تكون الأم حافزاً للتعبير عن الكتابة متمثلاً في الإهداء وغيره ككتابة رسالة لها ، بعد الانقطاع عن الكتابة يقول محمد عمر توفيق .

((لأول مرة أمسكت القلم بعد الانقطاع عنـه نحـو شـهرين ، وأخـذت أكتب رسالة لأمي – يرحمها الله –))[3] .

وقد يكون التكريم بتصريح اسم الأم كأحد أبـرز مظـاهر كتابـة الـسارد لمشاعره تجاه أمه المحفزة لتلك العواطف، فالدكتور عبد الله أبـو داهـش ذكـر

---

(١) قطرات من سـحائب الـذكرى ،عبـد الـرحمن الـسدحان مكتبـه العبيكـان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م ، ص ٥ .

(٢) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ص ٨ .

(٣) أيـام في المستـشفى ، محمـد عمـر توفيـق ، ط١ ، جـدة : مطـابع سـحر ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٨٣ .

اسم أمه صريحاً من باب التكريم والمحبة لها، لاسيما إذا ما عرفنا إن مجتمع الدكتور عبد الله مجتمع مغلق يستصغر ويستحي من ذكر اسم الأم بالصريح .

فيقول ((أمي عزيزة بنت عبد الله بن عوض حفظها الله))[1] .

ومن مظاهر حنان الأم التي عبر عنها كتاب السيرة الذاتية بكثير من البهجة،والفرح ،تدليل الأم لابنها ،فهذا السارد أحمد السباعي ما زال يذكر تدليل أمه له، والتي ترن في ذاكرته وتفاصيل جسده يقول :

((سماني أبي أحمد ودللتني أمي فكانت تناديني « أحمد حمادة » وكانت أغنيتها الدائمة هي ترقصني – « أحمد حماده لب القلاده أمه تحبه وأبوه زياده » . ولا أزال إلى اليوم أذكر أني كنت دلوعتها، كما اذكر كلمات الأغنية التي ظلت تدللني بها إلى الأيام الأولى التي كنت أدلج فيها إلى الكتاب))[2] .

فقدم شهادة حية بأن الدلال يحدث أثراً عميقاً بين الأم وابنها، ويصنع الألفة والطمأنينة التي تشبع رغبه الحنان لدى الأبناء .

ولعل مساحات تدليل الأم، لها وقع أكبر في تربيه الأبناء فنجد لتدليلها وقعاً عاكساً لحريه الطفل وإعطاؤه الآمان الذي يجعله في المقابل يدللها هو، فيكون خيط الحب والحرية متبادلاً بينهما، فها هو عزيز ضياء لفرط

---

(١) حياة في الحياة ، عبد الله بن محمد بن حسن أبو داهش ، الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م . ط١ .

(٢) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ١٣ .

تدليل أمه له يناديها باسمها، بل يدلعها ويدللها بتخفيف اسمها من فاطمة إلى ففم ((أمي التي كنت حتى هذه الخفقة لا أعرف إلا أنها ففم))[1] .

وبذلك نجد أن صفة الحنان هي الصفة العظيمة التي « تتخفى الصفات الأخرى عند الأم هذه الخاصية العظيمة ، فلا نشعر بأي معان أخرى تساوي حنانها على أبنائها ، وحرصها على سلامتهم ونجاحهم في تحقيق مآربهم »[2] إذ الأم الجذر الأصيل المتجذر فينا ، وهي امتداد الزمان عبر عصور تربط حاضرنا بماضينا منذ لحظة بدء الخليقة ، ولهذا نرتبط دوماً بلمسة حنانها وبحضنها الدافئ وبعاطفتها التي لا تعلوها عاطفه مما أجبرت كتابنا وأدباءنا بالبوح والكتابه عنها .

أبرز من أظهر حنان الأم وجسدها تجسيداً نصياً الكاتب عبد الفتاح أبو مدين فكثير ما كان يذكر لنا مظاهر شفقة وحنان أمه وخوفها الدائم عليه ، ويعلل ذلك ، بأنه الابن الوحيد لها بعد موت أبنائها .

يقول:((والدتي رحمها الله .. أنجبت من أبي تسعة ، لم يعش منهم سوى بنتين وولد ، هم أختاي وإياي))[3] ((ولعل أخي من أبي الأكبر ، يريدني أن

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ١٩ .

(٢) صورة المرأة في القصة السعودية ، محمد العوين، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ج١ ، ص ٦٩٤ .

(٣) حكايه الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٠ .

أعيش معه وأترك والدتي ، ولكني أبيت ورفضت ، ولمن أترك أمي وهي عندي بالدنيا ، حناناً وإيثاراً وعطفاً ! من لها بعد الله سواي ؟))[1] .

فلابد أن التي تحمل حناناً وحباً وإيثاراً وعطفاً بأن تعترض على التحاق ابنها بالمدارس الإيطالية خوفاً عليه من الموت،فأبو مدين يخبر أن حنان أمه عليه دفع بها لمنعه من الإتحاق بالمدارس الإيطالية:

((إن والدتي حالت دون ذهابي إلى المدارس الإيطالية فأنا وحيدها ، وهي تخشى علي حين التحق بهذه المدارس .. أن أجند ثم أحمل إلى القتال مع الدول المستعمرة))[2] .

((إذن خشيت علي من الموت في غير سبيل الله ، فاعترضت على إلحاقي بالمدارس الإيطالية))[3] ومنعه يعد مظهراً من مظاهر حنانها الفطري .

هكذا تحرص الأم على ولدها وتحنو عليه وهو يفصح بأنه يجد السعادة بقربها ((بقرب والدتي التي تحنو على وتسعد بي ، وأنعم بذلك الحنان الدافق بإيثارها وحرارته ، وذاك الحب الذي لا نظير له في الدنيا فأجد السعادة))[4] .

---

(١) حكايه الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٠ .

(٣) نفسه ، ص ٣١ .

(٤) نفسه ، ص ٣٩ .

وكيف لا يجدها وهي تخاف عليه من أبسط الأشياء: ((وهي تخشى على حتى من هبوب الرياح))[1] .

يكشف أبو مدين عن مناحي عاطفة أمه تجاهه بخوفها وشفقتها عليه من العمل الشاق ، لذا كانت تلزم الدعاء كوسيلة لكسر الخوف وترويض العاطفة .

فنجد الكاتب أبا مدين يؤكد على عاطفة وحنان أمه بذكر المواقف التي ترتبط بعمله الشاق واصطبار أمه بالبكاء وكثرة الدعاء :

((إن عملي كان شاقاً ، لكني كنت صغيراً وطموحاً وفرحاً ، ... وكانت أمي – عليها رحمة ربي – فخورة بي لأني أوشك أن أصبح رجلاً ، وإن كانت تشفق علي من التعب وكثرة العمل ، وكنت أصبرها وأطمئنها بأن العمل للرجال فكانت تفرح وتسيل دموعها من الفرح ، وكانت كثيرة الدعاء لي بالتوفيق والنجاح والسداد))[2] .

والكاتب في لحظة شفقة على نفسه التي أضاءت لنا شخصيته وفتحت وجدانه المغلق ، وهنا عمق التصوير لحالته ، فقد تنقل بين الأعمال الشاقة رغم صغر السن ، وأحب وأخلص مع قلة الأجر والدافع لكل هذا هو أمه التي تحنو عليه وتدفعه بحنانها نحو العمل الشاق ، حين يكون ذلك مصدر فخر لها،يقول في وصف تلك الذكرى:

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٣٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

((وعملت مع الأمريكان ... بأجر أربعين قرشاً في اليوم ، في بناء بـ - بلوك – حجري ، تزن الواحدة نحو (١٥) كغ ، وكنت عاشقاً لعملي فرحاً به ، وكانت والدتي عليها رحمة ربي فخورة بي ، إن كانت تشفق علي من هذا العمل المضني الثقيل))[١] .

لقد تعمق الكاتب بعواطفنا لحظة شفقته على نفسه وتعاطف أمه معه حين تتسربل بالدموع والدعاء ،فالكاتب ربط تجارب حياته بمشاركة الأم بتلك التجارب .

ولكل أم طريقتها في التعبير عن حنانها وحبها لأبنائها ، وتتنوع الطرق بتنوع حاجه الأبناء لها وبالظروف الملتفة بهم .

(ففم) أم الكاتب عزيز ضياء ترسم لنا صورة نمطية لمفهوم الأمومة باحتضانها ابنها لحظة شعورها بجوعه:((وقبل أن تنهض وتجلس لفت حولي ذراعها وضمتني إلى جسدها وهي تقول : أنت جيعان موكده ؟؟؟))[٢] .

وقد صنع الكاتب من لحظة ضم أمه له ، مشهداً عاطفياً يرتكز فيه الحب والحنان والإحساس بالدفء والأمان:((ولم أجبها بشيء لكن ما اشد ما أحسست بالدعة والأمان ، في استسلامي لاحتضانها وذراعها حول جسمي

---

(١) حكايه الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ١٠٤ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢٤٨ .

الصغير ... رفعت وجهي اتأمل محياها ، لأسمعها تقول : ما عليـه ... دحـين نفطر))[1] .

إن الوجدانية المـشتعلة في أسـلوب الكاتـب عزيـز ضـياء عمقـت رمـوز ومعاني الأمومة المشعة .

وفي لحظة من العطف والحنان يرصد المبدع ضياء إيقـاع تلـك اليـد التـي مرت على وجه أمه وأيقظت شعور الأمومة اللطيف الذي حجب الكلام عـن أمه (ففم) وطغى بالصمت:((ولكن مشاعر التعـاطف معهـا كانـت اليـوم أقوى من الجوع رفعت يدي ، وأخذت أمر بكفـي عـلى وجههـا ... فـإذا بهـا تحضنني بذراعيها معا ، وتشدني إلى صدرها وحين رفعت وجهي مرة أخرى اتأملها رأيت عينيها دامعتين ولم تقل شيئاً تركتني ، ونهضت مسرعة))[2] .

وهروب الأم بدموعها،دليلاً على عمق مشاعر الأمومة بداخلها ، ولذلك جانبـت ابنهـا لحظـة شـعورها بالـضعف والانكـسار ، والتقـصير في القيـام بواجبات الأمومة كاملة تجاهه.

وإن كنا رأينا أن حنان الأمومة يتأتى بفعل الطبيعـة الإنـسانية في الـصور السابقة ، فأننا نلمس حنانهـا ينبـع بفعـل الطفـل ذاتـه ، حيـث يعمـد بعـض

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢٤٨ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٨ .

الإطفال إلى استدرار عاطفة الأمومة بحركاتهم ونظراتهم كما فعل عزيز ضياء عندما مرر يده على وجه أمه في القصة السالفة الذكر.

ولاحظنا تنوع حنان الأم ودوافعه عند الكتاب فحنان أم مدين بكل ما يحمله من شفقة وعطف نابع من الخوف، كونه الابن الوحيد ، وأم الكاتب عزيز ضياء تشاطر أم مدين الخوف على أبنها الوحيد بعد أن انتزع الموت طفلها الآخر محاولة تعويضه واحتوائه بالاهتمام والحب. وفي سيرة عبد الكريم الجهيمان يكون الحنان في البيت ناجماً عن شعور الأم المتزوجة برجل آخر بالتقصير لوجود رجل آخر غير والد طفلها في حياتها .

فعندما تحضر أم الجهيمان إليه فهي تحنو عليه وتهتم بجميع أموره بدأ من تنظيف الجسد إلى المأكل والمشرب: ((وكانت والدتي رحمها الله عندما تزور أهلها في الأسبوع مرة أو مرتين تهتم بي وتتولى تنظيف جسدي وملابسي وتشرف على مأكلي ومشربي فأنس بوجودها ويرتاح بإلي برؤيتها وأنسى أحقادي عليها وعلى زوجها الجديد))[1] .

ويبدو أن في بواطن مشاعرها إحساس داخلي تجاه طفلها بالتقصير حيث استقلت بذاتها وزوجها عنه، فهي ترى بذلك أنها سلبت ابنها إحساسه بالأمومة فتحاول أن تواجه هذا التقصير بالاهتمام والعناية .

---

(١) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ،الرياض ،مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٢ ، ١٩٩٨م – ١٤١٩هـ ص ٢٨ .

وإذا ما بحثنا عن الدوافع والأسباب الأخرى الكامنة وراء عاطفة وحنان وشفقه الأم نجد أن بعضها يقبع خلف الظروف الاجتماعية والسياسية .

فمثلا شفقة وحنان أم السارد أبو مدين منبثقة في بعض حالاتها من الفقر والحاجة التي دفعت بابنها الوحيد إلى الأعمال المضنية .

فقد ذكر السارد في سيرته الذاتية العديد من المواقف المؤثرة التي تصف حالة الفقر والحرمان والمعاناة اليومية: ((واضطررت مكرها إلى ترك التردداد على الفقيه الذي أحفظ عنده القرآن الكريم ، .... وأعلنت له في ذلك الوقت المبكر .. إلى أن والدتي وأنا في حاجة إلى دخل نعيش به ويسد الرمق .. كيفما كانت الحال فأيقن الرجل أن الظروف الصعبة أوهت من قدراتي الواهية ، وقبل العذر على مضض ، ودعا لي ولوالدتي بالعون والسداد))[1] .

ويسترجع أبو مدين ملامح الفقر والعوز المخيم على أسرته وتعاطف الشيخ معه ((وشيخي كان يصحبني لاحساسه بفقري ، فكان ذلك عطفاً منه ، لأنه جار لنا يعرف أحوالنا))[2] .

وكان شيخه يصطحبه في المناسبات ، ليسد حاجته من أكل اللحم ((لأن اللحم لا يدخل بيتنا إلا نادراً ، وربما أتيح لنا مرة في الشهر شراء رأس شاة أو كرشه ، لكن بقية الأيام نكتفي بما تيسر من حساء بشحم جاءنا من أضحية العيد))[3] .

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ص ٢٩ .

(٢) السابق ٢٨ .

(٣) نفسه ٢٨ .

هكذا كان الفقر يدفع بالأم لتدر شفقة عليه، ويدفع بالابن إلى العمل لسد احتياجات الأسرة، وسدها بالأعمال المتعبة والأشغال الشاقة ، وهذه الأعمال قام بها من أجل أمه الحنونة فقد بدأ بعمل المقهى : ((ولست أدري من وجهني إلى السعي نحو « مقهى » لأعمل فيها أمد الشاي والقهوة والمياه الغازية على رواد المقهى))[1] .

ويذكربأسلوب يملؤه الألم صعوبات العمل التي واجهت صبي صغير ((وهذا يتطلب مني وأنا – صبي – في المقهى أن أصحو قبل طلوع الشمس .. لافتح المقهى .... وصاحب المقهى يأتي نحو الساعة الثامنة أو الثامنة والنصف ، ليجد العمل يسير على يدي الصبي الصغير القليل الحيلة والهادئ والمطيع معا ، والصبي قد عمل كل شيء ، من كنس للمقهى ورص الكراسي ورش الماء في الأرض ، وإيقاد النار ... إلخ))[2] .

وطبيعي أن يزهد الطفل في هذا العمل الشاق الذي لا تتجاوز أجره في اليوم ليرتين إيطالية ولا يغطي تكاليف المعيشة: ((وبعد ذلك زهدت في العمل الرديء فتركته))[3] .

ومن المقهى إلى فرن البلدة الذي كان العمل فيه يحتاج إلى جهد مكثف

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٣١ .

(٢) السابق ، ص ٣٢ ، ٣٧ .

(٣) نفسه ، ص ٣٣ .

وعمل مضن ((تركت العمل في المقهى ، وتوجهت لأعمل في فرن .... غير أن عملي كان شاقاً لكني كنت صغيراً وطموحاً وفرحاً ، لأنه أصبح لي دخل يجئ في حدود الكفاف، والدتي وأنا، وكنت سعيداً بهذه الحال التي وصلت إليها))[١] .

والكاتب كلما ذكر أعماله المتعددة كان يذكر لنا شفقة أمه وعطفها ((وكانت أمي عليها رحمة ربي فخورة بي .. لأني أوشك أن أصبح رجلاً ، وإن كانت تشفق علي من التعب وكثرة العمل))[٢] .

وكلما تدرج الكاتب في الأعماله المتعددة الشاقة زاد شعور أمه بالشفقة عليه ((فسرعان ما أتقنت حرفة الترقيع والبناء ، لأني محتاج وعندي استعداد ، .... وكنت عاشقاً لعملي فرحاً به ، وكانت والدتي عليها رحمة ربي فخورة بي ، وإن كانت تشفق علي من هذا العمل المضني الثقيل !))[٣] .

فالفقر والحرمان والحاجة استنطقت فؤاد أم السارد، فنبعت بالحنان والشفقة فالسارد لا يتجاوز ذكر العمل حتى يذكر في نهايته شفقة أمه وحنانها عليه من هذا العمل المضني .

وحين تشفق وتحنو أم عبد الفتاح أبو مدين على وحيدها، فلا تثريب إذاً على أم عزيز ضياء، حيث انتهت رحلتها إلى الشام بنهاية مأساوية، إذ فقدت خلال

---

(١) حكاية الفتى مفتاح،عبد الفتاح أبو مدين، ص ٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٣٦ .

(٣) نفسه ، ص ١٠٤ .

فترة إقامتها في الشام أختها وأباها وطفلها الأصغر، وعادت برفقة ابنها الذي بقي لها من أسرتها (عزيز ضياء) ، فكان هذا هو أكبر الأسباب والدوافع لتكثيف حنانها له ، وعليه.

أما دوافع وأسباب حنان أم ضياء، فيرويها ابنها في كتابه حياتي مع الجوع والحب والحرب بشيء من الحزن،وبكثير من الصدق: ((أنك لا تدري مثلاً ، أني قضيت طفولة فتحت عينيها علي مآسي الحرب العالمية الأولى ... وعرفت اليتم الذي يعلق عين الطفل بوجه كل رجل يراه ، في أمل محموم بأن يكون من يراه ، هو الأب .... عرفت التشرد في الأزقة والشوارع ... عرفت المرض الذي يهددني بالموت في كل لحظة ... عرفت الجوع ... الجوع الذي يمزق الأمعاء ، الجوع الذي جعل وجبة الخبز الأسود أشهى وألذ وجبة تذوقتها حتى اليوم))[1] .

إذ تيتم وعاش التشرد والجوع والوحدة،وهي محفزات لنثر عاطفة الأمومة وإظهارها عند أمه بشكل مكثف واضح:((كان هناك الإحساس ، بأننا – هي وأنا – وحدنا وحيدين ، ليس في هذا البيت فحسب وإنما في الدنيا كلها))[2] فكلاهما يتبادلان الاحساس بالآخر ووحدته،وأهمية بقاؤة

وإحساس الأم نابع من الخوف من فقدان ابنها، ويكون الفقد أكثر

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٣٠ .

ألماً وقسوة على النفس حين يكون الابن وحيد أمه .

وكما أن الخوف من المجهول هو الذي تركها تناجي الله وتبكي :

((ولعلي لا أنسى حتى اليوم تلك اللحظات في ذلك اليوم ، التي امتدت فيها يد أمي إلى وجهي ... احتضنته بين كفيها ، ورفعته لأرى عينيها ، تجول فيها عبرات ، ما لبثت أن أخذت تنذرف ... ظلت ممسكة بوجهي هكذا ، ثم تعود فتحضني ... وتضمني إلى صدرها بحرارة ، ثم تقول في حرقة ... يا عزيز قول يارب ... واستسلمت لضغط ذراعها حولي وهي تضمني إلى صدرها ، كأنها تخاف أن تفقدني أنا أيضاً كما فقدت كل الذين ظلت تردد دائماً أنهم رحلوا .. كلهم راحوا))[1] الأم هنا تحاول بأن يكون في حضنها ،الأمان النفسي، والدفء الدائم رغم تسربلها الخوف من المجهول،الذي تجسد أغلبه في الخوف من الفقد.

ويتدثر عزيز ضياء بحنان وعاطفة أمه عندما يكون صوتها معبأ بالدعوات يارب ... يارب يا عزيز قول يا رب .

وأما الكاتب عبد الكريم الجهيمان فقد كانت عاطفة وحنان أمه نابعة من شعورها المؤلم بالتقصير في واجبات ابنها، فقد تزوجت وابنها صغير، وانتقلت إلى بيت زوجها في القرية المجاورة:((ووجدتني قد خسرت بهذا الزواج رعاية أمي وعطفها وحنانها))[2] .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب،عزيز ضياء ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٢) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٢٧ .

وأم الجهيمان تدرك جيداً معنى افتقاد الابن للحب والحنان لأيـام كثـيرة ، وساعات طويلة،ولذلك كانت تأتي لطفلها محملة بمشاعر أكبر،وأكثـر حبـاً ، فتحيل البيت إلى قلب نابض ممتلئ بالدفء والحب ،والتحنان،مما يجعل الطفل يتذكر هذا بكثير من الولاء لأمه فهو يعلم أن صنيعها هذا كان بـدافع الحـب: ((ولولا محبتها لي لما جاءت من عند زوجها))[1] .

وتشعر الأم أنها حرمت ابنها الرعاية والعاطفـة والحنـان ولـذلك كانـت تحاول أن تعوضه في كل زيارة لأهلها:((وكانت والدتي رحمها الله عندما تزور أهلها في الاسبوع مرة أو مرتين تهـتم بي ... وتتـولى تنظيـف جـسدي وثيـابي وتشرف على مأكلي ومشربي .. فآنس بوجودها ويرتاح بالي برؤيتها))[2]وكـل ذلك تفعله الأم لتشعر بالرضى:((فالأم تفعل كل شيء يمكن أن يكون مفيداً بالنسبة للطفل والإلمام بحاجاته ، تحاول الأم معرفة أفضل الوسـائل لإرضـاء تلـك الحاجات ، فتغذية الطفل وتنظيفـه وإبقـاؤه في جـو مـن الـدفء .... يـؤدي شـعورها بالرضى))[3] .

إن نقصان الأمومه وحنانها قد يؤدي إلى نتيجة عكـسية في سـلوك الابـن الطبيعي تجاه أمه ،وهذا ما حدث بالفعل للجهيمان فنتيجة حرمانه من عاطفـة

(١) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٣٠ .

(٢) السابق ، ص ٢٨ .

(٣) الأمومة نمو العلاقة بين الطفل والأم ، د/ فايز قنطار ، عالم المعرفـة صـدرت السلـسلة في ينـاير ١٩٧٨م بإشراف أحمد مشاري العدواني الكويت ١٩٢٣ – ١٩٩٠م .

أمه وأمومتها كان يترصد لها بالحجارة وهي عائدة إلى زوجها ((فإذا مشت في طريقها إلى قرية زوجها جعلت أرميها بالحجارة وهي مدبرة لا تراني ولو أنها نظرت إلي بعينها الحنونتين ووجهها الباسم المليء بعواطف الحب والشفقة نحوي لو أنها فعلت ذلك لتبخرت أحقادي نحوها ولكنها تسعى في طريقها غير ملتفتة إلى الوراء))[1] .

وصمتها وعدم التفاتها يدلان على مسحة الحزن العميقة في عدم رضاها عن التقصير في واجب ابنها ، وتركه وحيداً عند أهلها .

ورميها بالحجارة لدى مغادرتها، ومحاولة اتباعها يعد مؤشراً لتعلق الابن بأمه ونقص العاطفة لديه .

وما ذكرناه من نقص العاطفة،والحنان في علاقه عبد الكريم الجهيمان بأمه نجده كذلك ينطبق على عبد الرحمن السدحان وأمه فقد تطلقت أمه وهو صغير وتركته وحيداً في وقت لم يدرك فيه ماهية الأشياء ((إحساسي الدقيق إن افتراقهما جاء في وقت لم أكن قد أدركت فيه قدراً من النضج العاطفي يعوضني عن فقد حنانهما مجتمعين))[2] .

فقد تركته أمه وهو صغير بزواجها الثاني ((وزاد عسري عسراً زواج سيدتي الوالدة برجل أعمال فاضل يقيم في مدينة أبها))[3] .

---

(١) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم جهيمان ص ٢٩ .

(٢) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٤٣ .

(٣) السابق ، ص ٤٢ .

وكان لا ينعم بحنان أمه إلا من خلال زياراتها لأهلها ((إذا زارت والدتي مزرعة أبيها ليوم أو أكثر ، فإنها كانت تحرص على زيارتي في (مقر عملي) مع الغنم حاملة معها خبزاً طازجاً وتمراً وشاياً وربما بعض الحلوى وكانت تنادي باسمي من بعيد .. فأرد على الصوت القادم بـ (لبيه يمّه) ، ثم اسعى عدواً للقائها ، وما إن أراها حتى ألقي بجسدي النحيل في حضنها وكأنني تلك اللحظة في روض من رياض الجنة))[1] .

وهذه اللحظة سرعان ما تختفي وتزول،وهو غير مصدق لما يراه ويسمعه من شدة فرحه بوجود أمه حوله: ((فأتناول الوجبة وأنا لا أكاد أصدق ما أرى وما أسمع وتبقى أمي الحبيبة معي فترة من الوقت كأنها ثوان معدودات قبل أن تستأذن للعودة إلى البيت))[2] .

وهكذا يكون حنان وعاطفة الأم المتزوجة برجل آخر محصوراً في زيارات خاطفة وسريعة ،ولا تفي برغبات الأبناء في مشاعر دائمة وحب متصل .

ويعترف الكاتب عبد الرحمن بأن أمه أحست بتقصيرها تجاهه فهي تحاول أن تعوضه بحنان ومشاعر مضاعفة : ((وحرصت هي أن تحيطني بأسباب الحنان والسعادة تعويضاً لي عما فات منها بعيداً عنها))[3] في هذه النصوص

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ١١٣ .

(٢) السابق ص ١١٣ .

(٣) نفسه ، ص ٢٣٧ .

حاولت الأم أن تمارس حقها المشروع في احتضان ابنها، وأن توفر لـه أسـباب السعادة لكن واقعها الاجتماعـي فـرض عليهـا التقـصير والتجـافي في بعـض الأحيان، لكنها تسعى إلى تعويضه إذ ما أتيحت لها فرصة .

ب / الأم والتضحية :

كانت وما تزال الأم محوراً أساسياً للتـضحية والأمـان والمعـول عليهـا في المواقف الصعبة وقد كشفت الأم جهودها في رعاية وسـلامة الأسرة ولاسـيما لأبنائها .

فها هو عزيز ضياء يرسم صـورة الم المـضحية،من خـلال أمه،فأمـه مثـال للمرأة القوية الذائـدة التـى تـنهض بأعبـاء الرجـال،وتخوض معـارك الحيـاة القاسية وحدها:((كانت المعركة ، معركة الأم ، التي كانت عليها ، ليس فقط أن تّربى ولدها الذي عاش رغم إصابته بالتيفوس الذي اخترم حياة الألوف ، بينما مات أخوه بالحصبة ، وإنما أن تقف إلى جانب أبيها – في شـيخوخته .... أن تقف إلى جانبه ، ترعاه ، وتخفف عن نفـسه مـشاعر الإحـساس بـالحزن والتفجـع والأسى ، وهو يرى الموت يحصد الألوف حوله ، ... فلحق بربه ذات صـباح ، لتواجـه هي وحدها مع هذا الطفل فواجع النهاية التي أرادها الله سبحانه))[1] .

ويصف ضياء مدى تفاني أمه وتضحياتها،وحنانها تجاه جده العاجز حيث تقنع والدها بملازمة المنزل والراحة لأنه لا يقوى على المشي والحراك وستقوم هي بشراء ما يحتاجونه من السوق .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٤١٧ .

((واستطاعت أمي أخيراً أن تقنعه بـأن يعـود إلى غرفتـه ، وسـتقوم هـي بشراء ما نحتاج إليه من السوق))[1] .

وحنان أم ضياء تخطـى دور الأم الحانيـة عـلى الابـن إلى الـوعي الـشديد بمفهوم التضحية ،والبذل والعطاء والإنتماء إلى العائلة ، وهي في ذلك ترسـم صورة أكبر للأم،يمكن أن نسميها الأم العائلة .

والكاتب عزيز ضياء يصور لنا تضحية الأم الحنونة الدائبة على رعاية مـن حولها من العائلة والتى تبذل كل ما بوسعها بذله ((رأيت أمـي تعـالج خلـع أسورة ذهبية من يدها بعد أن دهنتها بقطران من الزيت ... كانت تقوم بذلك، وحدها بعيداً عن خالتي ... ثم بعد أن خلعتها أسرعـت إلى جـدي وقـدمتها إليه، وهي تقول: الحكيم قال .. لازم خديجة تشرب مرقـة دجـاج ... وتأكـل أكل طيب ... وتشرب عسل وحليب))[2] .

وهي تحاول بالأسورة تفريج أزمة مالية في سبيل انقاذ الأخت من المرض، وهي في نفس الوقت تلقن ابنها قيم العطف والتضحية والفداء من أجـل مـن نحبهم .

وتضحيتها تعد في هذا الزمن تضحية مضاعفة،لأن المجتمع كـان يعـيش أزمة صحية كانت البلاد في حرب وجوع ، عانى أهلها مـن شـظف العـيش ،

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٦٣٢ .

(٢) السابق، ص ٥٢ .

ومن الفاقة .((وكان الناس ، جميعهم ، وعلى الأخص المهاجرين ، ونحن منهم ... جميعهم فقراء ... والذين ، كانوا يموتون جياعاً أو من الجوع في الشوارع وفي المساجد وفي الطرقات ، جميعهم من هؤلاء الفقراء))[1] .

وشاركت الأم في تحمل هذه المعاناة والصبر عليها والعمل قدر الطاقة على إعالة ابنها ورعايته،رغم صعوبة ظروف الحياة ،والعمل على الرجال فما بالنا بامرأة في ذلك الزمن!! يقول:((أرى أمي عاكفة على هذا .. المنسج ، تشد عليه قطع القماش وتطرزها بعد أن ترسم الأشكال التي تريد تطريزها ، بالقلم الرصاص .. أزهار .. وورود ... وفروع أغصان صغيرة))[2] .

وقد اختارت أمه مهنة الخياطة لاتقانها هذه المهنة،فجعلتها،وسيلة لتكسب وطلب الرزق ((اعتقد أن من حقها اليوم رحمها الله أن أقول ، إنها بذلك المنسج ، وشلل الحرير الملون استطاعت ، أن تؤمن لقمة العيش لنفسها ولي))[3] .

والأم تعيش على الكفاف أو ما دونة ومن أجل الابن تظل صابرة ومتجلدة على أمل باسم يصنعه هذا الابن في يوم من الأيام .

فقد سرد الكاتب ضياء موقفاً قصصياً مؤلما يوضح مدى عمق تضحية الأم لأبنها واستجابتها لكل رغباته حتى في أصعب الأمور، وأحلك المواقف،

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ١٤٨ .

(٢) السابق ، ص ١٤٨ .

(٣) نفسه ، ص ١٤٩ .

ففي ذكرياته أيام مكوثه في الخيام ويوم معرفته بالتين الشوكي الذي كان يحمله البائع في سلة من الخوص الكبيرة وينادي بين الخيام . شد انتباه لونه المحمر ،وحجمه فانطلق إلى أمه المريضة يطلبها النقود لشراء هذا الشيء، فما كان من الأم إلا الخضوع لرغبة ابنها وحبيبها برغم شح المال،فقد كان آخر مجيدي من العشرين التي تركها والدها لها. ولكن عز عليها أن لا تشتري الشيء الذي اشتهاه ابنها ،وضحت بالذكرى الأخيرة لوالدها: ((كانت أمي تحت الأغطية الثقيلة مع نوبة (النفاضة) ... استوقفت البائع ، ودخلت اطلب نقوداً اشتري هذا (التين) ... لم تنبس بكلمة ... وإنما مدت يدها إلى اليشمك – نسميه الآن طرحه – وفتحت صرة في طرفه ، اخرجت منها (مجيدي) ... قالت فيما بعد ، إنه كل ما كانت تملكه من المال .. وأنه آخر مجيدي من العشرين التي تركها ووجدتها في محفظة جدي بعد وفاته ... كانت تنوي أن تحتفظ به كذكرى ، لكن عز عليها أن لا تشتري لي (الشيء) الذي اشتهيته))[1] .

والذي أثار مشاعر الأم الإنسانية ودفعها للتعاطف معه، هو أنه ابنها الوحيد الذي بقي من العائلة وأيضاً طفلها الصغير،ثم عظم مشاعر التضحية التى تتحلى بها تلك الأم.

وقد منحت لنا ــ فيما سبق ــ أم عزيز ضياء دروساً في التضحية ، وأوضحت بعض التضحيات التي كانت تقدمها الأم للأسرة وللأبناء بشكل خاص .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ١٦٠ .

والتضحية جزء من الأمومة تتشكل وتتكون من عاطفة صافية تبذل المال والنفس من غير مقابل أو مردود .

وصفة التضحية في الأم،نجدها أيضا متجسدة في روح أم الكاتب عبد الفتاح أبو مدين التى منعت نفسها الطعام وحرصت على ألا يشعر ابنها بذلك ،محاولة اقناعه ،وتهدئته بأنها امرأة كبيرة ،وقد أكلت،وشبعت في حياتها كثيراً، أنما هو ما زال طفلاً،وجسده النحيل بحاجة ماسة للطعام: ((واحصل من صحبة أستاذي على قروش كأجر لقراءة القرآن ، فأسعى بها فرحاً إلى والدتي ، وإن كنت أحزن لأني شبعت وهي لم تشبع مثلي من هذا الطعام الدسم ، ولكنها تفرح لأن ابنها يقرأ القرآن وينال من طعام جيد ، وتهدئ من روعة بأنها أكلت كثيراً في حياتها ، ولكن ابنها الصغير ، ابن العاشرة .. هو الذي في حاجة إلى غذاء يشد صلبه وجسمه النحيل))[1] .

كانت التضحية جلية ومتبادلة بين الأم والابن ، فالأم أخذت تهدئ وتبرر لابن العاشرة بأنها أكلت كثيراً في حياتها ويكفيها بأن ابنها يقرأ القرآن، ويصيب من الطعام الجيد الدسم .

والابن بدوره يستقبل أمه بالقروش التي كانت أجره على قراءته ،للقرآن ويسعى مسروراً لأمه لإعطائها أجرته .

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٨ .

وإذا كان أبو مدين قد أظهر الصورة الإيجابية لتضحية الأبناء تجاه أسرهم ، فإن أحمد السباعي رسم الصورة السلبية بطيشه واستهتاره الواضح .

فعندما سرح للسوق وأُطلق للحرية كان المرتجى منه أن يكفي البيت موؤنته ويسد حاجته ،لكنه لم يحقق هذا الرجاء ولم يكن عند أمل أمه فيه،يقول متذكرا تلك البديات في فتوته:((وعندما تخطيت الحلم ، وأوشكت فتوتي أن تستوي ، بدأت أشعر في صلف أنني شبيه رجل وأن من حقي أن أوجه حياتي في السبيل الذي أختاره .. فأذعنت أمي مشفقة ... بتسرعي إلى السوق ، وإطلاق حريتي في اصطناع ما أرى . على أن أكفي البيت مؤونته ، وأسد عوزه وحاجته))[1] .

وكل آماله حينئذ كانت منصبة على الخروج مع (العيال المطاليق)،ولم يكن همه سد حاجة البيت كما يزعم أمام والدته ويتذرع به كي تطلق سراحه:

((وترك حبلي على غاربي بين (العيال المطاليق) هو أقصى ما يملأ مخيلتي وأن تذرعي باصطناع ما سأحترف لسد حاجة بيتي ليس إلا وسيلة تعينني على الانطلاق ، وتبيحني من الفرص أكبر قدر تبيحه (للعيال المفلوتين !!)))[2] .

وترك الحبل على الغارب لهذا الابن أسهم في أهماله، وعدم مبالاته فاستطاع استغلال عاطفة الأم التي ترتقب وتنتظر وتضم جوانحها على أمل أن يكون لهذا الابن مستقبلاً باهراً ومن ثم يجعل الحياة الأسرية سهلة وميسرة .

---

(١) أيامي ، أحمد السباعي ص ٦٨ .

(٢) أحمد السباعي ، ص ٦٨ .

لكنه تسلط على علبة (الجنيهات) التي كانت الأم تحتفظ بها،فسرق ما بها:
((واستطعت أن أتسلط بمهارة على جزء طيب من علبة (الجنيهات) التي كانت تحتفظ بها أمي))[1] .

والأم مع كل هذا صابرة حائرة لا تدري كيف تتصرف مع هذا الفتى الطائش،وكيف تعالج أمورة!!.

حتى في ذات أمسية أعلنت فيها الأم بأن الجنيهات في العلبة أوشكت على النفاذ، وأن الجنيه الذي سيأخذه اليوم سيكون آخر جنيه يمكن أن تقدمه له[2] .

((كان صوتها هادئاً ورزيناً ، وكانت كلماتها تؤدي معاني الصرامة والجد أكثر مما تؤديه من معان أخرى ، فشعرت أن نبرات صوتها تلمس وتراً خفياً في أعماقي ، وأن مشاعري بدأت تستيقظ على هول المفاجأة . وتحس بأحاسيس أمي))[3] . فكلمات الأم الهادئة والرزينة وطريقة تعبيرها عن الأزمة المالية غيرت مسار وتفكير الكاتب وأيقظت مواطن الأحساس بالمسؤولية تجاه نفسه وأهل بيته .

وبعد تساؤلات من ضمير يهمس في السر ، وجده تبتهل في خشوع وانكسار من أجل أحمد ولد جواهر . تحدث الاستجابة ويتخذ القرار ((أفكار ساورتني

---

(١) أحمد السباعي ، ص ٧٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٥ .

(٣) نفسه ، ص ٧٥ .

وأيقظت مواطن الإحساس من نفسي ... رأيتني بعدها أقرر شيئاً وأنشط لتنفيذ ما قررت))[1] .

ويمكن أن نلحظ بعد هذا أن الأساس الذي بنى عليه (أحمد السباعي) ترجمته الذاتية هو رواية الحدث المتصل بحياته مع أمه ، رواية قصصية ، ونقل واقع حياته نقلاً يميل إلى الحكاية في أغلب سيرته .

وكما رأينا أن بعض الأمهات كن يمتلكن في تعاملهن مع الابناء الصرامة،والحزم،والرزانة ،فأننا نجد في الجهة الأخرى بعضهن يمتلكن حباً وحناناً وهلعاً وفزعاً من أجل ثمرة القلب الابن وهذه الصفات توسمت بها أم السارد عبد الفتاح أبو مدين حين ذكر في سيرته (حكاية الفتى مفتاح) حكاية تأخره في إحدى الليالي المظلمة الملغمة بالحرب ،وكان سبب تأخره عطل في دراجته (بنشرت إحدى عجلتي الدراجة) أثناء العودة من المدينة إلى والدته في المخيم ، فتوجب عليه إصلاحها في الظلام بدون نور لأن البلاد في حرب والضوء يدل ربما على جاسوس فيقتل فوراً بالرصاصة ، فاستغرق لاصلاح الدراجة وقتاً طويلاً،كان كافياً لهلع الأم وفزعها على ابنها والوقوف على قارعة الطريق تنتظر وتدعو الله له بالسلامة: ((وحين اقتربت من النجع – مجمع بيوت الشعر والرقع – وجدت والدتي رحمها الله على قارعة الطريق تنتظرني في هلع وفزع .. كما أحسست ، وإن كانت من الصابرات والهادئات

(١) أحمد السباعي ، ص ٧٥ .

الطبع ، ولعلها كانت متوجهة إلى بارئها .. تدعوه في علاه أن يحفظني ويوصلني إليها سالماً . ولو كان الأمر بيدها .. لما تركتني أنزل كل يوم إلى المدينة ، سعيا وراء رزقها ورزقي))[1] .

ذكر أبو مدين أن أمه أم مؤمنة مطمئنة ، متضرعة داعية ، ولكن هذا لا يقف أمام حب الأم ، والخوف على ابنها .

ويشير أبو مدين إلى مدى تضحية الأم بصحتها،وسهرها تنتظره ثم إلى فرحتها بعودته سالما،وتعطشها لمعرفه أسباب تأخيره:((ولا أستطيع وصف سعادتها وفرحتها .. حين رأتني أسرع إليها معانقاً، شارحاً ظرف التأخير))[2] .

ويندرج تحت التضحية، الصبر وتحمل المشاق، ونحو تلك الصورة تجسدها أم السارد عبد الله أبو داهش فيذكر لها موقفاً من المواقف الكثيرة،التي تحملت فيها كافة الاختبارات الصعبة،ففي اختبار إلهي حين سقط المطر بغزارة،ونزل معه برد كثيف أغرق المحصول وأفسده يتذكر أبو داهيش كيف صبرت أمه ،واحتسبت ذلك عند الله: ((انهمر المطر مع نزول برد كثيف لم تشهده البلاد من قبل ، وعقب توقف المطر وذهاب الغمام انطلقت – حفظها الله – إلى مزارعنا في حوزة القرية لتتفقدها وتبعتها في براءة ظاهرة حتى إذا

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٥١ .

(٢) السابق ، ص ٥١ .

وصلت إحداها، ألفت البرد قد أتى على المحصول وقد حان صرامه ، فقلبت كفيها في حزن ، وانطلقت نحو مطل صفا الصفحة وتبعتها حتى إذا أشرفت على مزارع قرى وديع انبسط نظرها نحو المشرق ، ثم استهل دمعها يتهاوى كأنه جان))[1] .

وكيف لا ينهمر الدمع وتتقلب الكفين في حزن ،وموسم الحصاد قد حان والمطر والبرد تعاونا على فتك المحصول والزوج والسند غائب في رحلة ، والعيال كُثر ، لكن الفرج مرتبط بالله ،فصبرت على ذلك فكانت أنموذجاً أمام الأبناء للصبر وتعلم تحمل المشاق .

يقول واصفاً حالة أمه تلك اللحظة:((نعم ! بكت لفوات الموسم وقد حان ، زاد في البكاء بعد والدي عنها ، ... لقد سكبت أمي دمعها بحرارة ، وحملت أداتها وعادت إلى المنزل وهي تغذ السير نحوه ، وقد نقص سعيها إليه ، لكي تفضي بحزنها هنالك في بكاء مستمر ، ودمع منهمر ، المحصول وقد ذهب ، والعيال كثر ، والوالد غائب ، والفرج فقط عند الله))[2] .

تبكي الأم لأنها مكلفة وخصوصاً في غياب الزوج بالاهتمام بالأبناء ورعايتهم والإشراف على تربيتهم، وهذا كله هو إحساس بمسؤولية الأمومة .

---

(١) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٢ .

فها هنا صورة لتجلد الأم من أجل الأبناء وتعليمهم معنى الصبر والتوكل على الله .

وقد ذكر الكاتب عبد الحميد مرداد علاقته بأمه البديل المرضع والتي لا تخلو من التماس مع مفهوم التضحية، فقد أجبرت الأم البديل المرضع على التخلي عن ابنها والذي نشأ في أحضانها، وتشكلت ذاته وسائر تفاصيل حياته على يدها .

وتخليها عنه كان من أجل أن يلتفت إلى تعليمه،وأن يكتسب التحضر والتمدن من عيشته في المدينة: ((فقلت لها بصوت خافت ما السبب في تأخر المرضع ؟ ... وأمك المرضع قد اشترطوا عليها أن لا تصل إلى هذا البيت مطلقاً خوفاً من التعلق بها وقصدهم من ذلك أن تنسى البداوة وتلتفت للتعليم والتحضر والتمدن))[1] .

وظهرت تضحية أمه المرضع بصورة أخرى عندما تكتمت عن رحلتها إلى موطنها (الزيمة) وأخذت تطمئن ابنها وتخبره بأنها ستأتي إليه بنفسها في حالة عدم السماح له بزيارتها ولم تخبره بأنها كانت مرغمة على ذلك من قبل أهله الحضر،يقول بذاكرة الطفل المحب:((وإذا لم يرسلك أهلك إلي ، فأني سآتيك بنفسي وآخذك إن شاء الله . تقول ذلك في الظاهر ولكنها تضمر الرحيل في الباطن للرجوع إلى وطنها ، وما هذا إلا من باب الطمأنينة ، وذلك ما كشفته

---

(١) رحلة العمر ، محمد عبد الحميد مرداد ، مكة المكرمة : مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي (د.ت) ص ١٣١ ، ١٣٢ .

في المستقبل .. إنها مرغمة على ذلك للظروف التي تحيط بها .. إنها كانت تحدثني وتبكـي ، وأسمع وأبكي ، ولا سلاح للمرأة والصغير إلا البكاء))[1] .

وأصبحت التضحية جزءاً من الأم البديل ، بل برزت وتـشكلت عنـدها وكأنها الأم الحقيقية المنجبة ويثبت هذا، قرارها ببيع أرضها التي هي موطنهـا والسكن في مدينة مكة المكرمة فقط من أجل ابنها الـذي أرضـعته : ((وأننـي قررت الهجرة إلى مكة من أجلك ، وسأشتري داراً صغيرة بها بدلاً مـن أرضي هذه))[2] .

وهذا سبب يدفع لتفضيل الأم البديل المرضع على الأم الحقيقيـة، فيقـول مرداد : ((لو خيرت بين الأم الحقيقية والأم المرضع والعمات لما فـضلت عـلى المرضع أحداً))[3] .

جـ - الأم الحريصة:

تمريض الأبناء والخوف عليهم من الحيوانات المفترسة :

نجد من صور حرص الأم،وحنانها تمريض الأبناء والخـوف علـيهم مـن الحيوانات المفترسة .

فالصورة التي رسمها الكاتب عبد العزيز الربيع لتمريض أمه له بعـد أن

(١) رحلة العمر،عبد الحميد مرداد ، ص ٩٨ .

(٢) السابق ، ص ٩٨ .

(٣) نفسه ، ص ٣٣٤ .

التفت إحدى رجليه على الأخرى وسقط سقطة عنيفة على عتبة باب الروضة عند زيارته للحرم،وهي صورة معبرة عن حنان الأم الفطري والحرص المزروع بوجدانها يذكر الربيع تفاصيل تلك الليلة يقول:((وقضيت ليلة ليلاء أمضتها والدتي بجانبي في التدليك والتمريخ وكل ما تعرف من وسائل العلاج))[1] وصنيعها هذا لا تبتغي من ورائه شيئا،إنما تفعله حبا،ومن غير الأم يمكن أن يتولى بالرعاية والسهر والبحث عن وسائل العلاج وتحمل المعاناة والتعب!! فهذه هي العاطفة الجياشة المسومة باسم الحب الحقيقي .

((وإذا عدنا إلى علاقة الحب بين الأم وولدها ، لتبين لنا أن حب الأم ولدها هو (الحب الحقيقي) الحب الذي لا تبغي الأم من ورائه مردوداً أو نتيجة ، إنما هو حب مغروس في أصل خلقتها إنه حب فطري جبلت عليه ولم تتعلمه))[2] .

وهاهو الحب الحقيقي يدفع بأم الكاتب عبد العزيز إلى تمريض جارتها ومساعدتها في شؤون بيتها،فهو لا يقتصر على الأبناء فقط،بل يتسع ليستوعب صديقاتها يقول:((كانت العلاقة بين أمي وجيرانها علاقة قوية متينة وهي علاقة تقوم على الحب والإخلاص واحترام الجوار ... مرضت هذه السيدة بالحمى ولازمت الفراش وأصبحت لا تقوى على القيام .... ومن الطبيعي أن

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٥٨ .

(٢) التربية بالحب ، د/ ميسرة طاهر ، مكتبة الكتاب العربي ، ص ٤ ، ٥ .

تضطلع والدتي بنصيب موفور في تمريض صديقتها ومساعدتها))[1] ؛

فأمه بتصرفتها الحنونة، والعطوفة هي مكان الأمن ،والعطاء واستيعاب الأسرة والجيران .

ومن الأسباب الرئيسة التي تدعو الأم للقيام بدور التمريض،هي مشاكسة ومغامرة الأطفال البريئة يذكر السارد عبد الكريم الجهيمان جملة من المواقف والمغامرات الطفولية التي استدعت تدخل الأم ،واهتمامها بالطفل يقول : ((لقد تعرضت في طفولتي لحوادث مفزعة كادت أن تودي بحياتي لولا لطف الله الذي أنقذني منها))[2] .

ومن تلك المواقف نزوله للبئر ليصطاد بعض الحمام .

((ونزلت إلى قاع البئر ووجدت حمامة في أحد الغيران وسددت عليها المنافذ حتى اصطدتها ومعها فرخها الوحيد))[3] .

وبعد اصطياده للحمامة جاء دور الصعود وكان النزول قد أخذ من جهده وقوته الشيء الكثير ولكن عندما أشرف على أعلى البئر فقد جميع قواه وفقد السيطرة على نفسه فسقط هاوياً إلى قاع البئر،يقول واصفاً تلك اللحظة العصيبة:((ومن حسن حظي أنني لم أرتطم بأحد جوانب البئر ولم اصطدم

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٤٤ .

(٣) السابق ص ٤٧ .

بشيء من الحجارة الناتئة ... بل وقعت على الماء وارتطمت به ارتطاماً شديداً لأن نزولي من حوالي عشرة أمتار))[1] .

والمغامرة في مثل تلك المواقف، تدفع للموت المحقق ولكن كما نطق الكاتب أنه لطف الله الذي أنقذه منها : ((وعندما وصلت إلى والدتي وجدتها منزعجة ... لأنها علمت بالخبر ... وتحسست جسمي فلم تجد كسوراً ... وإنما كان في جسدي جروحاً ... كما وجدت بعض الكدمات من آثار السقوط ... ولامتني على هذه المجازفة بحياتي))[2] .

وانزعاج الأم نابع من خوفها وقلقها على الابن المغامر الذي جازف بحياته من أجل حمامة .

وهذه المغامرات دائماً ما تكون على حساب صحة ونفسية الأمهات الحريصات:((جعلت والدتي تعالج تلك الكدمات والجروح بأنواع من الأدوية التي في حوزتها))[3] ،وهاهي الأم تقوم بدور التمريض وتسعى إلى محاولة إيجاد الأدوية التي تخفف عن ابنها آثار آلام السقوط .

ويبرز التمريض كثيرا في الحوادث الطفولية ـ أي في مرحلة الطفولة ـ يروي الكاتب عبد الرحمن السدحان عن حادثة سقوطه من الحمار والتي تسببت في كسر

---

(١) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٤٨ .

(٢) السابق ، ص ٤٩ .

(٣) نفسه ، ص ٤٩ .

ذراعه الأيسر حينما كان طفلا.

ويتطلب هذا الحادث عناية الأم وحرصها على التقيد بوصفة الشيخ محمد بن سبار أو استشاري الكسور كما كان يسميه الكاتب:((وكانت (وصفة الدوار) التي أسمعها والدتي تتلخص في وضع قدر من الزبيب في ماء بارد ليلاً قبل النوم ، ثم احتسى ذلك الماء في الصباح))[1] .

والأم تترجم مشاعرها الحانية وعواطفها السخية دائماً إلى أفعال محسوسة تأسر الطفل تؤثر فيه،وتعزز صفة الحرص الأمومي بداخله،مما يغرس الفرج بواجدانه البرئ:((وكانت والدتي هي (ممرضتي) ، وكان قربها مني طوال أيام (العلاج) عزاء وفرحة))[2]

من أشكال حرص الأمهات والإباء على أبنائهم،القسوة والضرب، فدائماً ما نجد الآباء يقسون على أولادهم ليحملوهم على منهج تربوي معين باستخدام القوة .

وهذا ما دفع الكاتب عبد العزيز السالم إلى التساؤل عن أسباب هذه القسوة برغم ثقته من حب والديه له يقول:((لماذا مع كل ذلك الحب الأبوي الأكيد تبدو على السطح ممارسات تأديبية كأنما تشعر الابن بأن والده لا يحبه لقسوة التأديب أو الأمهات فيه ؟!))[3] .

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ١٠٥ .

(٢) السابق ، ص ١٠٥ .

(٣) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز عبد الله سالم ، ط١ ، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م ، ص ١٥١ .

ويكشف عن الإجابة بأنها من العادات التي تورث للأبناء من قبل الآباء ((حتى أصبح نسقاً معروفاً بين الأسر ، وصفه ملازمة للوالدين))[١] .

وأغلب دور الأم في تلك الحالات ينحصر في منع الأب عن ضرب أبنائه،ومنع القسوة عليهم، أو تكتفي بتضمين الجراح الصادرة من قسوته كما هي الحال مع أم الكاتب حسن نصيف ((وإذا بالوالدة الوديعة التي لم تضربنا إلا مرات معدودات ، والتي كانت تضمد جراحنا بعد (علقات) الوالد))[٢] .

وهو يذكر أن ضربات أمه معدودات بعكس ضربات والده الكثيرة التي تؤدي إلى التضميد، فحنان الأم ممتد فطري .

والحوادث أما أن يكون الإنسان من مسبباتها أو الحيوانات التي تقاسم الإنسان بيئة .

ونظراً لوجود بعض الحيوانات في الأماكن التي كان يسكنها بعض الكتاب وهي حيوانات غير أليفة ، فان ذلك يثير خوف وقلق الأمهات على أبنائهن .

فعبد الرحمن السدحان كان يسكن في بيئة زراعية وفيها كلاب للحراسة ومن ضمنهم الكلب الطائفي الشرس الذي يخاف منه،يذكر ذلك الخوف

---

(١)ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز عبد الله سالم ، ط١ ، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م ، ص ١٥١ .

(٢) مذكرات طالب (حسن نصيف) ط٣ ، نادي جدة الأدبي ، ص ٣٠ .

بشيء من الفخر:((الخوف من كلاب منازل الطريق الزراعي ، وخاصة الكلب الطائفي))[1] .

وحدث في يوم خروجه للمدرسة أن التقى بالكلب الطائفي ((وجاء يوم لم يكن لي من المواجهة مع الكلب الطائفي بدّ ، وكانت الحق (أم المعارك) بين طفل بريء وكلب عقور))[2] .

ولم ينجيه سوى قطعة خبز ساخنة كانت تمثل مؤونة يومية .

((وحين رويت الواقعة لوالدتي – رحمها الله – ذلك اليوم ، لم تكد تصدق ما سمعت وأطلقت لدموعها العنان ، وهي تحتضن جسدي النحيل ، وقد (كافأتني) على شجاعتي في (مقاومة) الكلب والخلاص من أذاة بوجبة (إفطار) ساخنة))[3] .

والأم تستمع إلى فلذة كبدها بالدموع والاحتضان وكما يستشهد ابنها في موضع آخر من الكتاب بأنها ((شلال من الحب لا يعرف سره – بعد الله – إلا الأم))[4] .

وهذه الدموع والحب تعبر عن مشاعر الأم اتجاه طفلها، وعن محبتها له ،وخوفها

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) السابق ، ص ٨١ .

(٣) نفسه ، ص ٨٣ .

(٤) نفسه ، ص ٢٣٧ .

عليه،وحرصها : ((يتعلق بأمه لأنها ترضي حاجاته ، وبالتالي الطفل يتعلم أن الأم مصدر منح وعطاء ... فالنظام التفاعلي بين الأم والصغير يتأثر إلى حد بعيد بالاستجابات الأولية لهذا الأخير))[1] .

ومن هذا المنطلق فقد كشفت أم الكاتب السدحان هذا التفاعل بمكافأته بوجبة ساخنة تعبيراً على شجاعة ابنها ومقاومته للكلب .

وهذه المكافأة تعزز الثقة في النفس وتؤكد على أن فعله هو الصواب،ولذا استحق المكافأة عليه .

وتقرب حادثة الطفل الوديع عبد العزيز الربيع مع حادثة الكاتب عبد الرحمن السدحان ، فقد خرج يوماً ومعه لوح الخبز متجهاً إلى الفرن ليخبزه وفي أثناء مسيرته صادف كلبة سوداء ضخمة تنبح عليه وتريد مهاجمته .

((ولسبب غير مفهوم تركت الكلبة السوداء الضخمة ركنها وانطلقت نحوي كالسهم وهي تنبح نباحاً عالياً تريد أن تهاجمني))[2] .

فما كان من كاتبنا إلا أن أطلق ساقيه للرياح وخلف وراءه اللوح على الأرض . واتجه مسرعاً للبيت لتقابله أمه وهو يرتجف خوفاً ،فقص عليها ما حدث له وللخبز ، فكانت عاطفة الأمومة هي السائدة للموقف والموجهة

---

(١) الأمومة نمو العلاقة بين الطفل والأم ، د/ فايز قنطار ، عالم المعرفة ، سلسلة في يناير ١٩٧٨ .

(٢) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ١٨٨ .

له :((وهدأت أمي من روعي ثم قامت بسرعة ولبست ملاءتها وقالت لي : هيا بنا ... ووصلت أمي إلى المكان الذي سقط فيه لوح الخبز فأعادت الأرغفة المتساقطة إلى مكانها في اللوح ووضعت اللوح على رأسي وطلبت مني أن أعود للبيت))[1] .

والصدمة التي تلقاها الكاتب بأن الكلبة حين رأت أمه لزمت الصمت والهدوء ،ولكنه علل هذا الصمت والسكون بسبب خوف الكلبة من أمه :

((ولم أصدق عيني فإن الكلبة لزمت ركنها فلم تتحرك .. ولم أستطع أن أفسر موقف الكلبة إلا أنه خوف من أمي))[2] .

فقد استجابت الأم لابنها وأظهرت المشاعر لتهدئته والتخفيف من روعه ثم قامت مسرعة مع ابنها إلى المكان الذي سقط فيه اللوح ،وهي بهذا الفعل تحاول معالجة الموقف وإعطاء ابنها درساً عند تعرضه للمخاوف،وكيف سيواجه تلك المخاوف،وهدفها من ذلك ترويض الابن على كسر خوفه وتطويعه لصالحه .

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ١٨٨ .

(٢) السابق، ص ١٨٩ .

د – الأم المتسامحة والمتعاطفة : – الأم الملاذ

من صور مشاعر الأمومة،صورة الأم المتعاطفة،الأم الملاذ التي يلجأ إليها الطفل فتكون كالحصن المنيع تدافع عنه ،وتأخذ حقه وتجبر خاطره.

حكى عبد الرحمن السدحان في إحدى تصويراته عن أمه بأنها أم متسامحة تتعاطف مع مشاكله بسرعة،وتدافع عنه وقت الأزمات،فعندما يحدث اشتباك بين ابنها وبين أطفال شريكاتها يلوذ الابن بالحصن الدافئ وحينها تصبح الأم جبهة الدفاع عن ابنها أمام أصوات وضرب الشريكات :((فينالني من بعضهم ما ينالني من ضرب ، وتكون الدموع .. هي المرسى الأخير لمعاناتي ، ولما كانت والدتي لا تستطيع أن تراني باكياً ، فقد كانت تلوي باللائمة على مسببي الشغب لي من الأطفال ، لتنبري أمهاتهم دفاعاً عنهم ، وينشأ بسبب ذلك (اشتباك) صوتي بين الأمهات))[1] .

ونلحظ تعلق الأم بابنها ومحاولة الدفاع عنه والحرص على سلامته أكثر من تعلق الابن بأمه ((فأن معظم الباحثين يعتبرون تأثير الأم أكثر أهمية من تأثير الطفل في سياق التعلق .... فالأم جاهزة انفعالياً والمتمتعة بحساسية عالية في استجاباتها للطفل تمكنه من أن ينمي تعلقاً آمناً))[2] .

ونجد في صدر حنان الأم العفو والصفح عن ارتكاب الأخطاء الصادرة

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٤٤ .

(٢) الأمومة نمو العلاقة بين الطفل وأمه ، فايز قنطار ، ص ٤٦ .

من الأبناء فالكاتب عبد الرحمن السدحان يذكر حالة عفو وصفح أمه عنه حين تلقفته هستريا من البكاء وأخذ يرجم باب المنزل ، حتى استقبلته أمه بالضرب لقاء قذف الباب بالحجارة والتسبب في تجمع بعض أهالي الفضول . فأحس بالندم وجاء يعتذر لأمه ،فقبلت عذره باكية،وصفحت عنه بحب ورضا:((ثم أتجه إلى غرفة والدتي بنية (الاعتذار) منها ... والتماس عفوها ورضاها ، ... فتأخذني بين ذراعيها وتمطر وجهي بالدموع ، ونسيت وسط فرحتي (خطبة) العفو التي كنت أنوي إسماعها إياها ، وإعلان ندمي مما فعلت))[1] .

ولا ينحصر الحب والحنان والعطف،والملاذ من الحزن على الأم الولود بل يتجاوزها إلى الأم المرضع فـ(هيف) مرضعة الرحالة السعودي عبد الحميد مرداد قد تلبست الأمومة بكل صفاتها وأخلاقياتها

حين أخفت وفاة فيصل زوجها عن ابنها المرضع عبد الحميد والذي طالما كان يناديه بوالدي ((دخلت على حجرة والدي فيصل ... ولم أجده .. فتحيرت واندهشت وسألت أين هو ؟ فقالت الأم المرضع ، إنه مسافر إلى الطائف لينشد عنكم والحقيقة أنه توفي رحمه الله أثناء غيابنا ... لكن حبها وعطفها وحنانها جعلها تكتم سرها لئلا تزعج طفلها حبيبها بما لا يطيقه ولا يتحمله))[2] .

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ص ٤٦ .

(٢) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٨٣ .

وأسرت الأم المرضعة بحنانها وحبها وعطفها قلب الطفل الصغير الذي كان يذكرها ويحن لها حتى بعد عودته إلى أهله في المدينة فأصبحت بالنسبة لروحة الملاذ الآمن ،والقلب الحاني:((وجعل ينتظر أيام الأسبوع وكان اليوم عنده بعام كامل ويعد الثواني والدقائق من أجل يوم الجمعة وهو يوم السعد لأنه سيرى فيه الأم المرضعة حسب الميثاق والعهد الذي أخضعهم له ابن المرضعة))[1] .

ومن علامات حب الابن لأمه المرضعة أن الكاتب كان يسعد إذا ما نودي باسم أمه هيف يقول : ((وكان الاسم المحبب إلي : « ولد هيف » لأن أمي المرضع رحمها الله اسمها (هيف)))[2] ،وهذا دليل على مدى تمكن تلك الأم المرضع من قلبه ،وفكره ،ووجدانه فأضحت ملجأ لكل حياته.

وأما مربية الكاتب عبد الله أبو داهش فقد كان اسمها زانة بنت المشابك ، وهي امرأة استوثقها الأب لرعاية ابنه أثناء دراسته في المتوسط فاحتفظ الابن بذكريات عطفها عليه:((كان يحتفظ بذكريات عصيبة لم تكن بقليلة ولا هينة أعلاها عطف هذه المرأة عليه ، ثم عطف عليها بعد تخرجه من بعد))[3] .

قد تبينا تعدد صور مشاعر الأم التي جعلتها رمزاً للعواطف المشعة الصادقة ومرتعاً للأمان ،وملاذ للروح.

---

(١) انظر رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ص ١٣٠ .

(٢) السابق ، ص ٥٠٠ .

(٣) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٥٣ .

ولـذلك فـإن وجودهـا في الأسرة عظـيم المكانـة قـد يـسد مـسد فقـدان الأب،فالكاتب أحمد عطار يطمئن أخاه بعد فقـدان الأب بـأن الأم متواجـدة بحبها وحنانها وإحسانها:((لا تبك يا أخي ، فأنت بين يـدي أمـك العزيـزة ، حيث تحوطك جناحا الرحمة والحنان ، والشفقة والإحسان))[1] .

وأن عاطفة الأم وحبها أساس حياة الطفل ، لأن الطفل يتغذى من عاطفة الأم فتساعده على النمو لتقوية شخصيته ومهاراته العقلية .

وإذا ما فقد الطفل اهتمام أمه وعاطفتها فسيصاب بأمراض عضوية سلوكية .

((إن الحرمان من حنـان الأمومـة وعطفهـا وحبهـا يـؤدي إلى انحـراف الـسلوك ، حيـث أثبتـت الإحـصائيات أن نـسبة كبـيرة جـداً مـن نـزلاء الأمراض العقلية ونزلاء السجون قد حرموا من أمهاتهم في سنوات عمـرهم الأولى))[2] .

فحرمان الطفل من العاطفة والحب يؤثر عـلى شخـصيته ويـصبح إنـساناً خالياً من العاطفـة غـير قـادر عـلى إعطـاء الحـب والحنـان لأن فاقـد الـشيء لا يعطيه . فحرمان الطفل من العاطفة هو حرمانه من الشخصية المتعقلة الواعية .

---

(١) كتابي ، أحمد عبد الغفور عطار ، مطبعة أم القرى د.ت ، ص ١٥٧ .

(٢) موسوعة المرأة المسلمة تربية الأولاد وبر الوالـدين وصـلة الـرحم ، صـلاح عبـد الغنـي محمـد مكتبة الدار العربية لكتاب ج ٦ ، ط١ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، ص ١٨٨ .

هـ – الأم الصابرة:

اصطبار الأم على فراق الابن المسافر أو غير ذلك :

وهناك عوامل خارجية ساعدت على إظهار كـوامن وتـوهج عاطفـة الأم وهي سفر أو ابتعاث الابن للتعلم والدراسة في بلاد الغربة .

وهذا ما تجده عند الكاتب عبد الرحمن السدحان ، عندما سلط الضوء على الأوقات التي حاول فيها إقناع أمه بالبعثة إلى أمريكـا وأوضـح لهـا بـأن هـذه البعثة نوع من التكريم للمتميزين دراسياً وأن هذه الدراسة ستفتح له بعـد الله آفاقاً من المستقبل الواعد .

يقول في كتابه قطرات من سحائب الذكرى: ((فاتحت أمي بنية السفر إلى أمريكا للدراسة الجامعية مبتعثاً من وزارة المعـارف ، وأوضـحت لهـا أن هـذا الابتعاث نوع من (التكريم) للمتميزين دراسياً ، وأنه سيفتح لي – بإذن الله – آفاقاً من الجهد تحضيراً لمـستقبل واعـد بـإذن الله ، ولم تـدعني – رحمهـا الله – أكمل شرحـي ، فانخرطـت باكيـة ، وهـي (ترجـوني) بالكلمـة والـدمع أن أصرف النظر عن أمريكا ، وأن أبقى (قريباً منها) في المملكة ، قائلـة (كفـاني صبراً وأرقاً أن تعيش بعيداً عني في الرياض ، فكيف إذ سرى بك الطموح إلى البلاد البعيدة أمريكا) !))[1] .

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٢٣٨ .

وعبثاً حاول الابن الطموح إقناع أمه لكن الأم عانقت الدموع التي تعتبر من الوظائف المتعددة التي تقوم بها الأم لردع ابنها المسافر وفعلاً أدت الدموع دورها في تليين الابن عن موقفه الابتعاثي .

((وقد أفلحت دموعها رحمها الله في (تليين) موقفي في الابتعاث ، فقلت لها ، إذا كانت الدراسة في أمريكا ستسبب كل هذا العناء ، ..... فلا حاجة لي بها ، وسألتحق بدلاً من ذلك بجامعة الملك سعود في الرياض))[١] .

ولكن مع إلحاح الابن ، وتأييد الأب ، وبين العزيمة ،ورقة مشاعر الأمومة ، اختارت الأم الواعية بأن تتنازل عن مطالبها ورغباتها سائلة المولى أن يرجعه لها سالماً .

يقول مفجراً للحظة الموافقة ،واعلان الصبر:((سادت فترة قصيرة من الصمت ، قطعته والدتي قائلة في نبرة حنون لم يخنقها الدمع : ((.. إذا كان الأمر كما يراه والدك وتراه أنت ، فتوكل على الله ، سائلة المولى أن يعيدك إلي سالماً))[٢] .

وإن كان الفراق صعباً على الأبناء وهم في مرحلة عمرية واعية، وقادرة على تحمل أعباء السفر ،ومتفهمة لأسبابه ومسئولياته فكيف إذا كان الابن طفلاً سيخوض أول رحلة في العمر من أجل الدراسة في منطقة أخرى تعتبر

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٢٤١ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٧ .

بمقاييس ذلك الوقت منطقة نائية وبعيدة جداً، وانظر للكاتب عبد العزيز بن سالم حين يقول :

((أتذكر يوم الوداع لأول مرة في حياتي ، لأول رحلة أقوم بها، وأنا طفل صغير إلى بلدة أخرى في منطقة تعد في ذلك الوقت نائية وبعيدة جداً))[1] .

وطبيعي أن يذكر السالم يوم وداعه الأول لأن ذاكرة الطفل تسجل وتسترجع بدقة ما حصل لها في الطفولة، وهي ذكريات لا تنسى ، ومن الذكريات المسجلة في عمق ذاكرته لحظة وداع، وفراق أمه .حين انسكبت الدموع وأصبح بكاء ونشيجاً ودعاء من الأم يغسل كل آلام الفراق والدموع: ((وحانت ساعة وداع الوالدة ... ، ولا تسل عما حدث ، فقد انسكبت العبرات ، ثم تحولت إلى بكاء ونشيج لم يغسله سوى دعاء الوالدة ، وتجلدها أمامنا ، لكي تخفف عنا آلام الفراق ، وإن كانت تعاني داخلها حسرة عارمة لكنها كفت عن البكاء ، لئلا يؤثر على سفرنا))[2] .

لقد صبرت الأم وتجلدت على فراق ابنيها وهذا ما دفع الكاتب بأن يتساءل عن كيفية الصبر والتحمل :((وكيف تجلدت الوالدة الوالهة علي وعلى أخي ، وهي تضمنا ، وقلبها يتمزق لفراقنا ، ولكنها صبرت أمام هذا الفراق الحتمي))[3] .

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز سالم ، ص ٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) نفسه ، ص ٣٣ .

ويحكي الكاتب عن أسباب هذا الصبر والتجلد وعدم البكاء أمام ابنيها فيقول :

((وقد خشيت أن تضعف أمام ابنيها فتؤثر عليهما . لذا فقد تظاهرت بالتجلد وتذرعت بالصبر ، فهي تريد أن ترانا نبتاً مزهراً في حقل الرجولة المبكرة ، ومن أجل هذا الهدف السامي تحملت البعاد وبرغم ألم الفراق))[1] .

وحين تكتم الأم، عواطفها وتداري دموعها وحزنها، وذلك لغاية أدركتها تدفعها للتجلد والتصبر، فمن أجل مستقبل واعد يكون خارج أسوار القرية ،سوف تحصد ثمر ما زرعته ببصيرة وتماسك في مواجهة الفراق .

((حكمة الأم المربية التي تكتم عواطفها وتداري دموعها : بتجلدها لغاية نبيلة تدركها ببصيرتها ، وهي تنظر إلى مستقبل بعيد : هو المستقبل الذي لابد أن تعد أبناءها الثلاثة لمواجهته ، وألا تقنع ببقائهم بين أسوار هذه القرية))[2] .

وربما كان من أقسى الأمور على الأم أن تودع أبناءها، وأن تفارق الابن تلو الابن فقد سبق وأن فارقت أخاهم عبد الرحمن ولنفس السبب، لتأسيسه وتعليمه والآن لفراق الكاتب وأخيه .

((وقد سبقنا الأخ عبد الرحمن – رحمه الله تعالى – ولابد من خطوة أو خطوات تمتد بهم إلى حياة أفضل وتعليم أنسب ، ولم يكن السفر على الأخوين فيما بعد

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز سالم ، ص ٣٤ .

(٢) السابق ، ص ٣٤ .

سهلاً ، فهما يكابدان ما تكابد الأم من عاطفة جياشة))[1] .

وفي صورة أخرى للأم الصابرة يضيء الدكتور عبد الله أبو داهش في سيرته عن شخصية أمه، والتي تميزت بالقلق النفسي، الذي سببه فراق ابنها من أجل الدراسة والتعليم وترقب مسيرته في حزن مطبق وصمت .

((أما أمي فلضعفها إذ هي مفطورة على ذلك شأن النساء فكانت تراقب هذه المسيرة وهي مقيمة في دارنا بقرية الصفحة ، وفي قرية وديع من بعد عند العودة إليها من رحلة قد تطول ، وقد تقصر ، وعند تتبعها لأخبار ابنها وقد شط به البعد في رحلاته العلمية نحو الحواضر للدرس ... ، فكانت ترصد هذا الواقع ، وهي محزونة ، واجفة لبعد ابنها عنها))[2] .

وقد وصف داهش طبيعة المرأة ولاسيما (الأم) بالضعف وهذا ينتمي إلى الحقيقة الإنسانية والطبيعة الكونية .

وقد اكتفى الكاتب عبد الرحمن السدحان بعرض موقف أمه من البعثة دون التطرق لذكرى عودته منها، بعكس الكاتب عبد الله أبو داهش الذي ذكر فرحة الأم بعودة ابنها من الدراسة وسكب الدموع لرؤية ابنها :((ولقد ذكرت الآن وفادتي على أمي من الحجاز [تنومة] بعد عودتي من النماص موطن دراستي الإعدادية ، ... فما يهدأ روعها إلاّ وقد أبصرت ابنها بين

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز سالم ، ص ٣٤ .

(٢) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٢٧ .

ظهرانيها ، فيزيد فرحها وتنهل دموعها))[1] .

ويسوق حديث فرحة أمه بعد عودته من الدراسة فيقول : ((وأذكر كلام أمي من بعد ، وهي تقول إنها لم تسعد على حال من الحياة مثل سعادتها عند وفادة ابنها إليها يومئذ))[2] .

وإذا لحظنا أن أكثر ما يقلق الأم ويزعجها هو فراق ابنها عنها سواء كان للدراسة أو غير ذلك .

ويحكى الأديب أحمد عبد الغفور عطار عن رفض أمة لعرض العالم المراكشي حينما عرض عليه الصحبة والدراسة في مراكش ثم زواجه بأحدى بناته وبعثه إلى باريس يقول:((كنت أتردد على العالم المراكشي الذي كان معجباً بي وبأدبي وأسلوبي .... ، وعرض علي أن يصحبني إلى مراكش ويعلمني بها التعليم العالي ، فإذا انتهيت منه استعد أن يبعثني إلى باريس على حسابه لأتعلم بإحدى جامعاتها ، ووعدني بأن يزوجني إحدى بناته))[3] .

وأمام هذا العرض ورغبه عطار في العلم والمعرفة وعدم ارتباطه بعمل قرر الأديب القبول .

---

(١) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٢٩ .

(٢) السابق ، ص ٢٩ .

(٣) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ط١ ، بيروت : مؤسسة جواد للطباعة والتصوير ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م . ص ١٣٧ .

((وعندما وجدت نفسي بلا عمل وكانت صبوتي إلى العلم والمعرفة غير محدودة قررت أن أكتب للشيخ محمد عثمان المراكشي أخبره بموافقتي على عرضه))[1] .

وقد أتضحت رغبه أحمد عطار فماذا عن رغبة الأم ؟!

يسرد عطار ذلك:((وذكرت لأمي رغبتي في الكتابة إلى الشيخ المراكشي فأبت ، لأنها أدركت أو اعتقدت بأنني إذا فارقتها وتزوجت من ابنة الشيخ المراكشي وتعلمت في باريس فإن عودتي إليها غير مضمونة))[2] .

ونجد في هذه الصورة من الحنان الأمومي الفارط ما يجعلها ترفض، فالأم لا تذهب بفكرها إلى المدى البعيد لمستقبل ابنها بل تغلبها مشاعر الأمومة الصادقة .

وإن وجد ابنها الزواج والدراسة فأن الاستقرار سيحدث والرجعة إليها غير مضمونة .فسعت الأم إلى توفير هذا الاستقرار داخل مكة وتقيد ابنها بالزواج وأما العلم فليس هناك أفضل ولا أعظم من العلم بالمسجد الحرام : ((عرضت علي أمي الزواج فاعتذرت لها فلم تقبل ، وأصرت على أن أتزوج ، فقد أدركت أني أريد السفر لطلب العلم ، وهي لا تريد أن أبتعد عنها ، ولا تصدق أن في الدنيا علماً أعظم من العلم بالمسجد الحرام ، ورأت أن تقيد رجلي وتوثقني بمكة المكرمة فأصرت على زواجي))[3] .

---

(١) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) السابق ، ص ١٣٨ .

(٣) نفسه ، ص ١٤٠ .

فالأم التى تتسكنها فكرة الفراق،والغياب تدفع ابنها للزواج ،والاستقرار حتى تصل لغايتها وهي ضمان بقائه بقربها:((كانت أمي شديدة الاهتمام بالأمر حتى تطمئن إلى مستقبلي ، وتضمن بقائي))[1] .

والأم التي ظنت بأن الزواج هو الضمان الوحيد لبقاء ابنها بجوارها والزواج أقصى ما يملأ مخيلتها ،لكن الأقدار تفاجؤها بشأن آخر يكون الفراق فيه أكبر وأعظم من معضلة زواج أو دراسة إذ سنجد نوعاً آخر للفراق هو أصعب وأقسى من أن يتحمله مسافر برضاه،فكيف إذا كان المسافر معتقلاً ومرتحلاً إلى السجن والمنفى:((لو كان الإنسان مسافراً برضاه لهان الأمر هوناً، ومع ذلك يحزنه فراق أصله ووطنه ، فكيف وهذا المسافر يسافر مُجبراً ، يسافر إلى السجن والمنفى))[2] .

ويصور فداحة ما تشعر به الأم حين اعتقل ابنها وهي تخوض في أمر زواجه واستقراره .

فقد كان المشهد مؤثراً في لقاء الأم بأفكارها المنحازة إلى الخيال الأسود الموجع وبين الابن الذي لا يملك في سفره غير الإذعان والاستسلام .

((وبينا أصافح المودعين أقبلت والدتي يصحبها ابن خالي عيسى ديوان ، فما كادت تراني وتعلم أني مسافر إلى الرياض إلا وألقت نفسها علي تضمني

(١) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ١٤٢ .

(٢) السابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

بكل قوة لا تريد أن تتركني لهؤلاء الذين يريدون أخـذي منهـا إلى الريـاض ، وأخذت تبكي بكاء يتفطر منه القلب))[1] .

ويصور موقف أمه من عدم تقبلها فكـرة فـراق ابنهـا ، والـذهاب بـه إلى الرياض وقد خابت محاولته في تطيب خاطرها ، وتطمينهـا وظلـت متمـسكة بابنها إلى أن جاء عصبة من محارمها يطيبون خاطر الأم الملتاعة .

((وكنت أطيب خاطرها وأقول لها : إن الأمر سهل ، وليس علي أي أذى من هذا السفر ! ولكنها لم تطمئن وما تركتني إلا بعد أن جاء إخواني وأقربائي من ذوي محارمها يطيبون خاطرها ويطمئنونها))[2] .

هذا حال الأمومة تضخ المـشاعر الإنـسانية الـصادقة ، وحـال تلـك الأم الحنون التي تغمر ابنها بفيض حبها ودفء عواطفها ، وتعمل من أجل إسعاده واستقراره،وما لها في نهاية الأقدار إلا أن تذعن صابرة محتسبة.

أما حال الابن فيرويه الأديب يقول : ((وقبلت يـديها ثـم انكفـأت عـلى قدميها أمطرهما بقبلاتي ، وودعتها وركبت السيارة وعيناي معلقتان بها حتـى اختفت السيارة من أنظار المودعين))[3] .

والألم يحز في قلب الأم ، والدمع سائل لا يهدأ وهذا ما أثر في السائق الذي حضر ليأخذ ابنها إلى الرياض:((وكان سائق السيارة من مكة ، فلم يتمالك نفـسه

---

(١) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) السابق ، ١٤٩ .

(٣) نفسه ، ص ١٤٩ .

من التأثر لمنظر أمي وعويلها من الحـزن وتـذراف الـدمع ووجهـه يعـبر عـن حـزن صادق))[1] .

وقد أوحت أم الأديب أحمد في بعض المواقف بذلك القدر من المعاناة التي كانت تتحملها حين يغيب عنها ابنها .

والأم حين توضع في المواقف المتطلبـة للرحمـة والاسـتنجاد سـتجد أنهـا الوحيدة القادرة على التأثير والإنقاذ . كما فعلت أم الأديب أحمد عبـد الغفـور عطـار حين انقذت ابنها من السجن بإرسالها برقية تستعطف فيها الأمـير فيـصل وجلالـة الملك عبد العزيز رحمهما الله وترجو العفو عن ابنها وإطلاق سراحه .

((ونادى الملك ابنه فيصلاً فأقبل إليه فسأله عنـي فـشهد لي سـموه ، ... وقال سموه : إن والدته أبرقت إلي تعلمني أنها أبرقت إلى جلالتكم تستعطفكم وترجوكم العفو عن ابنها وإطلاق سراحه ، والأمر لله ثم لكـم ... وأصـدر جلالـة الملك عبد العزيز أمره الملكي بالعفو عني عفواً عاماً))[2] .

وبذلك تكون برقية الأم الصادقة هي الخلاص من السجن .

والشعور بالألم المضني من فراق الأبناء لا ينحصر على الأمهات المنجبات أو الوالدات بل تقاسمهم في ذلك الشعور الأم المرضعة .

---

(١) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ١٥٠ .

(٢) السابق ، ص ٣٠٠ .

فمرضع الكاتب عبد الحميد مرداد تتأوه وتتوجع لفراق ابنها الذي سيتجه إلى أهله وتناجي ربها وتسأله الصبر على فراق ابنها:((أنها ليلة حزينة كئيبة ما أطولها وما أقصرها وما أشأمها – إن أمي المرضع تتقلب وتتأوه وتناجي ربها وتدعوه وتسأله الصبر على فراقي وتتناوم لتجعلني أنام))[1] .

والمرضع ترسم ملامح الأمومة الصادقة بادعائها النوم كي ينام الصغير . ويظل الكاتب يصف حالها في تلك الليلة ويفصح بأنها لم تنم ليلة فراقه، وأخذت تقول لجارتها وصديقاتها ليس من المعقول بأن تتفاجأ بفراق ابنها بعد طول سنين وأن يخطف يدها دفعة واحدة[2] .

((أنها لم تنم تلك الليلة وإني اسمعها تدعو ربها وتسأله العوض والتصبر على الفراق))[3] ولا سلاح للأم إلا البكاء والتصبر .

و – صورة الأم السلبية (الغيرية) :

* إذا كان ما مّر بنا من صور كلها تقع في دائرة ((الأم)) الحقيقية التي تنضح عاطفة ، وحناناً ، وذاك في ظني أمر طبيعي لأنه يصدر عن صورة الأم التي ينبغي أن تكون ، فإننا هنا أصادف صورة أخرى، هذه الصورة لا تنتظم فيما قدمته من صور للأم السابقة ، ولم تكن من الكثرة ،لأنها لم تكن صورة لأم

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٩٧ .

(٢) انظر : السابق ، ص ٩٧ .

(٣) نفسه ، ص ٩٧ .

أحد الكتاب بل كان الكاتب عبد العزيز الثنيان يومي بها من طرف خفـي في سـيرته بوح الذاكرة ،فالصورة تجسدت في قصة حكاها الثنيـان عـن مـدير أحـد المـدارس حيث أخبره بوجود سيجارة في جيب طفل في الثامنة من عمره وعنـد اتـصاله بالبيت وحدثته أم الطفل فأخذ يبلغها باسـتنكاره ،وتـأثره مـن هـذا الـسلوك المشين وطلب منها مراقبة الطفل قبل أن يستفحل الأمر وأما من جهة المدرسة فسوف تبذل سعيها لعلاج الطفل وتقويمه[1] .لكن المفاجأة في ردة فعـل الأم يقول مدير المدرسة : ((إن المفاجأة كانت بعد انتهاء المكالمـة ! فقـد قالـت الأم : على رسلك يا هذا ؛ فنحن الذين شجعناه على ذلك ؛ لأننا لا نريد أن يظل ابننا شـاذاً في البيت ، بل نريد أن نعوده على ذلك السلوك الذي أزعجك ؛ فالبيت كله يـدخن ! وأنهت الأم المكالمة !))[2] .

وما كان من مدير المدرسة إلا أن أخبر الكاتب عبد العزيز الثنيان وطلـب منه المشورة والرأي كونه مديراً للتعليم .

((وكان جوابي أن يعيد الكرة مع الأب ، فقد لا تكون المتحدثة الأم ، ولكنه أفاد بخيبة أمله في الأب ، وأن الطفل أخبره أن أمه تدخن))[3] .

---

(١) انظـر : بـوح الـذاكرة ، عبـد العزيـز الثنيـان الريـاض : مكتبـة العبيكـان ، ط١ ، ١٤١٩هــ ، ج١ ، ص ١٠٢ .

(٢) السابق ، ١٠٢ .

(٣) نفسه ، ١٠٢ .

ونجد الأم كما اتضح لمدير المدرسة بأنها مدخنة ،وهي صورة سلبية لمربية الأجيال وحاملة رسالة الأمومة ،وفوق هذا فهي لا تبالي بصحة طفلها فالأهم عندها أن يكون سلوكه متماشياً مع سلوك الأسرة حتى وإن كان ذلك السلوك خاطئ.

والحق أن هذه الظاهرة لا تنطبق على الصفات الملتصقة بطبيعة المرأة بشكل عام والأم خاصة لكن صدوره من الأم أمر مستنكر ومرفوض و مما دعى الكاتب إلى استنكار هذه الحالة ، ولاسيما أن الأم هنا حين وُجهت بأمر تدخين أبنها ، رأته أمراً عادياً ، وطبيعياً فهو نابع من سلوكيتها فلا غرابة أن يدخن أبنها ، وهذا مخالف لرسالة الأمومة التي يسعى الكتاب إلى إرسائها في حديثه عن طبيعة الأم وإنسانيتها .

واللافت للنظر أن أغلب الكتاب لم يذكروا في سيرهم الذاتية صور سلبية لهم أو لأمهاتهم بصورة خاصة .

ولعل ذلك راجع لسبب ذكره الدكتور عبد الله الحيدري في كتابه السيرة الذاتية في الأدب السعودي ((هو ارتباط مفهوم السيرة الذاتية لدى بعض من أدبائنا بالاعترافات لذلك رأى هؤلاء القوم أن هذا الفن لا يناسب بيئتهم ، ولا عاداتهم ، ولا تقاليدهم من منطلق أن المؤمن مطالب بستر نقائصة وذنوبه ، وألا يفضح نفسه أمام الآخرين ما دام في ستر الله ، والله لا يحب الجهر بالسوء))[1] .

---

(١) السيرة الذاتية في الأدب السعودي ، عبد الله الحيدري ، الرياض : دار طويق للنشر والتوزيع ، ص ١٦٨ . ط٢ ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣ .

وهذا التصور أثبته السارد أبو عبد الرحمن الظاهري في مقدمة كتابه حيث قال : ((إلا أن المطلب النبيل عسير جداً قد يكون متعذراً وذلك أكثر من متعسر – عند الشرقي المسلم الذي أوصاه ربه بالستر على نفسه إذا ضعف ، وأن يطلب الستر من ربه في حياته ويوم يقوم الأشهاد))[1] .

وفي رؤية قريبة من ذلك يؤمن بها الكاتب علي العمير ويؤكد أنه ((لا ينبغي أن يذكر الإنسان كل شيء وكل حدث وكل قصة .. إن هناك ما ينبغي ستره كعورات النفس والسلوك وإن زعم بعض من كتبوا عن حياتهم ويومياتهم أنهم كتبوها كما هي)) [2] .

وهذا عكس ما طالب به أحد الكتاب ممن أعلنوا ارتياحهم لهذا اللون من الكتابة (السيرة الذاتية) : ((أما أنا فإنني شديد الشوق إلى هذا اللون من الكتابات ، يشدني إليها تبسط المحدّث واعترافه)) [3] .

ي – فقدان الأم :

من صور الأم التى تجلت في السيرة الذاتية ،وعبر عنها بعض كتابها بصدق ، صورة فقدان الأم،وصورة فقدان الأم تبرز أحاسيس ومشاعر نقص

---

(١) تباريح التباريح ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، ص ٧ .

(٢) أدب وأدباء ، علي العمير ، جدة : دار العمير للثقافة والنشر ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م ، ص ٤١ .

(٣) السابق ، ص ٤١ .

الأمومة لدى الكتاب بطريقـة جليـة فنجـد لـدى بعـضهم نقـصاً في عاطفـة الأمومة، ومن ثم يترتب على ذلك الإحساس بالحزن والكآبة بسبب فقـدانهم المبكر لعاطفة الأمومة مثل غازي القصيبي عنـدما فقـد والدتـه بعـد ولادتـه بتسعة أشهر ((ولدت في بيئة مشبعة بالكآبة ، توفي جدي لوالدتي ، رحمه الله ، قبـل ولادتي بـشهور ، وتوفيـت والـدتي ، رحمهـا الله ، بعـد ولادتي بتـسعة شهور))[1] .

هذا الاستنزاف المبكر للأمومة جعل الدكتور غازي القصيبي يلقب نفسه باليتيم ويصف السنوات الخمس الأولى من حياته بالحزن ،و الوحـدة، وبأنهـا مشوبة بالحزن والكآبة، معيداً لفقدان الأم والتـي تـسعى باهتمامهـا لإنتـشال الحزن ونشر الفرح مما يبني اتزاناً للحياة بشكل عام :يقول بأسلوبه الرشـيق:((ترعرعت أتأرجح بين قطبـين رئيـسيين : أولهـما ، أبي رحمـه الله ، وكـان يتـسم بالشدة والصرامة ... وثانيهما ، جدتي لأمي رحمها الله ، وكانت تتصف بالحنان المفرط والشفقة المتناهية على « الصغير اليتيم » أستطيع أن أقول إن حصيلة السنوات الخمس الأولى من حياتي كانت وحدة مشوبة بالحزن))[2] .

وممن حرم الأمومة الكاتب حسن كتبي فقد أمه مبكراً وهو طفل صغير لا

---

(١) في الفكر والأدب دراسات وذكريات ، حسن الهويمل ، المدينة المنورة : النادي الأدبي ، ط١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ١٨٧ .

(٢)حياة في الإدارة، غازي القصيبي، ص ١٢ .

يدرك شيئاً ((لم أعرف شيئاً عن والدتي إلا بطريق السماع فقد توفيت وتركتنا صغاراً لا ندرك شيئاً عن حياتنا))[1] .

فهو إذن لم يعرف أمه ولهذا فقد كانت صورة الأم لديه غائمة ويحاول كشفها عن طريق الاستماع إلى صفاتها ومناقبها يقول : ((ولكني سمعت عنها صفات جمه تنم عن ذكاء قلب ، وصفاء نفس وكسب لحب جميع عارفيها))[2] .

فهي صورة مكتسبة من الآخرين من الذين عايشوها في حياتها .

هذا الفقد حرمه – كما يصور – من العواطف التي ترتقى بالطفل وتسهم في بناء شخصيته ، وتعزز القيم الأخلاقية بداخله.

ومن الكتاب من يذكر وبدقة وفاة أمه ويؤرخه كالكاتب أبو عبد الرحمن الظاهري حين قال : ((وفدحت بوفاة أمي وسني صغيراً جداً عام ١٣٧٢هـ))[3] .

وفي موضع آخر يذكر عمره حين فارقته أمه وكان عمره أربعة عشر عاماً

((لأن أمي رحمة الله عليها ماتت وعمري أربعة عشر عاماً))[4] .

---

(١) هذه حياتي ، حسن محمد كتبي ، جدة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط٢، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٢م ، ص ١١٢ .

(٢) السابق ، ص ١١٢ .

(٣) تباريح التباريح ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، ص ١٢٦ .

(٤) السابق ، ص ١٢٩ .

وفقدان الأم في هذا العمر أصعب وأقوى حيث تم الانسجام والالتحام الحميم بين الأم والابن ونشأت ونمت بينهما عاطفة الأمومة ، على عكس من فقد والدته في سن أصغر فمشاعره نحوها تختلف في التصور، لأنه لا يذكر من حياته معها سوى القليل .

ومن الذين عانوا من فقدان العاطفة الصادقة وقوة الحب والحنان الكاتب عبد الفتاح أبو مدين يقول بصوت حزين : ((ولم تطل حياة والدتي ، فقد انتقلت إلى رحمة الله . وأشهد أن وفاتها .. عليها رحمة الله ، قد ترك لي فراغاً وأي فراغ))[1] .

الأم التي لا تنس وبفقدها يخلع الإنسان من جذوره ويتزعزع في داخله توازنه الروحي لهذا نجده يقول :

((إنه امتحان وأي امتحان ، ولكن الجوار الكريم .. يخفف من ثقله ورهقه ... ترك لي وحشة كبرى ، وضاقت علي الأرض بما رحبت .... وقد ذهب الصدر الحنون الحاني ، وتركني في غربة ، لا أهل ولا علم ولا مال ولا زوج))[2] .

ويصف مرارة فقدان أمه وحزنه على فراق الأمومة الغالية :((كانت مرارة ، وكان بكاء مراً وحزناً ، لأنه فراق من أحب ومن يحبني بأغلى من

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ١٣٣ .

(٢) السابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

نفسه، ويتمنى أن يهبني الحياة ويذهب لأبقى))[1] .

وهو امتحان أقسى وأعنف كونه منبع الحب والحنان الصافي والوحيد لدى الكاتب ((ذهب من أحب ، ومن يحبني بلا حساب ، مضى الصدر الحنون والقلب الحاني ، والجوارح التي تتألم لألمي ، وتخشى عليّ هبوب الرياح، وترتعش خاشعة لخالقها بأن يقيني ويحميني ويعافيني ويغنيني ويسعدني ولا يشقيني))[2] .

ولا ينهي الكاتب حديثه عن مشاعره تجاه فقدان أمه إلا بذكر كيفية الوفاة فيقول: ((وقصصت عليهم أمر وفاتها المفاجئ الذي لم أشهده ، ذلك أننا نمنا ليلاً معاً كعادتنا ، وفي الفجر ذهبت إلى المسجد النبوي ، ولما عدت لم أسمع صوتها .... ولما صعدت إلى حيث تنام .. كلمتها فلم ترد علي . فهززتها ، فكانت جثة هامدة ، ففزعت وبكيت بحرقة))[3] .

ومن هذا نستدل على مكانة أم الكاتب وعلو شأنها وكيف أثر فقدان الأم على ابنها !! ولكن هناك شيء كان يصبر الكاتب عبد الفتاح أبا مدين ويجعله مدعاة للفخر دائماً وهو يردد قوله : ((هنيئاً لها فقد نامت في جوار كريم .. ما أكثر المسلمين الذين يتمنونه ، وقد أتيح لها من غير تعب ولا عناء .... ،

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ١٣٥ .

(٢) السابق ، ص ١٣٥ .

(٣) نفسه ، ص ١٩٨ .

وماتت موته هنيئة ، ربما تمناها الكثير ، فهي لم تمرض ، ولم تتعب أحداً ، ولم تتألم ، نعم الفراق مر ، لكن لا مفر من الموت والأجل وقدر الله))[1] .

لقد عرض الكاتب عبد الفتاح أبو مدين تطور مراحل فقدان الأم فـأنهى هذا الحب الجارف إلى فراق ليس بعده لقاء ، وخزن للذاكرة أياماً وسنوات من الحب والصفاء التي أشرقت عليه ، جسدها لنا في سيرته بطريقة موجعة ، وبالحب الممتزج بالفخر والنضال والاعتزاز بهذه الأم المناضلة حتى الموت .

واللافت أن الكاتب محمد حسين زيدان لم يذكر لنا عن والدته في سيرته الذاتية ، لكنه لم ينس ذكرها في إحدى خواطره المجموعة في كتاب خواطر مجنحة ، ولنا أن نستعيد هنا ما باح به الكاتب بصدد فقدان أمه في بوحه (يا أمي) :((لقد كنت طفلاً ، ماتت أمي ولم أقل لها (يا أماه) لأنني لم أعرف معنى الأم وإن كنت حظيت بحنان الأمومة ، لم أقل (يا أماه) في طفولتي الخضراء وفي شبابي النضر وكهولتي .... وامتلكني حزن))[2] .

فقد الأم هو فقد الأحاسيس الصادقة ورهافة المشاعر .

ويعيش الكاتب معاناة هذا الفقد فيقول :((كانت طفولتي خرساء لا عن مرض وإنما لأن أمي ماتت ولم تقل لي (تأتي تأتي خطي العتبة) ، ... لم أقل (يا أمي) الكلمة التي يفرح بها الطفل وتفرح بها الأم))[3] .

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ١٩٨ .

(٢) خواطر مجنحة ، محمد حسين زيدان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م ، جدة : تهامة ، ص ٧٠ .

(٣) السابق ، ص ٧٠ .

ويتجلى من النص روح الفقد في صورة شعرية حركية عالية حيث يـصور الكاتب صورة الفقد في بعدين قـولين، الأول (تـأتي تـأتي) خروجـاً بـالقول الفعلي فنلمس حركة الصورة في القول المشير لفعل تشجيع الطفل على المشيء (خطي العتبة) .

والآخر : في شعور الفقد المتبادل بين الطفـل والأم بفقـد كلـيهما (معنـى الأمومة) المشتركة فالأم تفرح بكلمة (أمي) والابن يفرح بقول : أمي ولكن الزمن كان أسرع لخطف الفرحة من كلاهما ليعيش الابن بحسرته وتموت الأم بحسرة مضاعفة .

وقد عجز عن نطق كلمة حبيبتي لأن الأم هي الحب فيقول :

((وكلمة (يا حبيبتي) لم أجرؤ أن أقولها لواحدة أو لأي أحـد ... فـالأم هي الحب ، فكأنما هي حين ضاعت مني أضاعت اسـمها الثـاني (الحـب) .. اسمها الثاني (الحبيبة)))[1] .

مؤكد أن الأم هي الحب، لأنها أقدر على العطـاء العـاطفي ، وأكثـر وفـاء وتوحداً وإخلاصاً ومن النادر أن نجد صفات كهذه في غير الأم .

وقد يتضح لنا صعوبة فقدان الأم من خلال المقلب الذي صدم بـه محمـد بادكوك صديق الدكتور حسن نصيف بمناسبة أول إبريل .

---

(١) خواطر مجنحة ، محمد حسين زيدان ، ص ٧٠ ، ٧١ .

حين استلم الابن محمد بادكوك برقية مزيفة تحمل خبر وفاة أمه وموقعة من رفيق أخيه من جدة . فيروي الدكتور حسن نصيف الأحداث ويقول :

((وبعد أن أخطرنا أخذنا نستعد للنزول إلى الفصول الدراسية ... ودخل علينا ساعي البرقيات يحمل برقية موقعة من محمد علي أبو داود بجدة))[1] .

وأخذ البادكوك في البكاء والنحيب حتى أبكى من حوله من الطلاب والأساتذة:((أخذ البادكوك يبكي ونحن معه وأساتذته وزملاؤه يعزونه))[2] .

وما كان من البادكوك إلا أن تحمل نصب السفر في الظهيرة والطرق غير المعبدة والتصبر على فقدان الأم المفاجئ .

فلما وصل إلى البيت وجد أخاه عبد الرحمن وكان أصم فسأله عن الجنازة وموعدها فرد بأن لا علم لي .

((وأخذ في البكاء والعويل وصعد الأخوان وهما يبكيان وعبد الرحمن أكثر بكاء وعويلا ... ووجدا والدتهما تتوضأ فانكب عليها محمد مسلماً باكياً بينما جلس عبد الرحمن على الأرض منتحباً))[3] .

ويبن هذا المشهد بأن فقدان الأم أمر صعب ، فقد لاحظنا قلقاً وبكاء وعويلاً وحزناً إلى جانب تحمل المشقة مشاق السفر، لأن البادكوك يدرس في مكة ولمجرد معرفته لخبر وفاة أمه التى تسكن في جدة تكابد كل هذا العناء .

---

(١) مذكرات طالب ، حسن نصيف ، ص ٤١ .

(٢) السابق ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٣) نفسه ، ص ٤٢ .

حضور الجدة :

يبدو أن ظهور صورة الجدة في السيرة الذاتية معدود إذا ما قيس بصورة الأم ، وإن ظهرت فإن ظهورها يكون وليد اللحظة أو فكرة طارئة في ذهن الكاتب ونادر جداً ما يكون ظهورها مرتبط بحالة وحياة الكاتب ، وبعض الكتاب يركز الحديث عن نفسه من هنا فلا نجد أي إشارة للجدة ، ومع ذلك فقد وجدنا بعض الكتاب يُشيرون للجدة .

ومما ساعد على تأكيد فكرة مركزية الأم ، والإيمان الكامل بالدور الإيجابي الذي قدمته الأم في حياة الكاتب وتوظيفها في السيرة ، ما هو إلا سبب النظرة إلى الأم باعتبارها منتجة للأبناء ومربية لهم أكثر من كونها طرفاً في علاقة إنسانية داخل مؤسسة رئيسية في المجتمع ، كالجدة مثلاً .

ومن العوامل المؤثرة في قلة ظهور صورة الجدة في السير الذاتية هي عملية الانتقاء التي يقوم بها كاتب السيرة للأحداث والمواقف الأكثر أهمية في حياته ويراها مثيرة ومغرية في حياته،وتستحق أن يطلع عليها القارئ فتثيره وتأثر فيه .

((لا يمكن لشخص ما أن يكتب عن حياته إن لم يكن فيها عامل يثير اهتمام الناس ، فالشخص العادي الذي يعيش حياة عادية رتيبة ماذا لديه ليقدمه للقراء))[1] .

---

(١) السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر ، أمل التميمي ، الدار البيضاء، المغرب ، مركز الثقافي العربي ، ص ١٢٧ ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

وندخل بهذا في جانب تلقي السيرة ، فالموضوع وشهرة صاحب السيرة هي الدافع لنجاحها وشهرتها وانتشارها وتلقيها بين القراء .

وقد أشار جورج ماي إلى هذه النقطة عندما ذكر ((أن كاتب السيرة الذاتية في أغلب الأحيان يكون إنساناً معروفاً قبل أن ينشر سيرته الذاتية))[1] وليس شخصاً عادياً يعيش حياة عادية ، فالشهرة تعني أن لديه شيئاً ما يمكن أن يقدمه للقارئ .

وقد ينشغل كاتب السيرة عن ذكر جدته بالحديث عن ذاته بوصفها وتتبعها والدفاع عنها وأحمد السباعي من الذين اهتموا بالشخصية الذاتية ، وأولاها عنايته الخاصة ، وهو ما ذكره الدكتور عبد الله الحيدري في كتابه (السيرة الذاتية في الأدب السعودي) يقول :((والسباعي لا يولي شخصياته عنايته فحسب ، بل يولي شخصية البطل – وهو نفسه – عناية خاصة ، حيث نجد دقة في تتبع أطوار شخصيته ونحوها))[2] .

والكاتب زاهر عواض الألمعي في رحلة الثلاثين عاماً ، رحلة لم يسجل فيها أي صورة من صور المرأة . وقد استعرض الدكتور عبد الله الحيدري كتابه كاملاً باباً باباً ولم يكن للمرأة حضوراً في تلك الأبواب،مما يدل على طغيان

---

(١) السيرة الذاتية ، جورج ماي ، تعريب محمد القاضي ، وعبد الله صولة . قرطاج : بيت الحكمة ١٩٩٢م ، ص ٣٨ .

(٢) السيرة الذاتية – في الأدب السعودي ، عبد الله الحيدري ، ص ٢١٥ .

الذاتية على أي شخصية أخرى في سيرته.

((لقد حوى الكتاب أربعة وستين موضوعاً ما عدا المقدمة والخاتمة ، ففي بدايته تحدث عن مسقط رأسه .... ، ثم تحدث باستفاضة عن مراحله الدراسية : .... ، كما خصص حياته العلمية بنصيب وافر))[1] .

ونجد سبب ندرة ظهور صورة المرأة بشكل عام، والجدة بشكل خاص في السيرة الذاتية : هي المواضيع المطروحة من قبل كتاب السير الذاتية ذوي المكانة الاجتماعية أو السياسية أو الأدبية عموماً . حيث اهتم بعضهم بأوضاع الحياة الاجتماعية التي يعيشونها ، فسجلوا الأحداث والأزمات التي مر بها المجتمع .

فقد صورت نصوص حمد الجاسر موسوعيته واهتمامه بالتاريخ وجغرافية الجزيرة العربية ،و ألواناً من الأحداث التاريخية الحية .

وتختزن ذاكرة محمد حسين زيدان الكثير من الأحداث التاريخية بل يعده البعض من الكتاب الموسوعيين ، أو « الموسوعة التي تمشي على قدمين »[2] كما سماه عبد الله الجفري .

---

(١)السيرة الذاتية – في الأدب السعودي ، عبد الله الحيدري ، ص ١٠٤ .

(٢) الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان (كتاب الاثنينة ٢٤) ، جدة : عبد المقصود خوجة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م ، ص ٣١٦ .

الجدة :

تمثُل الجدة لبعض كتاب السير الذاتية الصدر الحاني والملجأ الكبير ، وتترك أثراً واضحاً في حياتهم وإبداعتهم .

فتشكيل رؤية غازي القصيبي لشعرية المرأة وصورها ناتجة عن أثر البيئة الأسرية والاجتماعية .

يقول بأن : ((المؤثر الأول والأخير في شعر الشاعر هو حياته نفسها بكل ما تحتويه من أحداث ووقائع))[1]،وحياته ما انفكت شعورياً عند جدته التى رعته بعد وفاه أمه ،وشكلت أحداث حياته،وارتبطت هذه الأحداث والوقائع برابطة قوية مع الجدة ، وساعده على ذلك الإيمان التام بالدور الذي قامت به جدته في حياته التي عاشها بدون أم :

((عاش القصيبي محروماً من رعاية الأم وحنانها ، فقد توفيت ولّما يبلغ السنة الأولى من عمره ، ومن ثم تولت تربيته جدته لأمه التي قامت مقام والدته على توفير الرعاية والحب والحنان ، له ولجميع إخوانه))[2] وهذا كان له الأثر البالغ في تكوين شخصيته الشعرية والأدبية ، كما سنرى لاحقاً .

ولابد أن تترك تربية الجدة أثراً واضحاً في حياته وشعره ، فقد ذكر أنه

---

(١) سيرة شعرية ، غازي القصيبي ، تهامة ، جدة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ص ٣٨ .

(٢) صورة المرأة في شعر غازي القصيبي ، أحمد بن سليمان اللهيب ، دار الطليعة الجديدة ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٨ .

تربى على يدها والتربية هي أساس تكوين أي شخصية إنسانية : ((تكفلت بتربيتي جدتي لوالدتي وكانت في حالة نفسية بالغة الكآبة بعد فقد زوجها ثم ابنتها الوحيدة .... ومن هنا فإن مهمة تربيتي قد تركت نهائياً في يد جدتي التي قامت بها خير قيام ، رحمها الله وجزاها عني وعن إخوتي خير الجزاء))(١)

ولعل تأثير الجده كان ذا بعد واضح في أدبية الشاعر غازي القصيبي فهاهو يصف لنا بأسلوب شيق مدى خوف جدته عليه واهتمامها البالغ به :((جدتي على أثر التجارب القاسية التي مرت بها كانت تخشى علي كل شيء : تخشى علي المرض أيام العافية ، وتخشى علي الموت أيام المرض ، تخاف أن أضل طريقي إذا ذهبت ألعب في الشارع ، تتصور أنني أشلاء ممزقة تحت دواليب سيارة إذا تأخرت في المجيء من المدرسة))(٢) .

((ولاشك اليوم أن هذا النوع من التربية أفاض عليه من الحنان والمحبة ما جعله ينسى نهائياً أنه فقد أمه ، وتركه بقدر من الحساسية المفرطة التي تخاف وتتوجس وتقلق حتى عندما لا يكون ثمه داع للتخوف والتوجس والقلق))(٣) .

ويرى أحمد اللهيب أن هذه النشاة أثرت على شعر القصيبي وجعلته

---

(١)صورة المرأة في شعر غازي القصيبي ، أحمد بن سليمان اللهيب ، ص ٤٧ .

(٢) سيرة شعرية ، غازي القصيبي ، ص ٤٧ .

(٣) السابق ، ص ٤٧ .

شاعراً ذا مواقف متباينة وتعقيدات نفسية متعددة . يقول :((لقد أحدثت هذه النشأة أثراً بالغاً في حياة القـصيبي ، فجعلـت منـه شـاعراً ذا مواقـف متباينـة وتعقيدات نفسية متعددة ، فتارة يرسـم لـك صـورة للحـزن رائعـة وأخـرى تفيض فرحاً وسروراً))[1] .

فهو ابن الجدة ، ويتأثر بها وتظهر ملامحها جلية بـارزة في سـلوكه وشـعره ويوكد دور جدته من جديد ، عند فقدها ورحيلها عن الحيـاة وشـعوره لأول مرة باليتم ومعنى فقدان الأم .

« عندما عرفت بوفاتها شعرت لأول مرة باليتم ومعنى فقدان الأم . لقـد كتبت في رثاء جدتي قصيدتين ، إحداهما منشورة في الديوان ، أما الثانيـة التـي تصف الساعات العصيبة التي قضيتها قبل أن أعرف بالوفاة فلم أنشرها بعـد تقول القصيدة :

((حبيبتي

الليل مطروح على الخيام

وفي يدي رسالة

سطورها تهتز في ضوء النجوم))[2] .

---

(١) صورة المرأة في شعر غازي القصيبي ، أحمد اللهيب ، ص ٤٦ .

(٢) سيرة شعرية ، غازي القصيبي ص ٧١ .

فجدته هي الملاذ والملجأ حتى وإن كانت راحلة ، فهو يحاورها وكأنها بجواره يحادثها وتحادثه .

وأما قصيدته الأولى فقد أشار إليها بعنوان (أماه) في ديوانه (معركة بلا راية) فالقصيبي دلل على مكانة جدته بتسميتها أماً وأعطائها لقب الأم. وهذا دلالة قوية على تلك المكانة التي لا يمكن أن يصل لها إلا شخص استحقها وبذل نفسه قرباناً لها ، كما هو حال جدته معه .

وإذا ما رأينا تأثير الحياة الأسرية ، وخصوصاً تربية الجدة على شعر وإبداع غازي القصيبي ، فأننا نجد عقداً ومعاناة من المعتقدات والخرافات الفاسدة التي ورثها أحمد الساعي عن جدته،يقول:((فأنا اليوم أقاسي من المعاناة في التوفيق بين عقلي وبين ما ورثته من أرتال الخرافات مالا يحتمله جلد))[1] .

فالجدة تؤمن بالخرافات ، وتحفظ العديد من قصص الجان والمخلوقات العجيبة الغريبة ، ومن ثمّ تنقلها لأحفادها ، مما يؤثر سلباً على شخصياتهم :

((قلت هذا لستي مرة وكانت شغوفة بترديد مثل هذه الكلمات على أنها أسماء لبعض ملوك الجان ، وكانت تحفظ أسماء أهل الكهف ، وكلبهم قطمير ، ولا تفتأ تكررها وكانت تتحصن بها من العاديات !!))[2]،ويقول:((وكانت ستي تعرف عن (البحيرة) و (هول الليل) و (السبع الجنيات) مالا يعرفه

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

قصاص نابغة ! فكنا نقضي حولها الليل وعجائبه في صورة تركت في تربيتنا أسوأ الآثار ، وملأت أعماقنا بالعقد التي عجزنا إلى اليوم عن حل أكبر طائفة منها))[1] .

وأحمد السباعي تأثر بأفكار جدته حتى أنه في بعض المواقف لا يستطيع مجابهتها في بعض الأحيان والرد عليها والتشكيك في معتقداتها ؛ لأنها لا ترضى ولا تقبل بأن يشكك أحد في معتقداتها وأفكارها .

((قلت أسألها عن الأبجدية الهوزية وعلاقتها بتعليم الأطفال .. فاستهجنت مني هذه الصفاقة وقالت (احنا ناس كنا نسمع زي ما يقولوا الكبار) ثم جمعت بين كفيها . ورمت بها في وجهي في حماس ظاهر وهي تقول : (بكرة تشوف آخر هذا الهلس اللي تهلسة على المشايخ والناس الكبار)))[2] .

وينبه في موضع آخر على أيمان جدته بهذه المعتقدات والخرافات :

((فإذا آنست إنكارا لما تروى ، أو ارتيابا فيما تقص ، جمعت سبحتها بين يديها ، وتوجهت إلى الله بقلب واجف ألا ينزع الإيمان من الصدور ، والتقوى من القلوب))[3] ، ((كل هذه الخرافات كانت في نظر (ستي) حقائق من

---

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٦٣ .

(٢) السابق ، ص ٢١ .

(٣) نفسه ، ص ٥٩ .

العبث أن تجادل فيها))[1] .

وكان استياؤها يـزداد كلـما جادلهـا الـسباعي في قصـصها ومعتقـداتها : ((صاحت في وجهي (قم من قدامي يا قليل الحيا . أنت ولد مجـادل بطـال) وكان استياؤها يزداد كلما جادلتها في أمر))[2] .

وكانت تحبه رغم جدله ، وكانت تميزه دون بقية أحفادها بقصـصها التـي تؤمن بها[3] .

وتظهر عند الجدة القصص والخرافات التاريخية المتعلقة بـالحرم الـشريف ومكة المكرمة ، ويرويها أحمد الـسباعي عـلى طريقـة وصـف جدتـه فيقـول : ((وكانت إلى جانب معلوماتها تلم بكثير من قصص التاريخ ، ومن قصـصها في التاريخ أن منارة باب الوداع كانت في عهد النبي ﷺ قائمة في باب السلام ، فلما دخل النبي ﷺ من باب السلام إلى طواف الوداع مشت خلفـه ، وعنـدما خرج من باب الوداع كانت تتبعه ، فلما التفت ورآها سألها : أين ؟ قالت : إني ذاهبة إلى حيث تذهب ! ولكن النبي أبى عليها الـذهاب ، فبقيـت في مكانهـا تبكي إلى اليوم ، وكان من علامة بكائها أن نقوشـها امحـت ولم ينقـشوها بعـد ذلك دون سائر المنائر !!))[4] .

---

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٧١ .

(٢) انظر : السابق ، ص ٦٠ .

(٣) نفسه ، ص ٦٠ .

(٤) نفسه ، ص ٦٠ .

وينقل عن جدته خرافات تاريخية أخرى تتعلق بعين زبيدة في مكـة ومـاء زمزم في الحرم ، وفي ظن عبـد الله الحيـدري ((أن هـذه الخرافـات التاريخيـة وغيرهـا كانت حافزاً مهماً للسباعي لتأليف كتابه الضخم « تاريخ مكة » في جزأين))[1] .

وما يدل على عقدة الكاتب ومعاناته من الخرافـات التاريخيـة المـسندة إلى جدته روايته لتلك الخرافات في كتاب سُباعيات يقول :((رحـم الله جـدتي !! لقد كانت تحفظ الكثير من تخصص أصـحاب الخطـوات الـذين يـؤدون فريـضة الصبح في حرم مكة فإذا وافاهم الظهر صلوه في المدينة فلا يمسي يـومهم حتـى يكونـوا قد أدوا فريضة العصر أو المغرب في بيت المقدس على خلاف في الـروايتين في مـا انتهـى إليه سند جدتي))[2] .

ولا يفتأ من ذكر سذاجة جدته وأثرها في بواطن الأعماق بداخلـه يقـول : ((عفا الله عنك يا ستي في دار الخلود : فقد كانت سذاجتك أسوأ معلم ربانـا على التخريف . ودس في بواطن أعماقنا مالا نزال إلى اليوم رهن آساره رغم ما نحاول من علاج))[3] .

وعليه فقد جعل السباعي يطالب بتعلـيم المـرأة وتثقيفهـا حتـى يـستقيم النشئ ، ويتربى الأطفال تربية صحيحة بعيدة عـن الخرافـات ،والأسـاطير –

---

(١) السيرة الذاتية في الأدب السعودي ، عبد الله الحيدري ، ص ٢٣٠ .

(٢) سباعيات ، تهامة ، جدة ، ط١ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م . ج٢ .

(٣) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٦٦ .

((عفا الله عنك فإن في ذكراك أبلغ مثل للتدليل على حاجتنا إلى تعليم نسائنا ما يفرضه الدين ، وإعدادهن ، إعداد مستقيما يساعدهن على تربية أولادهن وإنشائهن إنشاء قويما))[1] .

ونجد أثر تربية الجدة واضحة في حياة السباعي الأولى : ((الواقع أن (ستي) كأستاذة لها قيمتها في تربيتي الأولى))[2] .

وسار تفكيره في مرحلة ما بعد الحلم ((وعندما تخطيت الحلم ، وأوشكت فتوتي أن تستوي ، بدأت أشعر في صلف أنني شبيه رجل وأن من حقي أن أوجه حياتي في السبيل الذي أختار .. فأذعنت أمي مشفقة .. أما ستي فقد كانت ترى غير رأي أمي))[3] .

ولأن المرء لا يشعر بوجوده وقيمته إلا من خلال إنجاز عمل في حياته ، فأدركت الجدة هذه القيمة في الحياة ولمست ما في السباعي من القدرة والطموح فأصدرت قراراً بتسريحة للعمل .

((صدر قرار ستي بتسريحي ، ثم أشفع بتوصيات حاسمة (قومي أعطي له واحد جنيه من العلبة ، وسيبيه يعرف شغله ... يا طلع رجال ، عرف كيف يجيب القرش زي أولاد خالته ، يا طلع ندل . وفضل مضحكة

---

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٦٧ .

(٢) السابق ، ص ٧٦ .

(٣) نفسه ، ص ٦٨ .

للناس !!))[1] .

((ويدها تشير إلى أمي في إلزام وتصميم أن تعطيني الجنيه ثم ترفع سبابتها اليمنى إلى السماء وكأنها تقول : (عليك يا رب)))[2] .

وتعتبر الجدة الطاقة الكامنة التي تعمل على تقوية وتوجيه السباعي ، وحثه على تغير مساره وتوجيه في صباه نحو الأفضل له .

ولقد ذكرت فيما سبق عن اللامبالاة والطيش الذي خاض فيه السباعي وأرهق والدته وجدته ، فما كان للجدة إلا الانكسار لله والدعاء له بالهداية والصلاح .

((وتناهى إلى سمعي صوت (ستي) من مصلاها في غرفة أخرى وهي تبتهل في انكسار وخشوع (إلهي يهديك يا أحمد يا ولد جواهر ، ولا يشمت فينا عدو) فكان لابتهالها أثر السحر في إحساسي المتبلد ، شعرت على أثره أنني أصحو من غفوة))[3] .

وأدى موقف الجدة هذا إلى استدعاء مواطن الإحساس في النفس ، وإظهارها المشاعر المذنبة في نفس الكاتب :

((أن ضميري يهمس في سري .. ماذا بعد هذا الجنيه يا أحمد ؟؟ ... وهل

---

(١) أيامي،أحمد السباعي، ص ٦٨ .

(٢) السابق ، ص ٦٩ .

(٣) نفسه ، ص ٧٥ .

بين الرفاق من يتطوع بنجدتك إذا ألمّت بك الحاجة ، أو يرفع من هامتك إذا أذلك الفقر ؟؟))[1] .

وتنتهي الأمور بهداية وصلاح السباعي بعد الله إلى الجدة ، وتوجيهاتها ودعائها وحرصها على تقديم المشورة والدعم النفسي له .

وتمثل الجدة عند عبد الكريم الجهيمان المصدر الحاني والملجأ الكبير ، وذلك بفطرتها الطيبة وإيمانها القوي بالله :

((جدتي التي دائماً أجدها في مصلاها تصلي أو تسبّح ... فإذا رأتني رحبت بي وأجلستني جوارها ... وخففت عني بعض ما أجده من آلام وأفكار سوداء))[2] وهذه الأفكار السوداء ناجمة من زواج أمه بزوج آخر غير أبيه مما استدعى بقاءه في بيت أخواله وجدته لأمه ، فألزمت الجدة بمحاولة توضيح صورة أمه المتزوجة بأن الزواج شيء طبيعي ، وأن الأم تحب ابنها كثيراً حتى وإن تزوجت برجل آخر : ((وبدأ من حولي من أخوالي وجدتي يفهمونني بأن ذهاب والدتي إلى زوجها شيء طبيعي وأنها تحبني ... ولولا محبتها لي لما جاءت من عند زوجها))[3] .

فدور جدته كبير في زرع الطمأنينة والاحتواء في عدم وجود الأم وغيابها

---

(١) أيامي،أحمد السباعي ، ص ٧٥ .

(٢) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٣٠ .

(٣) السابق ، ص ٣٠ .

المستمر. والدعاء عادة ملازمة للجدات ، نابعة من التدين والتقرب مـن الله . والجدات يمتلكن عالماً من المشاعر الرقيقة الحنونـة التـي تمتـد مـن الأبنـاء إلى الأحفاد .

فجـدة الجهـيمان يتهلـل وجههـا سروراً لرؤيـة حفيـدها مقـبلاً عليهـا ، ولا تمل الدعاء له وللعائلة :((جدتي من قبل الأم التـي طعنـت في الـسن ... فكانت لا تفارق مصلاها إلا نادراً ... فإذا رأتني مقـبلاً تهلـل وجههـا بـشراً وسروراً ... ثم أطلقت الكثير من الـدعوات الـصالحات ... والتوسـلات إلى رب السماوات بأن يحفظ الله صغيرنا وكبيرنا .. وذكرنا وأنثانـا ... وحاضرنـا وغائبنا ...))[1] .

ومما يزيد في محبة الجدة عند الكتاب اسـتخدامها أسـلوب ادخـار الأشـياء المحببـة للأطفال وتقديمها لهم في حب وحنان ، مثل جدة الجهيمان .

((ثم بعد هذه الدعوات المباركات الصالحات تدخل يدها في جيبهـا ... وتعطينـي شيئاً من الأشياء التي أحبها وتسألني عن والدي وأقاربي ..))[2] .

وارتبطت القصص والحكايات بكبـار الـسن وعـلى الجـدات خـصوصا، باعتبار القصة الوسيلة المسلية في مجتمع النساء ... وكان عبد الكريم الجهـيمان يطلب من جدته بعض هذه الحكايات والقصص إذا كان نقاؤه بها ليلاً .

---

(١)مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ص ٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

((وإذا كان لقائي لها ليلاً فإنني أطلب منها أن تقص علي بعض الحكايات التي أحبها ... والتي لديها منها الشيء الكثير !!))[1] .

وفي ظني أن قصص جدته وحكايتها كانت سبباً في دفع الكاتب لتأليف موسوعته العريقة (موسوعة الأساطير الشعبية في شبه الجزيرة العربية) .

هناك أسباب تنوعت في تكوين شخصية الأبناء ما بين الأسرة والمجتمع .

ففي الأسرة تبدو الهيمنة من الأب والأم ، وتكون الجدة لها الأثر الكبير في بعض الأوقات .

فقد لاحظنا المحبة الصادقة والاحتواء من قبل جدة غازي القصيبي وعبد الكريم الجهيمان وتأثيرها في أدبهم وحياتهم .

وفي المقابل نجد أبا داهش يخبرنا عن حزم وثبات جدته التي انعكس حزمها على شخصية جده : ((فتزوج من جدتنا : رِدْعة ، وهي من قبيلة سنحان القحطانية ، ... : أهل بأس ونجدة ، وكانت امرأة حازمة رعت مصالحة ، وشدت من أزره))[2] .

وقد أفصح أبو داهش عن سبب حزم وثبات جدته وذلك لكونها من أهل بأس ونجدة ، فهي امرأة قوية مؤثرة في محيطها .

---

(١) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٣٣ .

(٢) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ١٥ .

لا ينحصر دور الجدة على القصص والحكايات فقط،وإنما أفصح بعض الكتاب عن الأعمال التي كانت تقوم بها جداتهم أثناء حياتهم فعبد الله مناع يذكر مزاولة جدته مهنة التدريس لسد حاجة الأسرة ((وفي تلك الفترة المبكرة والحرجة من حياتنا حولت « جدتي » غرفة « المئخر » إلى مدرسة تعلم فيها فتيات الحارة الهجاء والقراءة))[1] وهذا يعكس من باب آخر ما للمرأة من دور مهم في الحياة الاجتماعية آنئذ وإلى هذا الوقت .

ولم تكتف بالتدريس بل كانت تجمع القوارير ليبيعها الكاتب في الحراج وينتفع بقيمتها .

((فإذا ضاقت بنا ظروف العيش حمّلتني ببضعة « قوارير » ... زجاجات فارغة ، لا أدري من أين تأتي بها .. ولا كيف كانت تجمعها ، وأرسلتني بها – بعد أن تلف رأسي بـ « صمادة » تقيني من شمس الضحى – إلى الشيخ « حسن قنبور » في « الحراج » ... فيخرج على « القوارير » من فوره ... ثم يعطيني ريالا أو بضعة قروش قيمة لها))[2] ونلمس من النص حكمة الجدة ، كما نلمس طريقة تعاملها مع المناع حيث تسعى لمعالجة،ولتخفيف ظروف المعيشة الصعبة بطريقة جدية ومجدية فهي تزرع فيه روح العمل والكسب الحلال .

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، دار المرسى للنشر والتوزيع ، جدة ، ط١ ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، ٢٣ .

ويذكر الكاتب نهاية كفاح جدته معهم بإصابتها بمرض السل الذي افقدها حياتها يقول :((« جدتي » الحبيبة وبعد صبرها وكفاحها الطويل معنا ومن أجلنا .. ماتت بـ « سل » ولم نجد ما نعالجها به))[1] فالكاتب متأثر نفسياً من موت الجدة المضحية، ولم يستطيعوا في المقابل تعويضها جزءاً من هذه التضحية ، وهي مفارقة قد تكتبها الحياة على جبينها رغماً عنا ، وليس باستطاعتنا تجاوزها وبطبيعة الحال فإن الأعمال التي تقوم بها الجدات محكومة ببيئاتهم وطبيعة حياتهن . فإذا ما رأينا جدة المناع أعمالها في المدينة كانت تتماشى مع حياة المدينة تدريس وتجميع القوارير فإنا نرى جدة عبد الرحمن السدحان تعيش في منطقة زراعية قروية فكانت أعمالها متشاكلة مع البيئة التي تعيش فيها ويروي الكاتب انخراطها في الأعمال الزراعية فيقول :((أما جدتي (زوجته)، فقد تشاركه بعض العمل في المزرعة ، أو تذهب إلى الجبال المحيطة لجلب الحطب ، إن وجدت شيئاً))[2] .

ورغم هذه الأعمال الشاقة إلا أن هناك فجوة يتخللها السمر والغناء يقول واصفاً حياته مع جدته وجده:((كانت (السمرة) ضرباً من اللهو البريء ، يعقب صلاة العشاء ووجبة العشاء ، ... عندئذ آتي بطبق كبير من النحاس (الصحفة) أحدث فيه إيقاعاً منتظماً نقرا على أطرافه بلحن ... ثم أشدو

(١)بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢٥ .

(٢) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ،ص ٥٨ .

(بأبيات) من الشعر الشعبي المعروف ، فيردد جدي ، وجدتي معي الغناء »[1] .

فالجدة تحمل الغناء في طياتها وسرعان ما تبوح به إذا كان المؤثر حفيدها وزوجها ، متجاوبة بحب مع طرقات حفيدها السرحان ، مما جعل الكاتب يحتفظ بهذه الصورة في ذاكرته ووجدانه فصاغها في سيرته .

ومن الأعمال التي تقوم بها جدة السرحان التمريض أو اختصاصي مختبر ومحضرة معمل في آن كما يحلو للكاتب تسميتها .

((وكانت حرم جدي رحمها الله تقوم بدور (اختصاصي مختبر ومحضرة معمل في آن) فتحضر أعشاباً برية محددة الاسم والكمية ، من المنطقة القريبة من البيت (وصفة الدواء) التي يبلغها بها جدي)) [2] ((وتطحنها بوسيلة خاصة ، لتستخرج منها في النهاية عصارة العْرِق النباتي ، ثم تضعها في إناء نظيف من الزجاج وتسلمه للمريض))[3] ، ومن هنا نلمس مدى تأثير الجدة في الأبناء إذا كانت مثقفة كجدة السدحان أو جاهلة كجدة السباعي على نفسياتهم وأعمالهم وكتاباتهم في المستقبل .

ومن الأعمال الأولى التي تقوم بها الجدات الاهتمام بالبيت ولا سيما المأكل والمشرب ، والكاتب أحمد قنديل يذكر لأبناء الحاضر طريقة قيام الجدات

---

(١)قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ،ص ٥٩ .

(٢) السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) نفسه ، ص ، ١٣٠ .

بمهام البيت فيقول :((أن نشرح لأبنائنا من أبناء الجيل الحاضر الطريقة التـي كنا نشاهد أمهاتنا وجداتنا يقمن بها بالبيت في أيام الـصيف في بـساطة ويـسر ونظام بيتي لتأمين ماء الشرب البارد .. لكل من فيه))[1] .

وتتكفل الجدات بالنصح والإرشـاد للأبنـاء والأحفـاد والتـي تتمثـل في خبرتها التى اشتقتها من الحياة.

ويـدلل عـلى هـذا نـص للكاتـب أبـو عبـد الـرحمن الظـاهري فيقـول: ((وقد نهتنا عجائزنا عن الركض حال الوحشة ، لأن المـستوحش إذا ركـض اسُتخِف))[2] .

ويتحدث الكاتب عبد العزيز السالم عن شعار الجدات بقوله :

((نجد شعار كبار السن من ... الجدات والأمهات : قيام الليـل لـصلاة التهجد كل ليلة ، وصيام النهار كل يوم اثنين ويوم الخميس إلى جانـب ثلاثـة أيام المعروفة بالأيام البيض))[3] .

وهي شعارات دينية تنمـى الأخـلاق وتـسمو بهـا نحـو الرفعـة، وهـذه الشعارات والنصائح تظهر الجانب العاطفي والحنـان المـستقر في الجـدة ، وإن كانت العاطفة الجارفة لا تظهر إحياناً إلا عندما تستثار ، كوقعة عبـد الـرحمن

(١) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، تهامة ، جدة ، ط١ ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ص ١٠١ .

(٢) تباريح التباريح ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، ص ٥٣ .

(٣) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ١٠١ .

السدحان من على الحمار والذي تسبب في كسر ذراعه ، فاستقبله جدته بالدموع والنحيب والمواساة فيقول : ((وأسرعت بي إلى منزل جدي القريب ، وهناك استقبلتني بالنحيب حرم جدي الجدة حليمة – رحمها الله – ، وقد اختلطت دموعها بقطرات الدمع علي وجنتي وهي تقبلني وتواسيني ، ثم نقلتني إلى مكان مريح أعدته في الحال علي أنام))[1] والحادثة التي يرويها الكاتب عن جدته تنبئ عن مدى حرصها وخوفها عليه وحبها له وقد أظهر الكاتب عزيز ضياء سلوكاً سلبياً لجدته حين ذكر على لسان أمه شرب جدته حميدة للشيشة:((في هذا الديوان يا عزيز .. هناك في هذا الركن كانت تجلس أمي – ستّك حميدة – ثم تغالب ضحكة خفيفة لتقول : تجلس في هذا الركن ، بس لما يكون (سيدك) مسافر ، ولي الشيشة في يدها ، وريحة (الحمتي) اللي كانت ترسل تشتريه من دكان العم صادق ... ريحته نُشمها حتى لما نكون فوق))[2] .

ومغالبة الضحكة وظهور الشيشة في غياب الجد دلالة على سوء هذه الظاهرة برغم انتشارها بين بعض أوساط النساء وهذا ما يؤكده نصه القادم .

((ذكريات الخالة فاطمة عن جدتي لأمي واسمها (حميدة) وكيف كانت (رحمة الله عليها) تستقبل ضيوفها من العوائل الكبيرة ، في القاعة ، منذ أول ليلة يغادر فيها (الشيخ أفندي) المدينة ، .... وكيف كانت تستعد لهن ، بعدد

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ١٠٣ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢٠٩ .

من (الشيش) المفضضة .. و (الحمى العجمى) ... التي تستمر إلى ما بعد (كل عشا)))[1] .

((لا تكلف سيدة البيت نفسها (بتعمير الرأس) ورصف الجمر ، إن الجواري ... هن اللاتي يقمن بخدمة الشيشة بل عدد من الشيش للضيفات في سهرات (ليلة الجمعة) أو (قيلات) الأيام الأخرى))[2] .

ويعترف الكاتب برغم شيوع الشيشة إلا أن هناك نساء كثيرات يدخن في السر إذا كان الزوج يمنعها منه .

((ومن الطريف أن نذكر أن كثيرات من نساء تلك الأيام كن يدخن الشيشة أيضاً إما سراً إذا كان الزوج يمنع ، وإما علنا إذا كان الزوج نفسه من الذين يدخنونها »[3] .

وبذلك نصل إلى أن صور حضور الجدة في السير الذاتية للكتاب السعودين صور متنوعة مختلفة موحيه بوجود تفاوت بين الجدات من حيث الحب والرعاية والاهتمام ، ومن حيث الثقافة الجمال ، ومن حيث فاعلية المرأة / الجدة وسلبيتها في نواحي الحياة المتنوعة ، كما أن السير كشفت عن تأثر الكتاب بطرائق تربية الجدات وما لها من أثر بقي مع بعضهم إلى نهاية الحياته .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٣١٤ .

(٢) السابق ، ص ٧٤٧ .

(٣) نفسه ، ص ٧٤٧ .

الزوجة :

لعل صورة الأم والزوجة هما الصورتان التقليديتان للمرأة التي نالت حيزاً كبيراً من اهتمامات الكتاب .

فصورت السيرة حالات الزوجة كافة ، فهي زوجة بارة خيرة ووفية لزوجها وأبنائها ، والمقصرة المنساقة خلف عاطفتها والثائرة على زوجها .

كما حفلت السيرة الذاتية على الأخص بتصوير الزوجة المضحية الصابرة والمتفهمة للزوج وأبنائه .

وللإلمام بشأن الزوجة في حالاتها تلك ، يحسن بنا أن نقف عند محمد توفيق بلو الذي ذكر في أول صفحات كتابه (حَصَادُ الظلام) فضائل وعاطفة زوجته أم سندس والتي تسببت في كتابته لهذا الإهداء يقول :((أتقدم بإهداء هذا الكتاب على من وقفت بجانبي في كل الأحوال ، شاركتني سهري ومعاناتي إلى الزوجة أم سندس التي صابرت معي فقدان البصر فزرعت في فؤادي بنور الأمل وحب التحدي في الحياة))[1] .

ومواقف الزوجة معه أثرت في الكاتب ودفعته إلى الأمل والحياة وحب التحدي والإصرار .

---

(١) حصاد الظلام . محمد توفيق بلو ، جدة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، ص ١ .

ويبدأ الكاتب بذكر إحدى تلك المواقف وهي وقفة زوجته إلى جانبه عند بداية إصابته بالتعويق البصري (العمى) ، وكيف ساندته بالتفكير الجدي وسؤال الآخرين عن حالته والاستماع إلى اقتراحاتهم وأفكارهم :((بدأت زوجتي تقلق تجاه حالتي ولم نخبر أحداً من الأسرة أو العمل رسمياً بحقيقة ما ينتظر من ظلام في عيني وفكرنا بجدية ... ، وبدأنا نتحدث مع الآخرين عن بوادر مشكلتي فاقترح أحد أصدقائي المقربين بترتيب لقاء ... مع أحد أكبر جراحي الشبكية بمستشفى الملك خالد للعيون))[1] .

ومشاركة زوجته لمصابة أحدثت للكاتب حالات من الاستقرار والرضي والتفاؤل وهذا كله جعل الكاتب يسعى في طلب العلاج والشفاء .

وأظهر الكاتب تحالف زوجته معه، والتزامها بالمعاني الإنسانية حين قررت بأن تعمل ليتوازى دخلهم الشهري مع حياتهم اليومية . وهذا القرار استطاع أن يرسم علامات الارتياح والطمأنينة على نفسية الكاتب فيقول : « وقررت البحث عن عمل لموازنة دخلنا الشهري مع حياتنا اليومية ... فأعجبت بقرارها ووافقت عليه فعملت كمدرسة لروضة أطفال))[2] وارتياحه ناتج عن تقلص بعض مسؤولياته .

وسنلحظ اتساع وعمق اعتماد الكاتب على زوجته ، وأنه يواجه المصاعب

---

(١) حصاد الظلام، محمد بلو ، ص ٤٠ .

(٢) السابق، ص ٤٩ .

ويتغلب عليها عن طريقها : ((فاصطحب زوجتي معي للتغلب على المصاعب التي أواجهها من حالتي البصرية))[1] .

ويذكر في موضع آخر بأن المصاعب تكون في عدم وجود زوجته أم سندس معه : ((واجهت بعض الصعوبات التي لم أشعر بها من قبل في وجود أم سندس مثل : تنسيق الملابس والألوان . قراءة فواتير البنك وبعض الرسائل الإنجليزية وبعض المتطلبات اليومية))[2] .

فالزوجة بالنسبة للكاتب بصره الذي فقده وفقدانها يدل على مواجهة المصاعب والعقبات: ((ذهبت إلى المركز برفقة زوجتي فقد أصبحت غير قادر على السفر والحركة في الأماكن الجديدة بمفردي . فكانت زوجتي تأخذ بيدي وتوجهني تارة أخرى أثناء تحركاتنا))[3] ونجد في النقول الماضية وصفاً لعاطفة وخلق نبيل كان له أكبر الأثر في البوح والاستنطاق في زمن يصعب فيه الحديث عن تعاملات الزوجة أو الحديث عنها بصفة عامة .

وهذه الأعمال النبيلة دفعت الكاتب لإشراك الزوجة في قراراته الحياتية .

فعندما اتخذ مقر عمله قراراً بتقاعده والاستغناء عن خدماته بسبب حالته الصحية،

---

(١) حصاد الظلام، محمد بلو ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٢) السابق ، ص ١٥٢ .

(٣) نفسه ، ص ٨٥ .

توجه لزوجته التي كانت لها وجهة نظر مغايرة حكى عنها الكاتب بقوله :((فكانت وجهة نظر أم سندس أن ما أقوم به عبارة عن تحركات إنشائية ونظرية ولن تغير شيئاً على أرض الواقع ويجب أن أتعامل مع كل هذه التجربة حسب الطريقة الأمريكية محامٍ ورفع دعوى قضائية ضد الخطوط السعودية))[1] .

ومبعث مطالبتها بالطريقة الأمريكية هو كونها أمريكية ومتأثرة بطرق ونظام بلادها .

وذكر الكاتب وجهة نظر زوجته ليوضح أنه كان أمام خيارين ، أما اتباع نظرية زوجته ، أو العمل وتحدى العجز البصري فاختار الثانية حين قال : ((واصلت العمل لتحدى عجزي البصري وإثبات جدوى الأسلوب الذي أنتجه في حل مشاكلي الناجمة عن العجز البصري عوضاً عن النهج الذي اقترحته أم سندس لمعالجة الوضع على الطريقة الأمريكية))[2] .

وإن اختلف معها في هذا القرار ، فإنه يتفق معها إذا كان الحديث عن قيادة المرأة للسيارة ، فقد ذكر على لسانها ما يرجحه عقله ويؤديه قلبه يقول : ((فمنذ عدة أيام في أميركا كانت تقودني بسيارة إلى حيث أشاء دون عناء أو إحراج أو تعارض مع زيها الإسلامي عوضاً عن المغامرة بالركوب مع سائقين

---

(١) حصاد الظلام ، محمد بلو ، ص ٢٤٥ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٥ .

يتعلمون مهارات القيادة هنا))[1] .

والكاتب يفصح عن رأيه في قضية القيادة من خلال حديث وتساؤلات زوجته موضحاً رأيه الضمني حين ذكر ما قالته زوجته في موقفها من هذه القضية .

وقد تكرر العمى في السيرة الذاتية مع الكاتب أحمد عبد الغفور عطار ، عندما تسببت له جلطة في المخ بفقدان بصره يقول في صمت موجع ((وبعد أن أزال الله عني الخطر بفضله وكرمه بقي من الجلطة أثار أشدها مصيبة فقدان البصر))[2] .

ورغم فقد البصر أصر أن يطبع كتاباً له ظل حبيس خزانته أربعاً وأربعين سنة وساعدته على أخراجه زوجته أم همام وذلك بقراءة الكتاب ومراجعته على مسامع زوجها ((وعندما عزمت على طبعه طلبت إلى زوجي « أم همام » أن تقرأه علي ، فأخذت تقرأ وأنا أصغي إلى ما تقرأ))[3] .

في هذا النص استحضر (أحمد عطار) شخصية الزوجة الإيجابية التي تحمل الصفات الحسنة والمساندة له أمام عقبة العمى ، فقد جعل قراءة الكتاب من نصيبها وهي دلالة على عمق الثقة وسمو المكانة .

---

(١) حصاد الظلام، محمد بلو ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور ، ص ٨ .

(٣) السابق ، ص ١٠ ، ١١ .

وقد صورت بعض السير الذاتية نظرة الحب والتقدير للزوجة (فعبد الفتاح أبو مدين) مدين لزوجته ديناً لا حد له يقول : ((وأنا مدين لهذه الزوجة الصالحة الفاضلة ... ديناً لا حد له ، ولا يقابله شيء مهما قلت ومهما فعلت))[1] .

ولتأكيد هذه المعاني قام الكاتب بنشر مشاعره وعواطفه تجاه زوجته بجريدة اليوم في زاويته (موج) يقول : ((والتعبير عن وفائي ومشاعري في تلك الكلمة التي نشرتها في زاويتي – موج – بجريدة اليوم ، .... وأثبتها هنا وفاء بوفاء ، ووداداً بوداد ردًا لبعض الجميل))[2] .

وتعتمد هذه العواطف والمشاعر على الأعمال التي قدمتها الزوجة للزوج فقد أثر في الكاتب تحملها للعبء الثقيل من مسؤولية ستة من الأولاد والبنات ، والصبر على همومهم ومتاعبهم ، ويتحدث عن ذلك بقوله : ((كانت الزوجة التي أحلم بها ، تقوى وصلاحاً ووفاًء ، ويكفى أنها تحملت العبء الثقيل ، الذي لا يطيقه إلا أولو عزم ، وهو مسؤولية ستة أولاد وبنات، وهمهم كبير وثقيل وصعب))[3] .

ونجد من خلال لغة الكاتب عمق ومكانة زوجته في قلبه ووجدانه فقد

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٩٠ .

(٢) السابق ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٣) نفسه ، ص ٢٨٩ .

ذكر أنها كانت تتعالج بإحدى مستشفيات ألمانيا وكان برفقتها . فحاول الكاتب أن يصف أحاسيسه ومشاعره تجاه زوجته لكن ((الكلمات اختنقت في صدري ، ولو بحت بها .. لسبقتها دموعي وانكمشت أمامها وأنا أتجلد .... لم استطع أن أقولها حتى كلمة « سلامتك » لأن الكلمة ستدركها حشرجة الاختناق ، فيظهر ضعفي أمامها ، وأنا الذي أزعم الشجاعة))[1] .

ومن خلال حديثه نجد رصداً للوجدان المشبع بعاطفة جياشة انبثقت من قلب محب ظل يردد الثناء والشكر للزوجة الفاضلة والمخلصة .

وقد ندم الكاتب على عدم تسجيله لتلك الأحاسيس المتدفقة بالمشاعر الجياشة لدى دخول زوجته لغرفة العمليات ((ولعل الحرص على العودة مبكراً .. إلى المستشفى للاطمئنان لم يتح لي تسجيل الكلمات التي كانت .. تتأجج في النفس . وندمت حين اطمأننت ، لأني لم أكتب إنتاج في نفسي من انفعال قبل الرؤية .. التي أفضت إلى همود المشاعر والأحاسيس))[2] .

وقد أثرت الزوجة على وجدان ومشاعر الكاتب وأظهرت لنا جانبا طالما حاول الكتاب إخفاءه وهو التعبير عن مشاعرهم تجاه زوجاتهم ، والسبب يرجع لثقافة المجتمع وقيمه التي ترى في هذه المشاعر والأحاسيس إهانة للزوج وضعف في شخصيته .

---

(١)حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٩٣ .

(٢) السابق، ص ٢٩٦ .

ومنهج تأثير الزوجة ممتد إلى (حسن كتبي) وباعترافه أن زوجته كان لها الأثر الكبير في توجيه حياته يقول : ((وهناك شخص آخر من أسرة المنزل كان له أثر أي أثر في توجيه حياتي تلك هي زوجتي))[1] .

فقد أدخلت الزوجة السعادة في حياة الكاتب ((وزرعت في معتقداته بأن هناك أهدافاً يعيش لها المرء هي أسمى بكثير من نفسه ، وقامت من شد عزيمته ليتحمل المسؤولية والنهوض بها ، وقدمت العاطفة التي أخذت تتدفق في روحة لتيسير له الصعاب الممتدة في طريقه))[2] .

وبعد أن ذكر الكاتب أثر زوجته على حياته الشخصية يذكر الآن أثرها على حياته الأدبية يقول : ((وقد وجدت زوجتي في الكتاب غريماً يجب القضاء عليه فأعنتها عليه ووجدت فيها خير عوض عنه))[3] ((بدأت حياتي الحقيقية وانتهى دور الدرس والكتابة وانقطعت صحبتي لمكتبي وكتبي))[4] لكنه للأسف أثر سلبي وقع فيه الكاتب بإرادته حين تمحل بذكر فضل الزوجة على خير جليس ، وهو الكتاب ، وانقطاعه عن صحبة مكتبته وكتبه من أجل زوجته .

(١) هذه حياتي ، حسن محمد كتبي ، ص ١٣١ .

(٢) انظر : السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) نفسه ، ص ١٣٢ .

(٤) نفسه ، ص ١٣٢ .

فالكاتب والمكتبة رمز للمعرفة والتقدم ، ومهما كانت الزوجة مثقفة أو متعلمة فأنها لا تقوم بالدور الذي يقوم به الكتاب والمكتبة .

وإن كان (حسن كتبي) آثر زوجته على الكتاب فأننا نجد تحرص (عبد الله منع) من الزواج ، وخوفه بأن يكون الزواج سبباً في انطفاء كلماته الحارة يقول : ((لازمني إحساس بأنني إذا تزوجت .. ستنطفئ بين يدي حرارة الكلمات ، ويتمرد وهجها وتصبح عادية كغيرها))[1] .

فأخبر خطيبته بمخاوفه هذه ، وبوضعه الاجتماعي ، وما يتخلله من متاعب ومشاق ، فعليها الصبر والاحتمال : ((قد اخبرت « خطيبتي » ... بأنها ستتزوج من شاب في آخر سنوات شبابه (التاسعة والثلاثون) ، وإن عليها بـ « الصبر » فقد تجده إلى جانبها ليال وقد يغيب عنها ... أياماً وأسابيع أو شهوراً وربما أكثر، الله أعلم ... ضحكت وهي تقول أنا معك ... في كل الأحوال))[2] .

وتقبلها لكل الأمور جعل الكاتب يقبل على الحياة ويعلن ندمه في تفريطه للزواج المبكر ((إن فكرة الزواج من حيث المبدأ لم تكن جذابة ... لذلك صرفت النظر عنه تماماً ، ولقد كان ذلك خطأ تبينته فيما بعد))[3] .

فالزوجة هي من أظهرت خطأ الكاتب وندمه تجاه فكرة الزواج المبكر .

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢٦٢ .

(٢) السابق ، ص ٢٦٣ .

(٣) نفسه ، ص ٢٦٢ .

ويجدر الإشارة إلى ظهور العلاقة الإنسانية المنسجمة بين الزوجين والصورة التي طرحها (غازي) لزوجته المجهولة ،والتي، وقفت بجانبه بحب، وصدق، وولاء ، تدفعه بكل جوارحها لخدمة العامة .

ولقد لخص غازي القصيبي العمل المؤثر الذي قامت به زوجته في أثناء حياته الوظيفية ونجاحها في التأقلم مع هذه الحياة ، وتدبير أمورهم بالموارد المتاحة لهم ويضرب مثلاً لذلك بقوله : ((استطاعت زوجتي ، طيلة حياتي الوظيفية ، التأقلم مع كل متطلباتها . عندما كنت طالباً استطاعت تدبير أمورنا بالموارد القليلة المتاحة ، قرابة مائة وأربعين جنيهاً إسترلينيًا في الشهر (قامت ، على سبيل المثال ، بطبع رسالة الدكتوراه بنفسها ، الأمر الذي مكننا من الاستفادة من مخصص الطبع المقرر لطلبة الدكتوراه ضمن مخصصات البعثة)))[1] .

أن محاولتها في تدبير الأمور والقيام بطبع رسالة الدكتوراه ، والاستفادة من مخصصات الطبع ، كل هذه الأمور جعلت غازي يصف حظه بالسعيد ((كان حظي سعيداً مع الزواج))[2] والعمل الذي قامت به زوج غازي ترك أثراً واضحاً في حياته الوظيفية ، وتلمح هذا في حديثه عنها حين قال : ((عندما انتقلت إلى عمل جديد في الدمام تقبلت الأوضاع الجديدة

(١) حياة في الإدارة ، غازي القصيبي ، ص ٧٢ .

(٢) السابق ، ص ٧٣ .

بلا شكوى . عندما أصبحت وزيراً وطالت ساعات العمل ، وتعددت الرحلات ، لم أرها واسمعها تتذمر قط))[١] .

على الرغم من تلك الكلمات المختصرة التي وصف بها الكاتب واجبات عمله ، إلا أن الدور الذي قامت به زوجته كبير ، فهي زوجة واعية ملتزمة بالفضيلة ، تواجه سلبيات عملة بصبر إيجابي يثير الإعجاب يقول : ((تقبلت بعد ذلك ، الواجبات الاجتماعية المرهقة المتوقعة من زوجة السفير . عبر السنين ، كانت تتولى شئون المنزل كلها ، وشئون العاملين في المنزل كلها ، ومعظم شئون الأولاد))[٢] .

ولا يقف حدود وعيها عند واجبات عمله ، بل يتجاوز ذلك إلى الواجبات الاجتماعية المرهقة .وقيامها بكل الواجبات المنزل في سكينة وهدوء ((كان في المنزل ، دوماً ، هو من السكينة والهدوء))[٣] .

فبسبب زوجته أصبحت حياته تسير في انتظام وهدوء ونجاح في جميع المجالات .

ونجد صورة أخرى للزوجة المتكاملة عند (عبد الله أبو داهش) ، والتي تسير وفق منهج زوجة (غازي القصبي) فتأثير الزوجة المنظمة الحريصة

---

(١) حياة في الإدارة ، غازي القصيبي ، ص ٧٣ .

(٢) السابق، ص ٧٣ .

(٣) نفسه ، ص ٧٢ .

ظاهر عليه في جميع جوانب حياته.

وقد جاء حديث أبو داهش عن زوجته حين شاهد وقوفها إلى جانبه بشكل عام ودراسته بشكل خاص ومساندته في تحمل مسؤولية الأبناء والمنزل يقول : ((لم يكن دور زوجي أم معاذ بقليل هين في الوقوف إلى جانبي في حياتي بعامة ، ودرسي بخاصة ، حيث كانت لها المسؤولية في تدبير شؤون الأولاد ، وما يتصل بحياتهم))[1] .

وتأثيرها الأكبر كان في تحمل دراسة الكاتب يقول : ((ولها دور كبير في دراستي بعد الله تعالى في إتمام مراحل دراستي بالصبر والعمل ، كذا الصبر على مواصلة الدرس ليل ونهار في ظروف شاقة لا يعرفها سواها))[2] .

فالزوجة هنا قوية متماسكة صابرة على مشاق دراسة زوجها وتيسير حياتها وفق ظروف زوجها وهذا ما جعل الكاتب ينسب الفضل لها في نجاحاته الدراسية.

وكانت زوجته تشاركه الصبر على ظروف الحياة والأزمات الطارئة ويتحدث عن صبرها في هذه الأزمات ويقول : ((في أثناء تلك الدراسة ، ... حل دارنا ضيف يستوجب علي إكرامه ، ولم يكن لدي مال وافر لضيافته ، ... وأعدت له طعام الغداء في رحلة نكدة بائسة والضيف لا يشعر ، وكانت

(١) حياة في حياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٩٩ .

(٢) السابق ، ص ٩٩ .

زوجي أم معاذ تراقب هذا العمل بصبر لا يعلمه سواي وإياها))[1] .

ومن خلال النص نستطيع أن نتأمل صورة الزوجة الصبورة ، المتحملة لظروف الحياة الصعبة ، ولنا أن نستعيد هنا دوراً قامت به الزوجة جعلت الكاتب يقدرها ويثني عليها ، فقد احتاجت ابنته العنود إلى زراعة قوقعة في الأذن ، والأب مشغول بالأعمال العلمية والإدارية ، وصحته لم تستقر من مرض قد أصابه :((ظل هذا الهاجس يقلقني جداً فأنا مشغول بأعمالي العلمية والإدارية ، ولم تكن صحتي قد استقر حالها بعد المرض الغريب الذي حل بي))[2] .

فكان دور الزوجة العناية والاهتمام بالمرضى : الزوج ، وابنتها العنود ، فقد حافظت على صحتهما ، وصبرت على مشاق المرض ، على أن تحقق حلمهما في حصول ابنتهم العنود على حاسة السمع ، ومن ثم الاندماج مع أفراد المجتمع .

فتوجب على الكاتب شكر الله ، ومن بعده زوجته أم معاذ على جهودها المباركة : ((ومن الحق شكر الله أولاً ثم الإشادة بجهود أمها : أم معاذ والدة العنود بصبرها وحرصها وعملها المستمر نحو ابنتها))[3] .

وقد يكون الشكر مادياً أو محسوساً كما فعل عبد الرحمن السدحان عندما اهدى كتابه (قطرات من سحائب الذكرى) إلى زوجته:((ولن أنسى قط

---

(١)حياة في حياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) السابق ، ص ٨٢٤ .

(٣) نفسه ، ص ٨٢٦ .

فضل من كان له الفضل – بعد الله – في تحويل هذه الذكريات من (نطفه) في (رحم) الزمن .. إلى كيان (ناطق) بما فيـه ومـن فيـه، بـدءاً برفيقـة العمـر ، زوجتي))[1] .

صور أخرى للزوجة :

هناك صور أخرى الزوجات (الأخوان والأصدقاء) ظهـرت في طيـات كتب السير فقد ذكر غازي القصبي أثر فقدان « ملك » زوجة أخيه عادل، فقد كان يرى فيها الإنسانة النبيلة صـاحبة الأحاسـيس الرقيقـة فقـد كـان موتهـا صدمة جديدة حركت الجراح التي لم تندمل بعد، يقول :

((كانت ملك إنسانة نبيلة سخية كريمة الأحاسيس تحب النـاس وتحـب الحياة ولقد جاء موتها بعد موت نبيل بشهور قليلة ، صـدمة جديـدة حركـت الجرح الذي لم يندمل بعد

ولم نفق يا أخت بعد من نبيل

لم تسقط الجمرة من عيوننا

وعندما قلنا اكتفى من عيوننا

وعندما قلنا اكتفى منا القدر

نلنا الأمان ريثما

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ١١ .

نسترجع الشارد من صوابنا

تسلل الفناء في

أمسية بلا قمر

باغتنا

في الأجمل الأنبل من أحبابنا))[1]

وذكر عبد العزيز الخويطر نماذج لبعض زوجات أصدقائه ، وترأستهم زوجة صديقه السيد عرب ، فقد كانت زوجة حكمية متزنة ، لها مواقف نبيلة مع زوجها ذكر عبد العزيز أحدى هذه المواقف، ففي إحدى المرات احتاج السيد عرب مبلغاً من المال لكنه لم يجده لكثرة إسرافه وكرمه فقررت الزوجة أن تدخر بعضاً من ماله دون علمه حتى إذا ما أحتاج إليه وجدة ، يقول عبد العزيز : ((كان عرب كريماً إلى حد الإسراف ... وكانت السيدة حرمه ترقب الأمر ولا تستطيع تغير طبعه، ... ولكنها في الوقت نفسه تود أن يكون في يده شيء ينفع وقت الضيق ، ... فقررت – وفقها الله – أن تبدأ بأخذ مبلغ طفيف ، وتوفره دون علمه))[2] .

وحدث ما كان متوقعاً فقد أحتاج السيد عرب إلى المال ، فاتجه إلى زوجته

---

(١) سيرة شعرية ، غازي القصيبي ، ص ٧٣ .

(٢) وسم على أديم الزمن « لمحات من الذكريات » ، عبد العزيز الخويطر ، ج٩ ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠

التي صارحته بالمال المدخر، يكمل الخويطر فيقول : ((وصارحته وقالت : لا يهمك المال فأنا قد وفرت من المصروف خمس مئة جنيه ، وهـو مبلـغ كبـير في عرف تلك الأيام ، وكانت مفاجأة صاعقة لعرب ، فاغرورقت عيناه بالدموع امتناناً لها))[1] .

ومن الزوجات زوجة الدكتور هاشم الـدباغ المبتعـث إلى لنـدن ((لقـد أرسل الدكتور هاشم إلى لندن في بعثه ... وكان مـع الـدكتور هاشـم زوجتـه السيدة المصونة فاطمة))[2] .

فكان لهذه الأسرة الأثر على الكاتـب وحياتـه فقـد كـان يتنـاول الطعـام عندهم ويقضي أوقات المتعة وأيامه الجميلة معهم .

((وكنت كثيراً ما أتناول طعام الغداء عنـدهم ... ((وقـضيت مـع هـذه الأسرة الكريمة وقتاً ممتعاً ، وأياماً جميلة ، .... وقد افتقدتهم حقاً عندما تركوا لندن))[3] .

ويتحدث بعض كتاب السير عن أمه في دور الزوجة كأم عزيز ضياء التـي قامت بدور الزوجة المخلصة والمساندة لزوجهـا في أصـعب الظـروف يقـول ضياء : ((كان يدور بين أمي وعمي حديث بالتركية التي لم أعد أجهل الكثير

---

(١) وسم على أديم الزمن « لمحات من الذكريات » ، عبد العزيز الخويطر ، ص ٢٣١ .

(٢) السابق ، ص ٢٠١ .

(٣) نفسه، ص ٢١٠ .

من مفرداتها عن قلقه بخصوص الراتب الذي لم يعرف مقداره بعد في حكومة (ابن سعود) .... فكم سيكون الراتب مع هذه الحكومة ... وهل سوف تصرف الرواتب بانتظام ؟!))[1] .

فيكون حوار الأم باعثاً للطمأنينة ، وأن الأمور ستنحل بالتدبير الحسن والقناعة بما كتبه الله يقول : ((وأجابته أمي : هذا هو المهم .. حتى ولو كان أقل من الراتب في الحكومة السابقة .. استلام كل شهر بانتظام يمكن أن يكفي بالتدبير . ثم نحمد الله ، فكل شيء أصبح رخيصاً جداً ، المجيدي الواحد يكفي المقاضي ويزيد))[2] .

ولاحظ عبد الله الحيدري في كتاب السير الذاتية استغلالهم للفعل المضارع والتعبير عن الماضي بلفظ المضارع ، وبرز عند عزيز ضياء الذي قال عنه : ((ويبرز من كتابنا عزيز ضياء الذي استطاع أن يستفيد بشكل جيد من طاقة الفعل المضارع ، حيث وظفه في نصوصه توظيفاً فنياً بأسلوب ينم عن مهارة في التعامل مع اللغة))[3] .

وللزوجات بصفة عامة أثر على الرجال بتغير سلوكه ، أو دفعه نحو الإصلاح ، فقد ذكر عبد الرحمن السدحان حادثة وضح من خلالها أهمية

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٦٤٤ .

(٢) السابق ، ص ٦٤٤ .

(٣) السيرة الذاتية في الأدب السعودي ، عبد الله الحيدري ، ص ٥٨٠ .

الزوجة في تغير سلوك الزوج ودفعه لعمل الخير ، وهـذا كـان لـه الأثـر عـلى الكاتب معنوياً ومادياً ، فقد كان في رحلة من أبها إلى جـازان أضـاع الكاتـب الطريق فاتجه إلى عشة قريبة منه بها رجـل وامرأتـه يقـول : ((ألقيـت علـيهما السلام قبل أن أدخل ، فرد الرجل على تحيتي رداً مقتضباً ، .... ثم شرحت له موقفي كاملاً ... وطلبت من الرجل العون في تحقيق ما أريد ، فرد باقتـضاب معتذراً عن مساعدتي ، ... وهنا تدخلت زوجتـه لـصالحي ، حاثـه إيـاه عـلى اصطحابي إلى السوق ... فربما كان هناك الفرج ويبدو أن شفاعة المـرأة حملـت الرجل على التدارك))[1] .

* * *

واستوقفني رأي أحد كتاب السير الذاتية وهو الكاتب عبد العزيز الـسالم الذي تحدث عن تسلط الـزوج عـلى الزوجـة والأبنـاء ، ومـا تعانيـه الزوجـة المسكينة إزاء هذه السلطة يقول : ((ولا تسلم حتى ربة البيت من هذه المعاملة القاسية ، فهي تخشاه في كل خطواتها وتداري غـضبه في جميـع حالاتهـا ، فـإذا أخطأ أو تبين المخفي))[2] .

فقد اجتهد السالم في إبراز صـورة الزوجـة المـستلبة والـضعيفة وتـصوير بشاعة السلطة الزوجية وقسوتها على الزوجة والأبناء .

---

(١) قطرات من سحائب الذكري ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٤١٩ ، ١٥٠ .

(٢) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٦٩ .

صورة الزوجة القاسية :

لقد رسمت السيرة الذاتية صورة الزوجة المخلصة الوفية البـارة بزوجهـا وأبنائه ، وفي نفس الوقت رسمت الصورة الأخرى المضادة لها الزوجة القاسية المتعسفة .

فمن الصور السلبية ما ذكره عبد الفتاح أبو مدين عن طليقته وتخليها عن الأبناء والزوج ، واتباعها لرغباتها واهوائها فأفسدت حياة زوجية دامت سـتة عشر عاماً:((في دمشق ... قلت لأم وديع .. نريد أن نعود إلى بلادنا ، ولكنها رفضت، ولعل الحياة في دمشق قد راقت لها ، وحين استقر عملي في عكـاظ .. ذهبت إلى دمشق ، لأحاول مرة أخرى إعادة زوجي وأبنائي لنعـيش معـاً ... غير أن أم وديع ... رفضت العودة ... فتم الانفصال))[1] .

ولم تستفد أم وديع من المدة المتاحة لهـا ، فعـصفت أهواؤهـا ورغباتهـا بحياتهـا الزوجية وهذا ما دفع الكاتب إلى التأسف على حياتهم الزوجية التي امتدت إلى سـتة عشر عاماً ، والدور الذي قامت به الزوجة تجاه أبنائها يقول :((ولقد دامت حياتنا الزوجية .. أكثر من ستة عشر خريفاً ، تحملت فيها الأم عناء الحمل والوضـع والتربية ، والسهر الطويل))[2] .

نجد في السير الذاتية ظهوراً للجانب السلبي للزوجة ، لكنـه ظهـور بـين

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٨٤ .

الحين والآخر دون إفاضة .

فهذه زوجة « محمد توفيق » حين صبت قساوتها على الكاتب وهو محاصر في ظروف مادية ونفسية سيئة ، يحدثنا عنها بقوله : ((غادرت أم سندس ومعها سندس ، ولم أصحبهما في سفرهما لأمريكا لظروفنا المادية والنفسية ، وما أن وصلت حتى أخبرتني بعدم رغبتها في العودة إلى المملكة وإنها تريد البقاء والعيش إلى جانب أمها))[1] .

وأن تحدثنا عن المرأة وقساوتها فلابد أن يوصلنا الحديث إلى زوجة الأب والتي وجدت عند ((عبد العزيز الثنيان)) حين تحدث عن طالب يعرفه يتعرض لقسوة زوجة أبيه يقول عنها : ((فزوجة أبيه قاسية ومستبدة ، وهي السبب في منعه من الدراسة ، حيث تريد أن يبقى خادماً في البيت ، وأنها تغار من تفوقه ونبوغه))[2] .

وتبذل زوجة الأب كل الأمور التي من شأنها إزعاج الطالب وتكليفه بما لا يطيق ((وصار يروي معاناته من زوجة أبيه وتسلطها عليه ، وإيقاظها له قبل صلاة الفجر لإحضار الخبز ، ... وتحدث عن كذبها على أبيه ، وإيغارها صدره عليه ، وأنها تأمره بتنظيف المطبخ ، وغسيل الملابس ، وري حديقة المنزل))[3] .

---

(١) حصاد الظلام ، محمد توفيق ، ص ٢٦٢ .

(٢) بوح الذاكرة ، عبد العزيز الثنيان ، ج١ ، ص ١٤٣ .

(٣) السابق ، ص ١٤٣ .

وهذا أثر في الكاتب وأحزنه وجعل يومه مليئاً بالكآبة والحزن يروى عن حاله فيقول : ((ولقد تأثرت بالموقف أيما تأثر ، وحزنت أشد الحزن ... وحين خرج الطالب لم أستطع العمل ، ولم أتمكن من النظر في المعاملات ، ... وخلوت بنفسي في غرفة الاجتماعات))[1] .

فكانت زوجة الأب ذات تأثيرعلى الطالب والكاتب وهو تأثير سلبي بلاشك .

ومما تقدم نخرج بنتيجة مفادها ، أن هناك تغطية شبه كاملة لموضوع الزوجة فوجدنا الزوجة المخلصة الواعية ، ونقيضها القاسية الباحثة عن أهوائها ورغباتها، ولا يخلو الأمر من زوجة الأب بطبائعها وسوء معاملتها .

---

(١)بوح الذاكرة ، عبد العزيز الثنيان ، ج١ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

الابنة :

يبدو أن صور الأبنة في السير الذاتية قد توارت ، وتقلـصت إلى صـورتين تناوب كتاب السير بالكتابة عنها .

وهي الابنة التي تحتاج إلى الرعاية الأبوية ومـا يـضمره الأب مـن حنـان ومشاعر تجاهها .

وبدورها تكون الابنة الإيجابية الواعية المثقفة ، صاحبة الحنـان والعطـف الدائم ؛ مثل ابنه الدكتور عبد الله أبو داهش أروى التى حظيت بملازمة أبيها في وقت مرضه،والاهتمام بعلاجه.

وتلك الجوانب الإيجابية أثرت في مشاعر وأحاسيس الكاتب ، فدفعت به إلى تمجيد هذه الفضائل في نفسه وبالتالي البوح بها، يقول :

((وفي سوانح أخرى كتبتهـا إلى ابنتـي الحـرة : أروى بنـت عبـد الله أبـو داهش ... حتى إذا أقعد المرض أباك في : آناء الليل ، وأطراف النهار لم تـذوق طعم النوم ، أو تكتحل بوسنه بين علاج تقدمينه ، أو غذاء تختارينه هكذا كنت عبر شهرين متصلين مواقف تحسب لك لن أنساها))[1] .

وتغمر الكاتب الحميمية والمودة ، حين ذكر تضحية ابنته أروى بالوظيفـة وبالبرنامج وغيرها من أجل والديها ومن أجل رعاية ومتابعة أختها ، فها هو

---

(١) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٨٢١ ، ٨٢٢ .

يصفها بالملكة بشعور صادق وحس مرهف، يقول : ((وأذكر أيضاً يا أيتها الملكة: أروى حينما عرضت لك : الوظيفة ، والبرنامج ، والإعادة معاً في نحو منتصف عام ١٤٢٤هـ فأعرضت عنها جميعاً ، وضحيت من أجل أخوتك ، ووالديك نعم من أجل درسهم ! ومتابعتهم وبرهم))(١) .

ويظهر على الكاتب الشعور بإجلال ابنته،والفخر بها؛ لأنها جسدت العديد من مظاهر التضحية والحنان على المستوى العائلي .

وهنا تجيء قيمة التضحية الفردية في سبيل النفع الأسري ، والتى تبرر بمنطقية،التدفق العاطفي من قبل الكاتب على ابنته وجمال التعبير بالدعوات المعبرة : ((فلقد أحسنت صحبة أبيك ووفيت ببره ، ولك – إن شاء الله – مستقبل مشرق سعد لأن شغلك لن يضيعه الله تعالى ... ، فلك دعاء أبيك الصادق والأيام مسعفة – إن شاء الله – بفلاح ظاهر ، وتوفيق دائم ، يزيلان كدر الأيام الماضية وذكرياتها الحزينة المؤلمة ، وأقول لك : من يُطيق ما تطيقنه يا أروى البارة النجيبة))(٢) .

ونجد في نفوس الكتاب عاطفة أبوية فطرية ، وتستثار في بعض مراحل العمر ، ويعتمد بعضهم على دلالة الحال كي يعبروا عن مكنون عواطفهم وإحساسهم إيزاء أبنائهم فغازي القصيبي مثلاً أثرت فيه حالة زواج ابنته يارا،

---

(١) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ، ٨٢٢ .

(٢) السابق ، ص ٨٢٢ .

واستثارت قريحته الشعرية فولدت قصيدته « أطفلة الأمس هـذي ؟! » يقـول غازي :

((كان هناك حدث ترك آثاره على حياتي وعلى شعري : عقد قـران ابنتـي « يارا » على ابن عمها « فواز فهد القصيبي » مع حفـل القـرآن تـدافعت كـل ذكرياتي مع الطفلة التي أصبحت ، الآن ، عروساً ، وولدت قـصيدة « أطفلـة الأمس هذي !!))[1] .

فالحدث أثر على الكاتب وجعله في حالة من الذكريات لعمر الابنة الممتد من مرحلة الطفولة إلى الزواج ، وبين عدم تصديقه لزواجها، يقول في قصيدته « أطفلة الأمس هذي !! » :

أطفلة الأمس هذي ؟! أين لثغتها

تصير الحرف عيداً حين تنطقه ؟

أهي العروس التي اختال موكبها ؟

شيء أراه .. ولكن لا أصدقه[2]

وقد ذكرت في البداية أن صور الابنة في السير الذاتية قد تقلصت وتوارت إلى الابنة التي تحتاج إلى رعاية الأبوية والحنان الدائم .

---

(١) سيرة شعرية ، غازي القصبي ، ج٢ ، ص ٣١ .

(٢) عقد من الحجـارة ، غـازي القـصبي : المؤسـسة العربيـة للدراسـات والنـشر ، بـيروت ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

فنجد ليلى ابنة الكاتب عبد الفتاح أبو مدين محظية بشفقة أبيها وحنانه وخصوصاً بعد فقد أمها بالطلاق .

يقول عبد الفتاح: ((ومرت علينا أيام قاسية ، لاسيما في رمضان ، وليلى أكبر الأبناء ... عمرها لا يؤهلها لا نجاز طعام صائمين ، وهي طالبة متعبة بدروسها))[1] .

واحتواء الكاتب لابنه ليلى دلالة على وعية وإدراكه ، ومراعاته لسن ابنته الذي لا يؤهلها لتحمل مسؤولية أسرة ، وأيضاً اشفاقه عليها لكونها طالبة تأتي متعبة من الدراسة .

وتظهر على الكاتب شخصية الأب المشبعة بروح العطف والحنان لأجل راحة الأبناء واستقرارهم ، والحريص على معاملة بناته بلطف ودلال، يقول : ((أذكر ونحن في البحر ، وكنت في « كابينة » ، وفي السرير الأعلى إحدى بناتي – نوسة – ، وهو اسم الدلع ، واسمها الحقيقي – سهير ومع تمرجح الباخرة ... سقطت على أرضيتها ، فأفقت ولحقتها ، لكنها والحمد لله لم تصب بسوء »[2] .

واتخذ أبو مدين (اسم الدلع) وسيله يعبر بها عن حبه لابنته وحنانه وحرصه عليها من أي سوء أو مكروه وإذا كان أبو مدين على هذا القدر من

---

(١) حكاية الفتح مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٨٥ .

(٢) السابق ، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

الإحساس والعطف فإن أحد المراجعين لدى الكاتب عبد العزيز الثنيان على قمة هذه العواطف، والأحاسيس يقول،الثنيان :((وجدت أخاً بين المراجعين ، عرفتُ من نظراته أنه يريد محادثتي على انفراد ، ... وكنت أعرفه رجلاً جلداً ، لا تهزه النائبات ، ولا تحركه الجائحات، وليس فيه ضعف ولا خور))[1] .

فالكاتب يرى من خلال نظرته لهذا الرجل الجلد أن هذه الصفات القوية ستنهار أمام دموع الابنة وتشكيها، ويقول على لسان ذلك الرجل : ((وظلت الصبية ليلة البارحة باكيةً ، فأبكتني ، وأرقت شاكية فهزتني ، ولم أنم ليلي ، وأصبحت قلقاً حائراً لا أعلم ما أفعل ؟ ولا أدري إلى أين أتوجه ؟))[2] .

وهذا الزخم الهائل من الوجد لا يقوى على إظهاره سوى الأب المحب .

وقد دفع هذا الوجد بالكاتب عبد العزيز إلى توضيح حال الرجل ، وهو حال كل أب محب لابنته:((قلت يا صاحبي : لا لوم ولا تثريب ، فأنت أب ، وحالي كحالك ، فلقد أبكتني أبوتي مراراً ، وهزتني شفقتي تكراراً))[3] .

ويذكر السارد تجلي عاطفة الأبوة لدى المراجع حين وصف شعوره تجاه ابنته الوحيدة ،يقول : ((ليس لي ولد أكنى به ، وإنما لي هذه الفتاة ؛ فهي وحيدتي وأنيستي ، وهي سلوتي وسروري ، وهي مالي ، وهي فؤادي ، وهي

---

(١) بوح الذاكرة ، عبد العزيز الثنيان ، ج١ ، ص ١٣٣ .

(٢) السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) نفسه ، ص ١٣٦ .

بصري الذي أبصر به ، وهي قلبي الذي أهتدي به))[1] .

وهاهو سلمان العودة يصف شعور أحد الأباء عند رؤيته لابنته (نورة) ، فيقول : ((الفرحة مضاعفة .. لقد رأى الوجه الدائري القمري الذي يعشقه ، وجه بنته (نورة) الصغيرة التي طالما تغن بها وقال :

نـــورة القلـــب يـــا قمـــير الليـــالي ما أُحَـبَلاهُ حُـسْنُك الروحـاني !))[2]

---

(١) بوح الذاكرة ، عبد العزيز الثنيان ، ج١ ، ص ١٣٥ .

(٢) طفولة قلب دون التذكر فـوق النـسيان،سلمان العـودة، الريـاض ، ط١ ، ١٤٣٢هــ/ ٢٠١١م الرياض ، ص ٥١٨ .

نساء أخريات :

لقد اتسع حضور المرأة الأخرى عند كتاب السير الذاتية ، واستأثرت بشيء من حياتهم الأدبية والعلمية ، وشكلت جزءاً من تجاربهم الحياتية .

وبما أن حضورها كان متسقاً مع، واقعها، ودورها في الحياة . فإننا نهدف إلى تحديد مكانها وتأثيرها ، سواء كان إيجابياً أم سلبياً على تكوين شخصية صاحب السيرة:((فالشخصية الرئيسة التي تدور جميع الأحداث والشخصيات في فلكها، وفي الوقت نفسه ترتد انعكاسات أفعال الآخرين عليها فتترك أثرها في حياتها))[1] .

ومن خلال استقراء النصوص الذاتية نجد هناك نموذجاً للعلاقات الأسرية المؤثرة على الكاتب والمتمثلة في الأخت ، والخالة ، والعمة وغيرهن .

حظيت الأخت ببعض اهتمام الكتاب ، وجاءت في سياق الأنوثة المشبعة بالعاطفة والحنان فالسارد (عبد العزيز السالم) يذكر أخته التي كلما احتاج إلى عاطفتها وجدها جياشة ظلا يضم الجميع .

يقول : ((لنا أخت من الأم .... ، وكانت ملاذنا نحن الصغار وموضع اهتمامها بنا ، نجد لديها عاطفة جياشة ، ونلمس مبلغ حنوها علينا وتبسطها معنا تحت ظلال عواطفها ، وتضمنا في حجرها ، في هذا المحضن الرحيم

---

(١) السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان وجبرا إبراهيم وإحسان عباس ، نموذجاً ، تهاني عبد الفتاح ، شاكر ، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ١٠١ .

المؤطر بالعاطفة المخلصة))[1] .

وبسبب هذه العاطفة تعلم السارد بأن يحفظ الود لأهله فنجده، يقول :

((وإنسان في طفولته .... يتأثر بالمعاملة التي يتلقاها بحسب نوعيتها وملامستها لمشاعره ، فيحتفظ بالود لمن أحسن إليه))[2] .

وقد تجلت عاطفة أخته وحنانها ، إلا أننا نراه يزيد في إظهار هذه السمات ويذكر المواقف الدالة عليها ،فيذكر يوم وداعه ورحيلهما للدراسة لم تتماسك أختهما فانفجرت بعواطفها الجياشة المؤثرة ويتحدث عنها، فيقول :((أما أختنا لأمنا فقد انفجرت في نحيب متواصل ، فهي رقيقة بطبعها ، ولذا فإنها لم تتماسك أمام فراقنا ،... وأتذكر كيف بكت الأخت بكاءً شديداً،وهي تحتضنني وتحضن أخي،وتأسى على الفراق))[3]

والصور التي أوردها الكاتب عن أخته ، إنما أراد بها إثبات الجانب المعنوي والمتجسد في إحساسه بحنو أخته عليه وإهتمامها الدائم به وأنه ذو مكانة وقدر عال عندها .

وفي سيرته يتوصل (السالم) إلى عظم الدور الذي تقوم به الأخت ، ويوضح أن الأخت تملك من العواطف والأحاسيس ما تملكة الأم ، وأنه

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٣٦ .

(٢) السابق ، ص ٣٦ .

(٣) نفسه ، ص ٣٣ .

يمكن أن نجد حنان الأم في الأخت ؛ ويقدم نموذجاً على ذلك، أخته منـيرة ، ومبادرتها الطيبة في يـوم سـفره؛حيث احتـضنته كأحـد أبنائهـا ، ودعـت لـه وقدمت بين يديه مبلغاً من المال . وهذه الأمور عادة ما تقـوم بهـا الأمهـات : ((أذكر بادرة طيبة وصلة رحم لا أنساها ما حييت ، وذلك أني عندما ودعـت أختي منيرة ... قبل السفر احتضنتني كأحد أبنائها ودعت لي بالتوفيق ، ... ثم أعطتني (صرة) بداخلها عشرة ريالات فضة ، .... ، لأستعين بها في رحلتي ، ومـا نـسيت ذلك المبلغ الصغير الذي كان في وقته كبيراً))[1] .

كذلك الحال في سيرة (حسن كتبي) ، حيث أبرز الكاتب الجانب العاطفي لدى أخته ،تصويره لقيامها بدور الأم ، خصوصاً بعد فقدان أمهم ، حيث كانت مـصدراً للسعادة والحياة والأمل يقول :((أما شقيقتي فكانت فرحة الـنفس ، فرحـة القلـب ، وكنت أجد فيها حنان الأم التي أفتقدناها ، وكانـت بالنـسبة لنـا هـي الـسعادة والحيـاة والأصل))[2] .

وأسهمت الأخت في تعويض هذا الفقـد والـنقص بـصورة مثاليـة الأم ، وملأت الفراغ بحب وحنان، وزرعت الثقة والعـزة في نفوسـهم ،وأشـعرتهم بغناهم عن عطف الآخرين ،يقول:((عرفت شقيقتي التي كانت تكبرني سناً ؛ فملأت برحمتها فراغ يتمني وكانت تثير في روحنا العزة والكرامة والترفع عن

---

(١)ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٨٥ .

(٢) هذه حياتي ، حسن كتبي ، ص ٧٦ .

الشعور بضعف اليتامى وحاجتهم إلى عطف الآخرين))[1] .

وما زالت الأخت تجسد دور الأم ، وتسهم إسهاما كبيراً في تعليم أخوانها وتوجيههم نحو الأفضل:((لقد أحببناها حباً جعلها تتسلط به على أفكارنا وقلوبنا فتوجهنا توجيهاً صالحاً يتفق مع طفولتنا وقد شمل هذا التوجيه الحث على النجاح في الدراسة، والمحافظة على النظافة وحب النظام))[2] .

يؤكد الكاتب أن هذه الصفات مكتسبة من أخته ، وأنها ساعدته في تكوين شخصيته وهو يركز على مدى تأثر شخصيته بأخته ، حيث لا يروى حدث إلا ليبرز مقدرة أخته على التأثير .

وأول ما يحرص عليه كاتب السيرة هو تعريفنا بالعاطفة القوية التي تربطه بالأسرة وتأثره ببعض شخصياتها في سلوكياته.

واهتم عزيز ضياء في سيرته بالحديث عن بعض أفراد أسرته ، ويجعل بعض الشخصيات ممتدة معه كالدادة منكشة وخالته خديجة ، لكنه ولى الأهمية الأولى لخالته خديجة وحضنها:((اقتربت من حضن خالتي فضمتني إلى صدرها واضجعتني على فخذيها ... وتركت يدها الناعمة تمر على جبهتي فاستغرقت في نوم عميق))[3] .

---

(١) هذه حياتي ، حسن كتبي ، ص ١٢٣ .

(٢) السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢٠ .

وحضن الخالة هو إدراك لوجود العاطفة النقية والحنان الصادق وتكـوين الحب الأول لدى عزيز .

وتتفرد بحسن التعامل مع الكاتب وأخيه عبد الغفور ، لأنها تحـل الـدلع محل الاسم وهذا مؤثر في كينونية الفرد يقول :

((وهي تدلل عبد الغفور فتسميه « غفـوري » كـما تـدللني أنـا فتنـاديني « عزيز » وقد كانت رحمها الله تصر على هذا التدليل))[1] .

ونجد شخصية الخالة في عدد من المواضع والتـي تظهـر شـيئاً مـن سـماتها ، ومـن السمات البارزة في شخصية الخالة الحنان والعطف والاستجارة .

والتي تزود الكاتب بالاستقرار العـاطفي والطمأنينـة والاحتـواء، يقـول عزيز : ((لن أنسى الطشت الذي توقفني في وسطه بعد أن تجردني من ملابسي لتغسلني كل مساء ، ومع عملية الاسـتحمام اللعينـة هـذه ، مزيـد مـن مـصع الأذنين ، .... ، ولا يخلصني منها إلا خالتي التـي تـسمع صرخـات مـع كـل صفعة كف ، ومصعة أذن فتخف لتخليصي))[2] .

وكثير ما كان يكرر حماية خالته له من عقاب أمه وأنها المـلاذ الـذي يلجـأ إليه إذا ما وقع في مشكلة ويضرب بمثال لحادثه الخبيزة والتي نجد فيها الحوار بوصفه وسيلة لنقل الأحاسيس والانفعالات يقول :

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٤٠ .

(٢) السابق ، ص ٤١ .

((وحين جاءت أمي ورأت الخبيزة مكومة على الأرض لم تلفت أو لم يستوقفها ما رأت واندفعت نحوي ، ولكن خالتي أحاطتني بذراعيها وهي تقول :يتوب يا ستيته يتوب ... كمان شوفي ايش جايب !

وفي هذه اللحظة دخل جدى مقطبا متوترا ... ولكن خالتي استطاعت أن تشفع لي ... وحين التفت إلى خالتي رأيت تلك الابتسامة الرقيقة كأنها تعبر عن الامتنان أو الانتصار في الدفاع عني))[1] .

نلاحظ من خلال النصوص السابقة أن الصياغة التي انتهجها عزيز في سيرته هي صياغة قصصية ، حيث استعان بالعناصر الفنية للقالب القصصي ، وبكفاءة قل نظريها عند كتاب السير ، كالتصوير ، والوصف ، والحوار وهي عناصر لا غنى عنها في العمل الأدبي ، فهي تحرك في نفس الملتقي الأحاسيس الجمالية والنفسية .

وتبرز عبارات الحب عند عزيز ضياء حينما يتحدث من خالته خديجة فقد عاش عزيز الحب الأول معها،يقول :((هذا الحزن الذي أطبق على قلبي يوم ماتت تلك الخالة الحبية ، كان هو أول الأحزان وأبعدها أثرا وتأثيراً في النفس ... لأنه كان الحزن على حبيب لا أجد ما يمنع أن أقول إنه أول حب وأول حبيب))[2] .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٩٨ .

(٢) السابق ، ص ١١٢ .

لقد أدرك عزيز ضياء أهمية الحالة الشعورية لدى الأديب ، وما يشعر به في نفسه إزاء الأشياء ، ولأنها تثير في المتلقي التفاعل العاطفي مع الكاتب .

وجد عبد الله المناع الباعث الفني للكتابة وطرق التثقيف في منزل خالته زوجة بابا قاضي ، وبرز دور منزل الخالة في تحصيله الثقافي السمعي والبصري وتشكل في عقله فيما بعد الصورة الحضارية التي يجب أن يكون عليها كل بيت، يقول : ((كانت « والدتي » ترسلني في أوقات طويلة تصل إلى أسبوع ... في بيت « خالتي » زوجة « بابا قاضي » ... فقد عرفت في ذلك البيت الموسيقى والغناء، وتعلمت سماع الأخبار ومتابعتها ... وأحسست بـ « اللوحة » الفوتوغرافية التي لم ترها أو تعرفها البيوت الأخرى ... نعم تذوقت من خلال ذلك البيت ... ألوان الفنون جميعها : السمعية والبصرية))[1] .

ويظهر مما سبق أن النزعة المبكرة للكتابة عند الكاتب كان سببها منزل خالته ، وما يحتويه من موسيقى وأخبار .

فقد تساءل الكاتب عن أسباب الكتابة المبكرة فكان نتيجة الساعات الطوال التي كان يقضيها بين الراديو وصندوق الغناء في منزل خالته ،يقول : ((أو لتلك الساعات الصباحية التي كنت اتحينها لسماع تلاوات الشيخ أبو العينين شعيشع ، فتفاجئني بعدها أو قبلها نشرات الأخبار والتعليقات عليها من راديو « لندن » أو لتلك الساعات الطوال الآثر التي كنت أمضيها إلى جانب

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

صندوق الغناء (الجرامفون)))[1] .

ويظهر بذلك أهمية المكان لدى السارد ، ((فالمكان الذي يعيش فيه البشر مكان ثقافي))[2] وهو ما يعني أن العلاقة بين الإنسان والمكان تقوم على التأثير المتبادل في الثقافات .

وفي الأحيان تغد الخالة مرشداً ومعلماً للطرقات والأماكن كما هي خالة مرداد :

((كانت الخالة تسلك بنا أنقابا وصعوداً إلى بعض الهضاب وطلوعاً لبعض الأجبل في طريق العودة غير المسالك التي سلكناها في الذهاب .... فكانت تحفظ جميع الطرقات وتملي علي كلمات لأسماء بعض الجبال والقرى التي في الطريق))[3] .

فكانت الخالة سبباً لعناية مرداد بالأماكن التي مر بها أوعاش فيها ، وبخاصة أماكن الطائف الجميلة التي عاش فيها طفولته وأوائل شبابه ، يقول :((دخلنا أرض (لقيم) ... ونزلنا في حديقة غناء تزخر بالطيور والقماري والفواكه ... ثم واصلنا المسيرة إلى سفح (رغاف) ، وهنا قرى كثيرة وآبار ، ثم ارتحلنا إلى (الصخيرة) ، ثم إلى ديار بني سالم))[4] .

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٨٣ .

(٢) يوري لوتمان ، مجلة ألف « البلاغة المقارنة » : ع ٦ ، ص ٧٩ .

(٣) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٨٠ .

(٤) السابق ، ص ٣٨ .

وتختص هذه الخالة بحب وتقدير عبد الحميد مرداد وثقته الصادقة ،إذ يحكي مرداد عن استشارته لخالته ،وفتح اسراره معها، فيقول : ((ذهبت إلى الخالة في جبل الكعبة وبتّ عندها وأطلعتها على الأمر ... لأني لا أثق في أحد ولا يطلع على سري وجهري غير الله ثم هذه الخالة ... أطلعتها لآخذ رأيها))[1] وفتح كلام الخالة ونصائحها آفاقاً جديدة للكاتب وبعث العزيمة في روحه: ((بكلامها هذا فتحت آفاقاً جديدة في مخيلتي وشدت عزيمتي أكثر من ذي قبل))[2] .

وما زال الحديث عن العلاقات الأسرية النسائية وتأثيرها على كتاب السير، فالعمة أحد ممثلي هذه العلاقة ، وقد وجدت عند بعض الكتاب وأخذت حيزاً من أفكارهم .

فهاهو المؤلف عبد العزيز الربيع يأخذ بيد قارئه ليصف له بيت عمته الفاضلة فيقول :

((في المنزل الذي يقع أمام بستان الأبارية كانت تقيم سيدة كريمة مع زوجها ... كان المنزل ملك لزوجها وكان في حالة مالية طيبة أما هي فكانت من الزوجات الفضليات))[3] .

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٥٥٨ .

(٢) السابق ، ص ٥٥٩ .

(٣) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٥٠ .

ويسترجع عبد العزيز الربيع ملامح الحفاوة التي كان يتلقاها في منزل عمته ،يقول : ((وكان منزلهما من المنازل السعيدة أو هذا الأثر الذي انطبع في نفسي من زياراتي له في طفولتي .... ومن الحفاوة التي كنت ألقاها كلما ألممت بهذا البيت))[1] ومما يتميز به أسلوب الربيع كثرة استخدامه لأفعال الكينونة كما لحظنا ((كان ، كانت ، كنت ، ... إلخ)) فهو يستحضر الماضي بأفعال الكينونة إمعاناً في التذكير ، أو إشعاراً للقارئ بأن هذه الأحداث الحلوة كانت جزءاً من عمره وأنها الآن أصبحت مجرد ذكرى .

ونرى الكاتب في موضع أخر يتساؤل بحزن ،وشفقة عن وفاة عمته وأسباب تلك الوفاة، يقول :((كان موتها قد سبب حزناً عميقاً لأبي ... فقد كانت شقيقته ... فهل كان سبب موتها ... أنها كانت تعيش في هذه المنطقة الموبوءة ، وهل طال عمر زوجها لأنها كانت توليه كل عنايتها ؟))[2] .

وحزنه العميق على هذه العمة كان مبرراً ،إذ أولته عنايه كبيره يذكر طرفا منها قي،قوله:((أنها كانت تقدم له كل صباح عندما يستيقظ ... صفار بضع بيضات ممزوجاً بكمية من الحليب المعقم الدافئ))[3] .

وتتراءى لنا من خلال النصوص شخصية العمة ، فهي شخصية رقيقة ناعمة تمتاز بالصبر والعطاء غير المحدود والمؤثر فيمن حولها .

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٥٠ .

(٢) السابق ، ص ٢٥٠ .

(٣) نفسه ، ص ٢٥٠ .

وتشاركها في هذه الصفات عمة عبد الحميد مرداد والتي ضاعفت من جهودها كي تخفف عن الكاتب آلام فراق أمه ، وتؤنسه في وحشته وغربته ، فكان من أساليب التخفيف رواية القصص والحكايات المسلية :((وكان بجوار فراشي فراش العمة الصغرى ، وكانت تعطف علي نوعاً ما وتقص علي من الحكايات والنوادر ما يخفف عني بعض آلام فراق أمي المرضع ، ويؤنسني في وحشتي وغربتي لأني شبه غريب))[1] .

وزاد في ذكر صفاتها النبيلة حينما أخبر بأنها بكريم أخلاقها،وحلاوة صبرها أهتمت بتعليمه الوضوء والصلاة،وأهتمت بتثقيفه،وتمدينه،حيث حرصت على تبديل حياته البدوية بحياة الحضارة والتمدن،يقول:

((واسند تعليمي الوضوء والصلاة لعمتي الصغرى وجعلها مسؤولة عن تثقيفي وتعليمي وتحضيري وتمديني ، ... ثم تسلمتني العمة الصغرى وبدأت تعلمني أمور الصلاة وكيفية الوضوء والصلاة وصفتها))[2] .

وربما يكون مبعث روح الطمأنينة وحب العلم - الذي يتحلى به الكاتب - مبعثه العمة الصغيرة، فقد كانت تستقبله وتساعده في حفظ الواجب والمذاكرة،كما أنها اسسته في التعليم وعلمته حروف الهجاء فيقول :((وما أن وصلت إلى الدار حتى استقبلتني العمة الصغيرة وحفظتني الواجب غيباً

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ١٢١ .

(٢) السابق ، ص ١٢٣ .

وكتابة .... وهكذا حتى انتهيت من حروف الهجاء بفضل مذاكرة العمة الصغرى رحمها الله))[1] .

ومن الضروري أن نقف على الجانب المضيء لعمة الكاتب أحمد قنديل ، فقد كانت تحتويه بقصصها المسلية والطرقية ، والتي تنمي بها دائرة الخيال في ذهنيته وتوسع مدركاته للحياة ،يقول : ((على ضوء خافت من الفانوس الصغي اتكأت عمتي في فراشها وأنا انسدحت بجوارها مبحلقاً فيها وكلي آذان صاغية لما ترويه من حكايات مسلية طريفة لمن كان في مثل سني))[2] .

ويحكي الكاتب عن أهمية هذه الحكايات وبأنها في ظنه كانت المؤسس الحقيقي لاختراع الراديو والتلفزيون :((ومن هنا فأنني أخال كذلك أن المفكر في اختراع الراديو أولا ثم التلفزيون أخيراً إنما كان أصلاً من شعب كشعبنا كانت السيدات الكبيرات فيه تقوم بالحكايات))[3]

وينتقل بنا الحديث إلى النموذج الراقي للعمة ، والمختزن في ذاكرة عبد الله المناع ، فقد تعرف الكاتب على الجمال من خلال أناقة عمته المفرطة ورائحتها الجميلة والتي تبقي في سلالم الدار عند خروجها أو عودتها:((وعمتي .... وأناقتها المفرطة ، حتى أننا كنا نعلم بخروجها ودخولها من الرائحة الجميلة

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ١٢٩ .

(٢) الجبل الذي صار سهلاً ، ص ٨١ .

(٣) السابق ، ص ٨١ .

التي تتركها خلفها في سلالم الدار))[1] .

وإن كان هناك نماذج إيجابية للعمة فإننا نجد النموذج السلبي عند عبد الحميد مرداد .

وقد قل الاعتراف في السير الذاتية بالنماذج السلبية الأسرية ، ولعله دافع داخلي نابع من حب الكمال ، أو الإلتزام بما أمر الله بستره وحفظ كيان الأسرة والمحافظة على أسرارها .

ولكن مرداد لم يعد محجلاً بالنسبة له الحديث عن عمته القاسية ، لأنه حديث غضب الطفولة وهو أقوى غضب، يقول :((ورأت العمة المسؤولة عني ما حل في من ضرب ونهب الكوفية وتأخر عن ميعاد الحضور المعتاد ، انهالت علي ضرباً وركلاً وطرداً وأقسمت بربها ألا أذوق الطعام ولا ألج الدار إلا بعد إحضار الكوفية))[2] .

وما زال يسرد معاناته مع عمته ويصف عقوبتها وصفاً حسياً،يقول :

((حاولت معها لكنها لم تتراجع ثم دفعتني إلى خارج الدار وأغلقت الباب من الداخل فجلست على العتبة انتظر))[3] .

وقد تناثرة مواقف العمة القاسية في سيرة عبد الحميد مرداد ، فيذكر

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي ، ص ٣١ .

(٢) رحلة عمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) السابق ، ص ١٣٦ .

الكاتب الأعمال الشاقة التي كانت تلقيها على عاتقه ، والويل له إن تأخر أو تثاقل عن أداء هذه الأعمال والواجبات .

فعليه أن يستيقظ قبل طلوع الشمس ؛ لشراء الحليب واللبن والفول والخبز وذات يوم ذهب كعادته لشراء الحليب واللبن فاستوقفته معركة الفأر والقط الكبير فحدثت المفاجأة ، فقد قفز الفار نحو الكاتب فرمى بإبريق الحليب واللبن وركض خائفاً إلى عمته لكنها صبحته بعلقة ساخنة وأرسلته إلى المدرسة من غير فطور ، وبسبب تراكم الواجبات والأعمال المكلفة من قبل عمه، قصر الكاتب في تعليمه المدرسي فكان يضرب في الفلكة حتى يغمى عليه .

ولم تتوقف أعمال النهار المكلف بها ، بل امتدت إلى أعمال أخرى يكلف بها في المساء ، فعلى الكاتب أن يستقبل ضيوف عمه ، ويعمل الشاي لهم وأن يغسل بعد ذلك أواني الشاي ، ويرتب المطبخ وقبل النوم يستذكر دروسه وبهذا يكون قد مضى من الليل معظمه))[1] .

وأول ما يلفت نظرنا في العلاقات النسائية غير الأسرية ، علاقة الحبيبة وذكرها في السير ، على الرغم أن المفاهيم الثقافية والثوابت الدينية في المجتمع السعودي تمنع وتحرم مثل تلك العلاقات .

وفي ظل هذه المنع نادراً ما نجد أحداً يتحدث عن الحبيبة ويعد المشري

(١) انظر : رحلة عمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

متجرئاً أو متجاوزاً لتلك الحدود ،فيذكر قصة حبه لأحدى بنات قريته وهي حالة من الكشف والاستنطاق لمرحلة مر بها يقول : ((كنت أحب حبيبة من قريتنا ، ... كنا نلتقي كثيراً وبصورة تكاد تكون يومية ، وذلك بحكم الرعي والتواجد قرب مزارعنا ، أذكر أنني عندما يقع لي نصيب ما ،في الأشياء الحلوة أحفظه حتى أقابلها .. فنقتسمه في محبة وضحك))[1] .

ويظهر المشري تشدد وتحفظ المجتمع على تلك العلاقة حتى أنه ليرفض أن تسمي العلاقة بكلمة الحب ،يقول : ((كان من العيب ذكر كلمة « حب » ، وكان يمارس بتنفيذه بين الجنسين على أنه ليس حباً ، ولُيسم ما يشاء))[2] .

وفي هذا السياق الإفصاحي نلحظ تأزم الكاتب من تشدد المجتمع في فهم معنى الحب الطاهر النظيف،فهم لا يقيموا للحس الوجداني وزنا، ولا يراعوا قلبا محباً:((لقد بقيت بعدها بأعوام ... أعيش طقساً من الإحساس بظلم الناس ، وبأنهم لا يقيمون وزناً للحس الوجداني النظيف))[3] .

ويمكن أن نستشف بأن تلك المفاهيم المتشددة هي التي دفعت بعبد الله المناع ليرمز لمحبوبته الإسكندرانية وأبيها بالحرف (ع) و (م) رغم انفتاح

---

(١) مكاشفات السيف والوردة ، عبد العزيز مشري ، نادي أبها الأدبي ، ط ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، ص ١٥١ .

(٢) السابق ، ص ١٥٢ .

(٣) نفسه ، ص ١٥٣ .

المجتمع المصري واستيعابه لتلك العلاقة .

يقول : ((فقد عرفت الحب أيضاً مع عدد من الفتيات .. لكن الحب الحقيقي كان من نصيب فتاتي « ع » وهي بنت الفنان التشكيلي والنحات الاسكندراني المعروف الأستاذ « م . م »))[1] .

لكن تبقي شخصية الحبيبة قابعة في الذاكرة ، ورغم ممارسته لتغييم التجربة بالنسيان . يقول :((وقد عوضني الله بزوجتي السيدة « هدى أبو زنادة » فيما بعد ، فمحت آثار الحب القديم وإن بقيت ذكراه الجميلة هاجعة في الحنايا))[2] .

وينظر الموروث الاجتماعي لعلاقة الحب بنظرة العيب والمحظور ، وعليه فإن الموروث الاجتماعي ظل له صداه القوي في تغيب الحبيبة في السيرة الذاتية السعودية .

فهذا أحمد قنديل يداري عن غرامه الأول ، ويتحفظ به في ذكرى خاصة ، ويحرص إلا يكون ذكره مستقلاً بحكاية ،يقول : ((لا زلت احترم غرامي الأول رغم احتفاظي به في قلبي ، وفي كراسة صغيرة ... فإنني أحتفظ به ذكرى خاصة ... غير مبعثرة الأسرار ترد عرضاً في سرد حكاية غير حكايته مستقلا بها بالذات))[3] .

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله المناع ، ص ١٣٠ .

(٢) السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٣) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ١١٨ .

وبرغم كل هذا التحفظ نجد له تنفيساً عن هذا الغرام المكنون يقول :

((جاءت مزنة إلى البئر تحمل قربتها لتملأها ... فملأت قربتها بخفة وحملتها في رشاقة ... وغابت بها في نشاط ... رجعت يومها مبكراً للدار بنفس ما يشبه الزلزال فعلا ... فقد سرت بدمائي حرارة مستحبة ... وفي قلبي وجيب جديد ... وبجسمي خدر حلو ... ولم يفارق عيني منظرها ... منظر مزنة))[1] .

ونجد صياغة جديدة لذكر الحبيبة تمليها قدرة الأديب وتجربته مع الحياة .

فهذا عزيز ضياء يمتلك القدرة على التعبير عن ألم الحب، وتمتلك الإحساس القوي على البوح به.

لننظر لهذا النص الذي يقول فيه :

((كانت ليلة لا تنسى ... ولم أنسها حتى اليوم ... فهي الليلة التي لم يغلبني فيها النعاس ، ربما لأول مرة طول سني طفولتي ... ليس فقط لأني ظللت اسمع الحديث الهامس الذي ظل يدور بين بدرية ، وبين أمي ..... وأنما لأن بدرية كانت بجانبي أو أنا الذي كنت بجانبها))[2] .

يسكب عزيز ضياء شحناته الإبداعية على نصوص سيرته ، فتثير في القارئ التفاعل العاطفي، يقول : ((واشعلت بدرية لمبة أخرى معلقة في

---

(١) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ١١٣ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢٧٥ .

الجدار ضعيفة الضوء ، فقد كانت كافية ، أرى على ضوئها بدرية ، وقد حررت رأسها من (المحرمة) ... كان شعر بدرية طويلاً ، ما كادت تخلصه من تلك المحرمة حتى تهدل ، وانسدل على صدرها وكتفيها))[1] .

ويخلق عزيز ضياء من الحالة النفسية مشاهد حسية ومعنوية تتسلط على أحاسيس القارئ فتأسره يقول : ((سأمشي بالجمال في نفس الطريق الذي مشت فيه (الحبيبة) التي قلت أني ظللت أبكي رحيلها أياماً وليالي عندما سافرت .... لكن لاشك أني سأرى جميع المناظر التي وقعت عليها عيناها .... عيناها ... ألا ما كان أجمل عيناها .... الأهداب التي تصل إلى الوجنتين عندما تغمضها .... وتلقى ظلا على وجنتيها الوردتين عندما تفتحهما وتنظر إلى))[2] .

أظهرت الحبيبة عند عزيز ضياء أبهى اللحظات ، وأروع المشاعر ، وأظهرت الحب الذي يراه بعض الأدباء خافتاً بسبب قسوة الحياة والحرب كما أشار لذلك حمد السويلم ((وقد جاء الحديث عن الحب خافتاً ، لأن وطأة الحياة من القسوة بحيث لا تدع مجالاً للاهتمام بالجوانب العاطفية . إنه حتى في عنوان السيرة جاء محاصراً بين الحرب والجوع))[3] .

والظاهر أن الحبيبة لها أثر بالغ في تمويج مشاعر عزيز ضياء وإظهارها

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢٧٥ .

(٢) السابق ، ص ٦٥٠ .

(٣) حمد السويلم ، مجلة علامات ، ص ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م ، ج٢ ، ص ٥١٦ .

للحياة رغم قسوة الحروب والجوع فسابقاً أشرنا إلى (بدرية) الحبيبة الأولى ، و (بنت المنور) هي النبض المشرق لصورة الحبيبة الأخرى التي يعلن من خلالها أنه لن يرضخ لقسوة الزمن ،يقول : ((رفعت رأسي .. لأرى من (مِنْور) بيت الجيران وجه فتاة تبتسم .... بابتسامتها العذبة .... وعينينها الجميلتين .... ظللت في مكاني ... إلى أن ارتفع صوت أذان المغرب .... فغابت هي عن (المنور) .... ونهضت أنا عن المقعد))[1] .

ويذكر عزيز بأن بنت المنور أنسته بدرية والأخريات يقول :

((هي (بنت المِنْور) التي استردت عافيتها فأشرق محياها بجمال أعترف أنه قد أنساني (بدرية) بل أنساني حتى الأخريات اللائي كن يزرننا مع أمهاتهن (الهوانم)))[2] .

ونجد هناك تعبيراً عن الحبيبة خارج سياق السيرة إلا أنه لا ينفك عنه من جانب الحديث عن الذات فعندما سئل غازي القصيبي في سيرته الشعرية عن بنت الجيران أجاب بأن هناك قصيدتين أو ثلاث لكنها من ردئ الشعر[3] .

وهي مفارقة سلبية فقد كانت بنت الجيران عند عزيز ضياء رمزاً لتوهج المشاعر وصورة مشرقة للعواطف الصادقة .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٥٠٦ .

(٢) السابق ، ص ٥٧٤ .

(٣) انظر : سيرة شعرية ، غازي القصبي ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

وإذا ما وسعنا دائرة العلاقات النسائية الأسرية ، فإننا نجد شخصيات أخرى للمرأة أخذت بعداً واسعاً عند بعض كتاب السير .

فظهرت في صورة الفقيهة والممرضة والجارية وغيرهم من الشخصيات .

فأما الفقيهة فقد لعبت دوراً مهماً في مجال الاطلاع والكتابة وبداية النضج الفكري عند عبد الله مناع .

فالفقيهة (حسينة) تحمل سمات المعلمة والقاصة الجميلة ؛ التي بقصصها وحكايتها ربطت المناع بالفكر والأدب يقول :((كانت « الفقيهة » حسينة معلمة قرآن لأطفال الحارة في بيتها بسوق « الندى » بحارة الشام » « وهي تقص علينا تلك القصص الرائدة إلا أصوات أنفاسنا المأخوذة والمبهورة))[1] ((ونحن نحلق ونهبط مع حبكتها الدرامية . وأحسب أن بذرة « ما » قد زرعت في وجداني على يد هذه السيدة الجليلة في تلك الليالي .. وأنا لم أتجاوز التاسعة من العمر ربما كانت تلك هي بداية علاقتي مع الأدب والفكر .. مع « الكلمة »))[2] .

ونرى تعمق الفقيهة في وجدان عبد الله مناع الإبداعي عندما أشار بأنها أحد الأسباب التي دفعته للكتابة وأن قراره للكتابة كان مبنياً على إنتاجها القصصي[3]

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢٠ .

(٢) السابق ، ص ٢٠ .

(٣) انظر : نفسه ، ص ٨٣ .

ثم نجد المفارقة في سيرة مرداد وفقهيته (آشية) المتسلحة بجميع أنواع العقوبات يقول : ((ولجنا دار الفقيهة آشية وصعدنا الدرج الحالكة حتى إذا ما وصلنا إلى مجلسها الكبير رأينا عصا غليظة بحلقتين ، من الحديد في وسطها، ومشدود بالحلقتين حبل من ليف ، وبجانب هذه الهراوة العجيبة جملة من العصي المتخذة من أعواد الخيزران مختلفة الأطوال والأحكام ... يدعونها بالفلكة))[1] .

وعلاوة على هذا ، كانت الفقيهة (آشية) تكلف الطلاب بخدمتها ، موزعة العمل بين البنات والأولاد كلاً على حسب اختصاصه ،يقول : ((ثم خدمة هذه الدار موزعة على البنات خاصة بالتناوب ، .... والخدمة هذه تشمل الكنس وغسل الأواني وعجن العجين وتقريصه أما الخبز فعلى الأولاد وكذلك مقاضي السوق))[2] .

ولأن الفقيهة كانت قاسية ،وصارمة تعاقب الاطفال بجزم وشدة،فإن هذا الفعل جعل مرداد يحفظ دروسه ليأمن العقاب،ولم يكن مهتما بالعلم للعلم، ولذا لم يستفد منه.هذه الفقيهة شيئاً ،وهذا أثر عليه ، وجعله ينهار من أول اختبار احتك به من خلال (الدحلان) صديق والده، يقول عبد الحميد مرداد :((ثم قال الدحلان : هل استفاد من الفقيهة آشية طيلة هذه المدة ؟

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ١٢٥ .

(٢) السابق ، ص ١٢٦ .

فقال : لا أدري هذا هو أمامك فاختبره ! فجلس رحمه الله يختبرني فلم أجب على شيء مما يقول))[1] .

ومن جو الفقيهة إلى أفق أوسع قائم على العلاقات الاجتماعية الإنسانية ، حيث يتملكنا الإعجاب بنموذج الممرضة التي قدمها أحمد عبد الغفور عطار في سيرته بين السجن والمنفى ،فقد جعلها أنموذجاً للإنسان في أقصى حالات الإيجابية البشرية ، والنزوع إلى الخير ، والعمل من أجل ترسيخ معنى الإنسانية، يقول : ((كنت ذات مرة أتوضأ وأسبغ الوضوء فإذا الجندي ينهرني على إسباغ الوضوء ، ويصيح بي حتى أنتهي من الوضوء سريعاً ، لأنه ليس عبد أبي حسب تعبيره ، ولم أجبه ، فإذا ممرضة كانت على مقربة منا تسمع وترى ما يجري فصاحت بالجندي : اخسأ يا هذا ؛ لماذا تصيح به ، أأنت في الشارع ؟ إنك في مستشفى فيجب أن تتأدب وألا تزعج المرضى ، ويجب أن تحترم الناس ولو كان سجيناً تحرسه ، هل أنت مأمور بالتطاول على من تحرسه !))[2] .

ويقر هذا النص بأن للمرأة دوراً نفعياً وموقفاً إيجابياً يستحق أن يسجل . ليعكس الصورة السلبية المعهودة من المرأة .

فقد أشار أحمد عطار إلى دور الممرضة ودفاعها المنصف ، وردة فعلها على التظلم واستنزاف الإنسانية .

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٠٤ .

(٢) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ٥٦ .

ويقدم محمد توفيق نموذجاً أخر للمرضة قادها الوفاء لاستشعار وجوب مراعاة المريض ، ومؤانسته وتخفيف مصابه ، والوصول به إلى شعور الطمأنينة والحنان فيتحدث عنها فيقول : ((تناولت كأس الماء وغسلتها وأعادتها إلى موضعها ، وتفقدت حوائجي بدون أية إشارة مني ، .... كانت تتحرك باستمرار ، وكانت في هذه الأثناء تبتسم .. من قلبها .. لا من شفتيها .

ذكرتني تصرفاتها بحنان الأم ، فشعرت بالطمأنينة لأنني وجدت هذا الحنان))[1] .

ويتحدث توفيق عن أدوار أخرى قامت بها الممرضة كالتدريس والقراءة،فهي لم تعد ممرضة،بل أستاذة له ،حيث تستمع له ،وتوجهه وتشجعه:((وبدأت أردد ما أحفظه لئلا أنساه ... والممرضة تستمع إلى والكتاب في يدها ... وأعجبها أنني طالب ذكي ، فأخذت تشجعني ، وأنا أفكر في أنها لم تعد ممرضة فقط ، بل أستاذاً أيضاً))[2] .

ونتعرف من خلال النصوص على شخصية توفيق فهو يملك رهافة الحس والرغبة في التعلم ، ومحاسبة النفس على زلاتها وأخطائها،يقول ((فالمح الأنوثة المشرقة في خديها ... وعلى شفتيها ... وعينيها .. وألمح خطيب المستقبل وراءها .. وألمح ذراعي وراء اللفائف فأنكس طرفي .. وأستغفر الله !!))[3] .

---

(١) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٥٦ .

(٣) نفسه، ص ٣٦ .

وانظر لقوله : ((وتسند وجهها إلى كفيها على طرف السرير في مـواجهتي .. وأغمض عيني مراراً .. وأنا استغفر الله))[1] .

وهناك نساء لم تتبلور صورهن بشكل واضح في السير الذاتيـة ، كالجاريـة التي جاءت محملة بعدة صور ، ومقسمة على حسب مكانتها في المجتمع ، فهي تـارة ذات منزلة عالية، وأخرى متوسطة، ودنيئة في مرتبتها الأخيرة .

فقد تعـرض عبـد الحميـد في سـيرته (رحلـة العمـر) لـبعض الظـواهر الاجتماعية والعادات المكية ، والتي من بينها ظاهرة وجود الجواري في البيـت فقد تعرض إليهن من خلال الفترة التي عاشها في دار السيدة خديجة ،اثناء بناء دارهم المتصدعة .

فهاهو يرصد أسماءهن وأنسابهن والأعمال المسندة لهن يقول : ((وأسـماء الجواري هي : شمسية الجركسية ، ونجمة الحبـشية ، وزبيـدة البلوشـية ، وأم المرحوم ذي الصوت الرخيم والقلب الرحيم المؤذن بمنائر مسجد الله الحـرام الشيخ سالم شربة واسمها سلوى))[2] .

ويلحظ في آخر النص ربط مرداد اسم الجارية سلوى بابنهـا الـذي صـار إماما للحرم،وهذا يدلل على أن بعض الجواري يحظين بمكانـة عالية،ومنزلـة رفيعة تمكنها من تربية ابنها تربية صـالحة،لا تـستغرب معهـا أن يـصبح أحـد

---

(١) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ٥٤ .

(٢) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٣٥ .

أولاد الجواري إماما للحرم.

وقد أكد أحمد السباعي على وجود الجواري في مكة منذ العهد الأموي في كتابه (تاريخ مكة) حيث يقول : ((وتسامح المكيون في سماع الغناء حتى اقتنوا له الجواري من طبقات ممتازة فأدبوهن بآداب العربية وعلموهن صناعة الشعر وتركوهن يغنينه بما عرفن في بلادهن مصبوغاً بصبغة الحجاز))[1] .

ومكانة الجارية ترتفع على قدر جمالها، وبالمميزات التي تملكها ،كالجارية الجركسية التي تحدث عنها مرداد بقوله : ((كانت هذه الجركسية جميلة بيضاء شقراء عجزاء تتكلم اللغة التركية والبلغارية وتنسج على المنسج أنواعاً كثيرة من النسيج وتغزل بالمغزل وتجيد طهو الطعام والحلويات كما أنها تجيد ألحاناً من الأناشيد التركية وهي بحق متعة اجتماعية))[2] .

وبذلك يسهم الجمال ، وحسن الخلق وخاصية إتقان الغناء في سمو مكانة الجارية ، وبقائها في الذهن كذكريات جميلة .

فيذكر عبد العزيز السالم جارية لوالدة كانت على مستوى من الجمال الباهر ((ذات قوام ملفوف ، وتقاطيع جميلة ، وصباحة في الوجه ، تشد الناظر إليها ، ... فإنها رخيمة الصوت حينما تغني ، .... فكانت نبرات صوتها تلامس

(١) تاريخ مكة ، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، أحمد السباعي ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ط٧ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م . ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٥٣ .

شغاف الفؤاد ، وتكاد تعصر مجامع القلب بالصوت الرخيم والأداء الحزين))[1] .

وذلك الجمال العظيم ، الملفوف بعذوبة الصوت استوطن خاطر الكاتب وأثار نحوه الشفقة والاهتمام .

((وكان الصغيران يتعاطفان معها ويتأثران بنشيجها ، وخاصة بالنسبة لي، فقد كنت شديد الملاحظة لها ، والتأثر بزفراتها الحارة التي تتصاعد من قلبها الجريح ومعاناتها الدائمة))[2] وأتيح للسالم بأن يرى المفارقة بين الجواري التي كانت التجارة بهن واقعاً مألوفاً في بيئة الكاتب في ذلك الزمان الذي عاش فيه .

فقد كان البيت فيما سلف يقوم على سواعد الجواري واللواتي كان امتلاكهن وفق أوضاع الحياة الاجتماعية والاقتصادية متاحاً .

فقد احتفظت ذاكرة الكاتب بصورة معكوسة للجارية السابقة ، إذ وجدت بجانبها جارية أخرى حملت الفرق الواسع في الصفات الخُلُقية والخَلْقية بينهما، ودفعت بالكتاب على وصفها بأن تكون خادمة للجارية الأولى .

((كانت الأولى ذات مكانة متميزة : معتزة بنفسها مترفعة بسلوكها ومعتدة بمكانتها ، .... في حين أن الجارية الأخرى لا تدانيها في أدب ،

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٤٧ .

(٢) السابق ، ص ٤٧ .

ولا حشمة ، ولا منظر حسن ، ولو أنصفها الحظ لكانت بمكانتها المترفعة سيدة لهذه الجارية التافهة))[1] .

فالجارية عند السالم ذات طابع مؤثر في نفسيته جعلته يحدد قيمة الأشياء الجميلة ويكشف عن حقائقها الجوهرية .

وندخل في المستوى الآخر للجواري ، وهو المستوى المتوسط المرتكز على خاصية الخدمة فقط ، وقد جاء ذكرها عرضاً في السياق .

فقد ذكر عبد الرحمن السدحان بأنه لجأ هو ووالده للجارية كمؤنس وخادمة لهم . بعيداً أن تكون ذات أي أهمية سوى أنها تقوم بواجبات الخدمة، يقول :

((لاحظ والدي – رحمه الله – أن الملل قد بدأ يدب في نفسي من (نمطية) ورتابة الحياة في قصر السبيعي ، فقرر أن يستأجر منزلاً في برحة قزاز ، أقمت فيه مع (جارية) بلوشية في أوائل عقدها الخامس ، كانت تقوم بخدمتنا معاً))[2] .

وهذه النوعية من الجواري مثلت صورة اجتماعية كانت موجودة وسائدة من قبل ، ثم انتهت وعادت إلينا في صورة خادمات من بلدان آسيوية وقارات أخرى بعيدة وأصبحت من ضرورات الحياة الاجتماعية الحالية .

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ١٩٩ .

ونتوجه إلى المرتبة الأخيرة والتي يصعد فيه الإحساس بالجارية إلى أقصى اللاشعور والاستخفاف والاستحقار بها .

فإذا ما عرفنا قصة الخالة فاطمة مع الجارية السوداء التي سجلها لنا عزيز ضياء في سيرته أحسسنا بتهاون المرأة بحياة الجارية ، وأنها مساوية (للنعجة) وربما أقل !!

((طيب يا خالة ... لكن ... ليه ما ندرتو الكنز ...

: - ما هو بيقولوا ، أنو ما ينفتح إلا على دم ....

: - لا يا فاطمة ... الدبيحة ، ما هي طلي ... ولا بقرة ... ولا ثور ... الذبيحة .

: - إيه هيّه يا خالة ؟؟

الذبيحة اللي ينفتح عليها الكنز جارية أو عبد ... أسود ..

.... اشتريت جارية وانتفضت أمي مرتعبة وهي تقول في صوت مبحوح .

: عشان ؟؟؟

أيوه .. بس لا تقولي لاحد ... أبوه عشان اندّر الكنز))[1] .

تبدو هذه المسألة مضحكة ونرجسية لكنها في الواقع ترصد جانباً من التفكير الاجتماعي، وبعضاً من معتقداتهم الخاطئة،والاستهوان بحياة الجواري السود.

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب عزيز ضياء ، ص ٢٤٩ ، ص ٢٥٠ .

وقد نفى عزيز ضياء بأن تكون في القصة ضرب من الخيال أو الافتعال يقول : ((إذا عُني ، أي ناقد يقرأ قصة « حياتي مع الجوع والحب والحرب » بأن يتوخى أثر الخيال في هذه القصة ، فإنه سوف يخطئ كثيراً إذا بدا له أو ظن أن فيها امتزاجاً بين الخيال والحقيقة ... ومن هنا ، أؤكد لك أن كل ما جاء في القصة خال تماماً من الخيال أو الافتعال أو التأليف والتلفيق))[1] .

ولئن كان عزيز ضياء في سيرته قد أشار إلى الاستخفاف بحياة الجارية ونظرة المجتمع لها . فإن حسن نصيف يؤكد هذه النظرة باسترجاعه لرواية صديقه (الباحجري)والتى تؤكد من خلالها على جنونية الجواري،وضعف عقولهن:((وأن الباحجري روى لنا أنه كانت عندهم جارية تصاب بالجنون فتأكل لحافاً بأكملة))[2] .

والحق أن صورة الجارية هنا قد تنوعت حيث وقف الأدباء على أبرز صورها ورصدوا موقف المجتمع منها آنذاك في منظور إنساني نقدي .

وتواجهنا صور أخرى للمرأة (الجارة) لم يكن لها من الكثرة ما يمنحها حق الإفراد بمبحث خاص فقد اكتفى بعض الكتاب بالإشارة إليها إشارات عابرة، مثل عبد الحميد مرداد عندما أشار إلى السيدة خديجة ، (شربت أم

(١) إضاءات في أدب السيرة والسيرة الذاتية بحوث ومقالات وحوارات ، عبد الله الحيدري ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م ، ص ١٦٧ ، ص١٦٨ .

(٢) مذكرات طالب ، حسن نصيف ، ص ١٥٧ .

المكارم) ، كما يسميها والتي خصته بالحب والعطف والحنان أثناء وجوده عندها .

فهي تجسد صورة الجارة الكريمة المحبة لفعل الخير:((وأما بالنسبة لي وما نلته في هذا الدار من كرم ضيافة وحسن عناية فشيء كثير جداً))[1].

يسرد بعضاً من صفاتها الحسنة،بأنها مهتمة بشؤون جيرانها : ((ثم قالت : إن السيدة الكريمة صاحبة هذه الدار موفقة لفعل الخير ، وتعلم حالكم لأنها جارتكم وهي التي وزعتها لخدمتك وإكرامك))[2] .

ومن صور المرأة عند كتاب السير، الفتاة العابرة والتي ظهرت عند أحمد عطار يقول : ((كنا نشكو الجوع ، وكانت على مقربة منا فتاة عميمة بدوية جميلة سمعت شكوانا فجاءتنا بتمر نظيف ممتاز وبجبن جاف غليظ (مضير)))[3] .

وظهرت هناك نماذج أخرى للشخصيات النسوية التي تؤثر في الكتاب معنوياً وحسياً، فقد حفظت ذاكرة عبد العزيز الربيع صورة لأحد أمهات أصدقائه والتي أسرته بصفاتها الحسية فقد ((كانت بيضاء اللون سوداء الشعر واسعة العينين ناهدة الصدر وثيقة البنيان أقرب إلى الطول منها إلى القصر كل

---

(١) رحلة عمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٣٨ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٤ .

(٣) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور ص ١٨٢ .

ما فيها يدعو إلى الأمل والحياة))[1] .

ولم يكتف عبد العزيز بالوصف الحسي، وإنما خاض في الجانب المعنوي: ((هي الصورة التقريبية لهذه السيدة الذي يدل كل شيء في مظهرها على الاعتزاز الذي لا يقف عند حد وعلى الثقة التي تتخطى كل الحدود))[2] .

وكما نلحظ أن استحضار هذا النموذج في السير الذاتية إنما هو تأكيد على رؤية الكاتب بأنه يمكن للمرأة أن تجمع بين الجمال وقوة الشخصية

فعادتنا،وما يخال في الوعي الجمعي أن المرأة إذا امتلكت الجمال ،لم تمتلك قوة الشخصية وحسن التصرف .

وقد اهتم بعض كتاب السيرة بالحديث عن المرأة ذات المواقف البسيطة والعابرة والتي ليس لها التأثير الكبير على حياتهم .

ففي « السيرة الشعرية » لغازي القصيبي موقفاً لشاعرة إسترالية ((أخذت على عاتقها إعداد مجموعة من الشعر العربي المعاصر باللغة الإنجليزية لينشر في أستراليا ، والتزمت بالفعل ، أمام الناشر))[3] .

فكانت شجاعتها قوة جذبت جنوناً أقوى لدى الكاتب: ((شدني شجاعة هذه المرأة التي زجت بنفسها في خضم تحدٍّ كهذا وهي لا تعرف

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٤٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٤ .

(٣) سيرة شعرية ، غازي القصيبي ، ص ٢٨٨ .

العربية ، ولا تكاد تعرف شيئاً عن الشعر العربي المعاصر ، قلت لها لقد اتخذت قراراً جنونياً عندما قبلت المهمة ، وسوف أتخذ قراراً أشد جنوناً))[1] .

وصور عبد الفتاح أبو مدين (امرأة المواقف) بصورة إيجابية ، فقد ساهمت الظروف التي مر بها الكاتب في إبراز تميزها وحسن تعاملها فعندما حجزت مجموعة من الكتب التي تخص الكاتب في الجمارك وصعب الوصول إليها توجه الكاتب للسيدة « خديجة الحاجي » التي ((استقبلتنا استقبالاً كريماً ، ... وضيفتنا بشاي ، ... واستمعت إلى السيدة الكريمة بإصغاء وانتباه وأدب ، ففسحت لي كتابي ، وهي واثقة مما تعمل))[2] .

ونلحظ في النصوص بأن هذه المواقف حدثت في بيئة ليست ببيئة محلية سعودية،فتصرفات النساء مع المواقف مرة بجنون،ومرة بحكمة ،وثقة تدلك على أنهن مستقلات الرأي ولهن مجال واسع في العمل، وهذا مالم تحظ به المرأة المحلية في ذلك الزمن.

ويظهر في ختام هذا الفصل بأن للمرأة وجوداً في متن السيرة الذاتية وحضوراً لافت قائماً على الشخصيات التي تجسدتها كالأم والزوجة و الأبنة وغيرها من الشخصيات .

ونلحظ مقدرة الكتاب على عرض هذه الشخصيات فنياً وموضوعياً ، فلا يقدمون من المعلومات عنها للقارئ إلا ما يرد هو أن تصل إليه ، وهذا نابع من نظرة الرجل للمرأة في سياقنا الاجتماعي الخاص .

(١) سيرة شعرية ، غازي القصيبي ، ص ٢٨٨ .

(٢) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

المبحث الثاني

القضايا الاجتماعية

- الطلاق .
- العنوسة .
- التعليم .
- الأمية .
- قضايا أخرى .

القضايا الاجتماعية :

ثمة قضايا كثيرة ،وشائكة يذكرها أدباؤنا في سيرهم الذاتية تعكس بصدق حالة ،ووضع الحياة الاجتماعيه حينئذ في مناطق المملكة المختلفة،وبما أن الأديب يعد جزءاً لا يتجزأ من مجتمعه،فهو أدرى بمعاناته وقضاياة، وهو أدرى كيفية علاجها،ولذا رأينا أن نرصد موقف الأدباء من قضايا مجتمعاتهم ،ودعواتهم الصادقة نحو الكمال للفرد والمجتمع ، وما واجهوه من صعاب ومشاكل في محاولاتهم للتغير،فها هو أحمد السباعي يذكر أن مجتمعه كان رافضاً للنقد البناء ،ومعطلاً للفكر الشبابي،حتى لايكون هناك تجاوز للعرف والتقاليديقول السباعي : ((وكنت أحد المتحمسين لقضايانا الاجتماعية أتمنى لو استطعت أن أفرغ كل ما يدور في رأسي من أفكار شابة وأن أذيبها حروفاً مقروءة في مقالي الرئيسي ولكن البيئة لا تميل لمثل هذا الشطط فقد عاشت محافظة بكل ما في هذا من معنى))(1) .

ولعلنا بعد هذا نتساءل : ما هي أهم القضايا الاجتماعية التي درست في سيرنا الذاتية ؟!

وقد تحدث معظم أدبائنا في السيرة الذاتية عن القضايا المتعلقة بالأسرة ومستقبلها،والعقبات التي تواجهها،كطلاق مثلا،وهي أبرز قضية تمس الأسرة ،كونها تعد أخطر القضايا المسببة للتفكك ،وضياع الأبناء ومن ثم شتات المجتمع فالأسرة لبنة من لبنات المجتمع.

---

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ١٠٩ .

أ - الطلاق :

اتخذ الطلاق في السير الذاتية ، أبعاداً متعددة ،ومتفرعة مستنتجة من خلال ما يرويه أدباؤنا عن حياتهم في سيرهم . حيث تحدثوا عن طلاق أمهاتهم وأزواجهم وبعض مطلقات المجتمع الذي عاشوا فيه .

ولعل البداية تكون مع عبد الرحمن السدحان الذي أولى موضوع الطلاق جل اهتمامه فعند استقراء سيرته ، نلاحظ أن الكاتب قد رسم للطلاق صورتين : الأولى تعكس رؤية الكاتب ، وهو طفل صغير أثناء حالة الطلاق .

والأخرى عندما أصبح راشداً يعي ويقدر ما حصل .

فقد تحدث عبد الرحمن السدحان عن البعد الأول وهو طلاق أمه، فكان حديثه ممزوجاً بالحزن والأسى لعدم صمود عش والديه أمام الخلافات الأسرية :((لم يستطع والديّ أن يصمد طويلاً أما ريح الخُلْف الشديد بينهما ، فكانت النتيجة الحتمية له الطلاق))[1] .

فجسد الصورة الأولى والتي تعكس وقع هذه القضية الاجتماعية على نفسيته في مرحلة الطفولة البريئة يقول : ((لم أكن وقتئذ من فرط صغري أعي الأسباب أو الحيثيات التي أوصلتهما إلى تلك النتيجة ، أو أتوقع أن يرتب ذلك الانفصال (طوفان) من المعاناة لي .. عبر الزمن القادم))[2] .

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٣٥ .

(٢) السابق ، ص ٣٥ .

أما الصورة الأخرى التي تبين فيها الكاتب أثر الطلاق ووعي معناه ، ولو كان الأمر بيده لافتدى عشهما بحياته: ((ولكم سولت لي نفسي الأماني في فترة لاحقة من حياتي لو كنت وقت انفصالهما أعي من أمور الدنيا أحسنها ، إذن ، لحاولت افتداء (عشهما) ولو بحياتي كيلا يفترقا))[1] .

فالطلاق شكل له منعطفاً جديداً لبداية حياة الشقاء: ((ثم أرث الشقاء من بعدهما وكان هذا المنعطف في حياتهما بداية مرحلة جديدة من عمري وضعتني لأول مرة على صغر ، في مهب الريح !))[2] .

وقد لاحظ الكاتب في استقرائه لأسباب طلاق والديه التباين الكبير في المرجعية الثقافية لكل منهما ((فوالده قادم من أسرة محافظة جداً ، دينياً واجتماعياً ، وخاصة ما يتعلق بموضوع المرأة وخروجها إلى الأماكن العامة ، أما والدته فقد نشأت في بيئة زراعية وقرية تفتح لها إطار العمل في المزرعة والاختلاط المحدود لبيع بعض منتجات المزرعة لكنه ضمن نسق شرعي واجتماعي محافظ))[3]، ولعل ذلك التباين في المرجعيات بينهما،كان له أثراً كبيراً في انفصالهما ،وهكذا نجد السدحان يعرض الحدث أو القضية ويستقصي الأسباب فهو يمتلك عين نافذة تميل إلى تحليل البيئة الاجتماعية وسلوك الناس دون تحيز أو انفعال،وبطرق وأساليب متنوعة.

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٣٨ .

(٢) السابق ، ص ٣٨ .

(٣) انظر : نفسه ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

ومن المعروف أن ما يميز السيرة الذاتية بأنها لا تكتب بأسلوب واحد ولا شكل محدد، بل أن هناك أشكال متعددة يمكن أن يعبر بها السارد عن قصة حياته فـ ((لا تكتب السيرة الذاتية بأسلوب واحد رغم تلك الظواهر الإنشائية العديدة التي تشترك فيها . ونحن نعتقد أنه يمكن أن نتحدث عن مجموعة من أشكال الكتابة في إطار حديثنا عن السيرة الذاتية))[1] .

ولعل أبرز الأشكال هي الاعترافات والذكريات والمذكرات واليوميات وغيرها من ((الصيغ التي تنضوي تحت بند أدب البحث عن الذات وكشفها للنفس وللآخرين))[2] .

ولأن كثيراً من أدبائنا قد اتخذوا من هذه الأشكال والتفريعات طريقة للتعبير عن أنفسهم . فمنهم من لجأ للمذكرات والذكريات أمثال عبد العزيز السالم في كتابه ذكريات مما وعته الذاكرة ، وعبد الكريم الجهيمان في (مذكرات وذكريات من حياتي) وأخيراً أبو عبد الرحمن الظاهري (تباريح التباريح ، سيرة ذاتية ، ومذكرات ، وهجّيرى ذات)

وقد ضمت مذكرات السالم حالة أخرى لطلاق الأمهات والتي أشار إليها بقوله ((كانت الوالدة – رحمها الله – قد أنجبت بنتاً لها ، وتم الانفصال

---

(١) عندما تتكلم الذات ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، محمد البادري ، ط١ ، ٢٠٠٨م، تونس ، ص ١٧١ .

(٢) دليل الناقد الأدبي ، نبيل راغب ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ١٩٨١ م ، ص ١٢١

بينها وبين زوجها ، وهو ابن عمها ، وبعده تزوجت والدنا ، فأنجبت منه ثلاثة أشقاء كنت أوسطهم))[1] .

ولم يعلق السالم على أسباب هذا الانفصال لكنه أشار إلى ملامحه في حديثه عن أعراف وعادات وتقاليد أهل منطقته ،والتي منها إلزام الرجل بابنة عمه ((وكانت الأعراف السائدة توحي بما يشبه الإلزام بأن يتزوج المرء من قبيلته ، وأن يحجز ابن العم ابنة عمه))[2] .

وحين نقترب من سياق السيرة فسيدرك ((أنها تعكس جوانب مهمة من شخصية مؤلفها))[3] .

فالسالم أظهر أثناء سرده بعضاً من ملامح شخصيته التي تحمل هموم المجتمع وتتطلع إلى تغيير المعتاد ، فقد أشار في مذكراته إلى التعسف في التربية ، وخاض في الروابط الأسرية والظواهر الاجتماعية كما أسلف .

وتحدث عزيز ضياء عن أحد أسباب طلاق أمه فاطمة والذي كان سببه غياب وسفر زوجها أثناء الحرب .

فبعد أن تم عزيز السبع السنوات أخذته أمه إلى المحكمة لطلب الطلاق وفي المحكمة استمع عزيز لقول القاضي ((خلاص ... فاطمة ... بعد ثلاثة

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٣٩ .

(٢) السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) السيري والتخييلي في الرواية المغربية ، سعيد جبار ، الرباط ، ط١ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٣٩ .

أشهر ، إذا ما رجع زاهد ، وما جاكي منه حس ولا خبر ، تيجي تأخذي الحكم))[1] .

وبسبب صغر سنه لم يكن وقع الطلاق ذا أثر عميق على نفسيته كما أفصح في قوله:((وبطبيعة الحال لم أفهم أكثر من أن الورقة التي في يدها وظلت تقرؤها هي الحكم ، بطلاقها من أبي))[2] .

بل ساعده طلاقها فيما بعد وزواجها من رجل آخر على الاستقرار النفسي والأمني .

وبما أن عزيز ضياء من كتاب المقالة الاجتماعية فإننا نجده يهتم برصد قضية الطلاق ويتعرض لها بالتحليل وإيجاد الحلول . فيذكر في مقالة (تزوج ... وطلق) ما نصه: ((لكني أعلم كذلك ، المسؤولية التي لابد أن تضطلع بها الدولة تجاه الظاهرة ، ليس بغرض التحريم ، أو المنع ، وإنما بغرض (التنظيم والتقنين) في حدود التوجيهات التي تشعها كلمة (أبغض الحلال إلى الله الطلاق)))[3] .

فهو ينتقد تزايد الظاهرة ويطالب الدولة بالحد من هذه الظاهرة، وبأن يكون التوجيه في حدود كلمة أبغض الحلال عند الله الطلاق .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٣٩٤ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٥ .

(٣) الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء ، ج٤ ، الأثنينية ، ص ٢٨٥ .

اهتم الكتاب بالبحث عن أسباب طلاق أمهاتهم، وحـاولوا التوصـل إلى دوافعه كي يتآلفوا مع الوضع ، ويثبت البناء النفسي لديهم ولا يحدث الـضياع والتشتت كما حدث مع الكاتب عبد الكريم الجهيمان .

فجهله لأسباب طلاق أمه أدى إلى تمزقـه الـذاتي ، فكـان الوضـع يـصيبه بالغيظ والحنق الذي لا حـد لـه ، فهـو لم يحـظ بعطـف الأمومـة ولا بعطـف الأبوة،ولا يعرف لذلك سبباً ليطفي نار غياب عـاطفتهم:((عنـدما فتحـت عيني على هذا الكون وجدت نفسي كـما أريـد لي ... لا كـما أردت فلـم أحـظ بعطف الأمومة كاملاً ... ولم أحظ بعطف الأبوة كاملاً ... فقد افترق والـدي في صـغري ... لمـاذا افترقـا ؟! لا أدري ... فقـد كنـت أنـا الـضحية بهـذا الفراق))[1] .

ويوضـح انعكاسـات هـذا الطـلاق عليـه ومـا نـتج عنـه مـن ضـياع لحياته،وتشتته فوالده كان ((كثير الأسفار لا يكاد يستقر به المقام))[2] .

ووالدته انشغلت بزواجها الجديـد وانتقالهـا إلى القريـة المجـاورة ((فقـد فارقتني والدتي وانتقلت إلى القرية المجـاورة ... تزوجـت وانتقلـت إلى بيـت زوجها الجديد))[3] .

---

(١) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٢٧ .

(٢) السابق ، ص ٢٧ .

(٣) نفسه ، ص ٢٧ .

ونتيجة هذا الفراق والحرمان من رعاية الأمومة وحنانها ظهرت مشاعر العدوانية تجاه الرجل الذي اختطف منه والدته وجعله لا يراها إلا نادراً: ((وأتمنى أن أعرف هذا الرجل الذي أناصبه العداء كما أتمنى أن أنازله في معركة حامية الوطيس ... فإما أن أموت أنا أو يموت هو ... فأفوز أنا بوالدتي أو يفوز هو بزوجته))[1] .

وامتد الحقد والغضب إلى والدته وتساءل في حيرة ((كيف تفضل رجلاً غريباً على ولدها ؟!))[2] .

فحاول تفريغ هذا الحقد وما يشعربه من غضب برصد وتتبع خطوات والدته وهي عائدة إلى زوجها ثم رميها بالحجارة ((وهي سائرة في طريقها لا تلتفت ... وكأنها لا تحس بهذه الحجارة التي تنهال عليها من كل جانب))[3] .

ونقد الجهيمان قرار طلاق والديه ووجه له نقداً ساخراً لاذعاً ،يقول : ((ولم يستشيراني ؛ لأنهما لو أخذا رأيي لما سمحت بافتراقهما ، فقد كنت أنا الضحية بهذا الفراق))[4] .

---

(١) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٢٨ .

(٢) السابق ، ص ٢٩ .

(٣) نفسه ، ص ٢٩ .

(٤) نفسه ، ص ٢٧ .

وتبين أن من أقسى الأمور على الجهيمان وأكثرها تعقيداً هي انفصال والديه ، فهو يعد نفسه بهذا الانفصال ضحية.

وظهر طلاق الزوجة عند عبد الفتاح أبو مدين فقد أشار إلى بعض سلبيات زوجته وانتقد تصرفاتها التي كانت سبباً في انفصالهما وتشتت الأبناء:((ذهبت إلى دمشق ، لأحاول مرة أخرى إعادة زوجي وأبنائي لنعيش معاً ... غير أن أم وديع ... رفضت العودة ... وقلت للزوجة ... إذا لم تعودي خلال ثلاثين يوماً ، فإن العلاقة الزوجية تنتهي بيننا ... ومضى الشهر ولم تعد أمهم ، فتم الانفصال))[1] .

فقد كان قرار عبد الفتاح في هذا الأمر نجاة له من ألم يصطلي به مع زوجته التي لا تدرك ما عليها وما لها من حقوق وواجبات ، فهي في هذه الحالة من دفعت زوجها إلى اختيار أبغض الحلال عند الله .

وعلى رغم أن عبد الفتاح كان أكثر حكمة وهدوءاً في النظر في قرار الطلاق إذ أمهلها شهراً ، إلا أنها لم توافق على تحمل المسؤولية معه وتطلعت في غير أسى إلى حياة جديدة وآمال مرتقبة :((قلت لأم وديع ... نريد أن نعود إلى بلادنا ، ولكنها رفضت ، ولعل الحياة في دمشق قد راقت لها))[2] .

ولم يكن أثر الطلاق على أبو مدين هيناً فهو حين يتذكره يتذكره بحيرة

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٨٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٨٣ .

وتساؤلات:((فقد دامت حياتهم الزوجية أكثر من ستة عشر عاماً تحملت فيها الزوجة عناء الحمل والوضع والتربية ومشاق السهر ومرارة المرض))[1] .

وهي أسباب وقعت في نفسية الكاتب دفعته ليتساءل عن هذا التساهل واللامبلاة من بعض الزوجات في أمور الطلاق .

لكن وقع الطلاق فيما بعد كان أشد وأنكى على الكاتب وأبنائه إذ ((مرت علينا أيام قاسية ، ولكني صبرت وصابرت .. وليس من سبيل سوى الصبر . وجئت للأولاد بمربية ... ومرت الأيام ثقيلة ومضنية وصعبة ، لاسيما وأنا أعمل))[2] .

لذلك دعى الإسلام لحماية هذه الصلة الزوجية ، وألزم الزوجان بالوفاء ، وسمى ذلك الاتفاق الذي يأخذه الرجال على النساء ((ميثاقاً غليظاً))[3] وحث على المعاشرة بالمعروف ثم رأى أن الانفصال آخر ما يمكن اللجوء إليه ، كما ورد في الحديث الشريف ((أبغض الحلال إلى الله الطلاق))[4] .

---

(١) انظر : حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٨٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٨٥ .

(٣) الآية الكريمة « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ٢١/ النساء .

(٤) عن أبي هريرة ، ورواه أبو داود والحاكم وابن ماجه ، انظر : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، مكتبة الحلبي ، مصر ، ط٤١ ، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م حرف الهمزة بعدها الباء ، ص ٥ .

فـلا يجـب أن يقـع الطـلاق إلا عنـد أقـسى حـدوده كالفاحـشة المبينّـة ، والكراهية التي لا يتأتى بعدها مودة ، وما إلى ذلك من أسباب لا يـستقيم بهـا أمر الزواج ، وباستبطان النصوص السيرية السالفة ظهر لنا أسباب الطـلاق ، بعضها يعود إلى الرجل، وبعضها يعود إلى المرأة ، ومن الأسـباب التـي يتكـئ عليها الكاتب عبد الفتاح أبو مدين كدافع لفض عقد العلاقـة الزوجيـة عـدم تحمل زوجته مـسؤولية زوجهـا وأبنائهـا، واهتمامهـا بآمالهـا ورغباتهـا وهـي أسباب قوية ومشروعة للطلاق ،ومن دوافع الطـلاق التـي أوضـحها بعـض الكتاب، تباين المرجعيات والثقافات التي ينتمي إليها الزوجان كما حدث مع والدي عبد الرحمن السدحان، وفي بعض الحالات يحدث الطلاق من أجل أن يكون هناك فرصة لحياة أفضل بالتعويض عن الزوج الغائب بزوج آخـر كـأم عزيز ضياء حين تغيب عنها زوجها لأكثر مـن سـبع سـنوات فأتخـذت قـرار الطلاق لتكون لها حياة أفضل ويكون لولدها عزيز أب يستند عليه .

وفي رؤية سردية عميقة يطل الكاتب عبد الحميد مـرداد عـلى واقـع أحـد المطلقات (حسناء) كما يسمها . فقد وجدت فيه البـديل عـن ولـدها الـذي حرمت منه بعد طلاقها ، ووجـد هـو فيهـا البـديل عـن الأم المرضـعة والأم الحقيقية فقد أحدث اللقاء بينهما مقاربة بين أمومة المرأة (المطلقة) وأمومة الأم التي افتقدها.

((فقد تحير ودهش من اهتمام (الحسناء) به ولمـاذا كـل هـذا الاعتنـاء ؟ فجلست بجانبه وربتت على كتفه وقالت : ماذا تريد قهـوة أم شـاياً ؟ لا شيء

لكن هناك أسئلة في نفس الكاتب يخجل من طرحها خوفه من الملامة فقالت: اسأل ما بدا لك وما عليك من حرج وأنت كابني وأنا مسؤولة عنك ازدادت دهشة الكاتب فطرح السؤال لماذا أنت بالذات تقومين بتقديم العون لي من البارحة حتى هذه اللحظة ؟! فقالت : أن مطلقة فازدادت دهشته لأنه لا يعرف معنى مطلقة : فقالت : يعني كنت متزوجة برجل ورزقت منه بولد ثم طلقني وأخذ الولد بقوة لأن عمره سبع سنوات))[1] .

ويصور الكاتب احتواء المطلقة له واندفاعه إلى أحضانها فهي هنا الأم التي انحرم منها ومازال شجنها يسكنه:((حضنتها وقبلتها وعظمتها وبجلتها فعانقتني وقبلتني وفاضت عينها بالدمع ... ثم أخذتني إلى غرفة الأمانات وفتحت صندوقاً ... ثم أخرجت صرة فيها ريالات وجنيهات وقروش وهللات فدفعت إلى ربعاً من الرشاديات ، وقالت في كل جمعة لك مثل هذا وأزيد ... فقلت لها : ... أنتِ كأمي التي حرمت منها))[2] .

ثم تسرد المطلقة (حسناء) للكاتب جانباً من شخصية المطلقات والتي يقاسمنها في الحب والعاطفة والحنان فتصف له أحد المطلقات التي يمكن له اللجوء إليها في وقت الشدة:((ثم قالت : إن معنا في هذه الدار بعض المطلقات وأرتني واحدة منهن وقالت : إذا ضاقت بك المسالك والحيل فالجأ

---

(١) انظر : رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٥ .

إلى هذه السيدة فإنها ستعينك وتجيرك ، ... لأنها تعلم حقائق الأمـور وتكـتم الأسرار وتحافظ على ود الجار))[1] .

وكأن هذه المطلقة نموذجاً إيجابياً يقدمه الكاتب برهاناً ضد نظرة المجتمع القاصرة والظالمة للمطلقة .

فالمجتمع يراها غالباً سيئة مخطئـة فهـي في نظـرهم مخطئـة،ولو لم تكـن كـذلك لما هجرها زوجها،فغالباً ما يضعون الغلـط وسـبب الطـلاق عـلى المـرأة وحـدها: ((إن قضية المطلقة من القضايا الاجتماعيـة التـي يعـاني منهـا كـل مجتمـع ، وينظـر المجتمع للمطلقة نظرة قاتلة ، ينظر إليها المجتمع على أنها استهلكت واسـتنفذ دورها ، وأنها مصدر للمتاعب والمشاكل))[2] .

ويتبين من السير الذاتية أن الطلاق قـضية معقـدة وشـائكة ، تتـداخل في إحداثه عوامل اجتماعية الخاطئة ، البعيدة عن قيم الدين الإسـلامي، والمتكئـة على العادات والتقاليد الخاطئة في المجتمع، فالطلاق عـادة مـا يكـون نتيجـة لتفكير خاطئ وغير سليم .

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٤٤ .

(٢) أسرار في حيـاة المطلقـات ، بثينـة الـسيد العراقـي ، الريـاض : دار طويـق للنـشر والتوزيـع ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م ، ط٢ ، ص ٢٧٥ .

ب - العنوسة :

فإذا كانت المطلقة تشكل عبئاً كبيراً على المجتمع فالعانس تـشل حركتـه ، حيث ظهرت شخصيتها في السيرة الذاتية ثانوية مهمـشة غـير رئيـسة ، رغـم أهمية هذا الجانب في حياة المرأة .

فالعنس[1] هو التأخر في الزواج ، أو عـدم الـزواج إطلاقـاً ، وهـو لـيس اختياراً كما يعلل بعض النساء ذلك لإلتماس الأعذارللمرأة ، إنما يعود إلى حال الواقع الاجتماعي، ونتيجـة لـرؤى تقليديـة فرضـت هيمنتهـا عـلى المجتمـع وعزلت النساء عزلاً تاماً عن الرجال ، فعليه لا يعرف أي مـنهما الآخـر ، ولا يصل إلى صفاته وخصائصه وطباعه .

ومن تلك المظاهر التي تسبب العنوسة وتعوق المرأة عن تحقيق طموحهـا في الزواج هي هيمنة التقاليد، فكثير من الأسر تهتم بالمستوى الطبقي، فتترفـع بعض الأسر عـن المـصاهرة الأسر العاديـة ،وتـشترط أسر تقاربهـا في المكانـة والأنساب والطبقة ، لذا تبقى المرأة منتظرة وقد يطول الانتظـار حتـى يـضيع عليها السن المناسب للزواج ، وفي نهاية الأمر تكون المـرأة ضـحية لكـل هـذه الأسباب أو بعضها .

---

(١) العنس هو التأخر في الزواج ، أو عـدم الـزواج إطلاقـاً ، وورد في « مجمـل اللغـة » لأبي الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : عنست المرأة إذا صارت وهي بكـر نـصفٌ لم تُـزوّج ، وعنـسها أهلها . وقد يقال في الرجل عانس ، ج٣ ، ص ٦٣٢ ، بـاب العـين . مؤسـسة الرسـالة ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م .

وبعض الأسباب تكون راجعة للمرأة نفسها ولرغباتها كحرصها على مواصلة مراحل التعليم كلها دون أن يكون هناك عائق كالزواج ، أو انشغالها بالعمل المستمر فتغض الطرف عن الزواج ، وتنادي في داخلها بأن تكون المرأة القوية المنطلقة إلى أهدافها بروح سامية ، المترفعة عن مطالب الجسد ورغائبه .

وقد تبين – بعد استقراء للسير – أن هذه الظاهرة (العنوسة) لم تكن إلى العهد القريب منتشرة ، وشائعة بسبب الزواج المبكر المقيد بتقاليد المجتمع، وكثرة تعدد الزوجات .

لذلك لم تظهر العانس في كتب السير الذاتية إلا عند عزيز ضياء الذي صادف وهو صغير بنت جيرانهم الكبرى فيحكي قصته معها،يقول : ((وفي بيت الصابوني ، ... وحين رأتني السيدة أسماء كبرى بنات الحاج بشير ، أخذتني في يدها ، إلى غرفتها ... لم يكن لديها أطفال ، ولعلها لم تتزوج قط ... أخرجت من صندوق صغير قطعاً من الحلوى ... تناولتها منها ، بينما احتضنتني هي وقبلتني))[1] .

ويتضح الألم النفسي البالغ الذي تداريه أسماء بنت الحاج بشير داخل مشاعرها وهي مشاعر : ((لم تخترها بمحض إرادتها ، وبكامل وعيها ، ناهيك عن أن العنوسة تتناقض وطبيعة المرأة كإنسان ذي حاجة جنسية ، ولا تخلو في أسوأ الأحوال عن شيء من مشاعر الأمومة))[2] .

---

(١) حياتي مع الحرب والحب والجوع ، عزيز ضياء ، ص ٤٩ .

(٢) أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي ، بو علي ياسين . دار الحوار للنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٢ م ، ص ٨٤ .

فنجد عزيز ضياء يلمح على وجود مشاعر الأمومة عند المرأة العانس، لأن أسماء بنت الحاج بشير قدمت له كل مشاعر الأمومة من الحلوى واحتضان وقبلات الأمهات .

فإذا كان الطلاق والعنوسة قد أثارت عند المجتمع مشاعر التخوف والقلق والشكوى ، فإن الزواج كان بمثابة الاستقرار والأمن والطمأنينة .

جـ - الزواج :

فقد شغل الزواج حيزاً من النتاج السيري ، وخاض الأدباء في أهميه كونه يعد من أسمى المعاني الإنسانية والتي يمكن أن تقوم سلوك الإنسان .

فهذا حسن كتبي في تصوره عن الزواج قد رسم الحياة الزوجية السعيدة ورصد نتائجها على المستوى الشخصي والنتاج العملي ونقل أفكاره ومعتقداته من خلال وصف حياته الزوجية الخاصة:((شعرت بعد هذا الزواج الموفق أن الحياة شيء ثمين تستحق الحرص عليها ، وأن السعادة ليست كلها في الأهداف التي يكدح المرء في سبيل تحقيقها، وإنما البيت سعادة تطغى على كل متاعب الحياة ، ونكدها ، وفشلها ، وبؤسها ، وشقائها ، وكذلك امتدت السعادة المنزلية إلى العمل فجعلت منه شيئاً محبباً ، وضاعفت من رغبتي في الإقبال عليه))[1] .

فيصف عن قرب جانباً من تركيبة الزواج الإيجابي الذي يحتوي الحياة السعيدة المحققة للأهداف التي يسعى إليها المرء .

ونتوقف عند تبني بعض كتاب السير لفكرة الزواج ، وعدمه،فمثلاً عبدالله مناع كانت نظرته للزواج منبثقة من أفكار فلسفية عديمة،لا تؤمن بأهمية الأشياء في الدنيا،بما فيها الزواج،يقول: ((إن (فكرة) الزواج من حيث المبدأ لم تكن جذابة لي بالقدر الكافي ... فقد كانت تحاصرها أفكار فلسفية

(١) هذه حياتي ، حسن محمد كتبي ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

عديمة .. بأن لا أهمية لشيء .. ولا قيمة لشيء في هذه الدنيا ، ولذلك صرفت النظر عنه تماماً ، ولقد كان ذلك خطأ تبينته فيما بعد)) [1] فالشخصية مركب إنساني اجتماعي تكتسب الأفكار والتجارب التي تتضافر في بناء صورة سلبية عند الزواج لكن سرعان ما تفقدها عند خوض تجربة الزواج الناجح وهذا ما حدث مع الكاتب عبد الله مناع ،فالمناع وجد المأوى والسكن الذي يستريح فيه الرجال من وعثاء ومتاعب وهموم الحياة المتجددة في الزواج .

ولعلنا نوجز نظرة المجتمع السلبية للزواج فنجد بعض آرائه تكمن في الدعاية السلبية عن الزواج من قبل بعض المتزوجين وحديثهم الدائم عن ما يعانونه في حياتهم الزوجية من خلاف ومشاكل ، وهذا ينطبع في نفوس الآخرين ويؤدي إلى التخوف من الزواج والابتعاد عنه .ومن الأسباب أيضاً كثرة حالات الطلاق وانتشاره في المجتمع وما يترتب عليه من آثار سلبية على الأسرة والطفل .

ويبسط بعض كتاب السير الحديث عن قصة ارتباطهم بأزواجهم ويعرضون بعض التقاليد المتبعة حينذاك، فعبد الفتاح أبو مدين يذكر في سيرته كيفية ارتباطه من ابنة بنت خالته ويرويها بقوله : ((وذات يوم صحوت في الصباح، ومددت رأسي إلى الجنينة فرأيت ابنة بنت خالتي تكنس الجنينة .. فعرفتها ، ... وسألت أختي عنها ، فقالت لي إنها كانت متزوجة وتطلقت

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢٦٢ .

وعندها طفلة صغيرة ، فقلت لها : اخطبيها لي))[1] .

ومن روايته نجد أن زوجته المستقبلية مطلقة وتحتضن ابنة ، لكن لم يجد في نفسه مانعاً من الارتباط منها ، وهذه الرؤية نادراً ما تتقبلها نفوس الرجال الآن .

وتحدث عبد العزيز السالم عن بعض التقاليد والأعراف التي كانت ومازالت متماشية مع مقتضيات الحياة الاجتماعية .

فقد كان البحث عن الزوجة أمر متعلق بالأم والأخوات ومحاولتهم لترشيح الزوجة المناسبة والتي لا تتجاوز نطاق البلدة وأسرها .

وحين قرر السالم الزواج تحمست والدته لذلك فصارت تسرد له أسماء ومواصفات البنات اللاتي هن ملء السمع والبصر [2] .

لكن السالم أراد زوجة تنسجم معه ومع فكره، لأنه قد نال قسطاً من التعلم الذي يشفع له بالزوجة المتعلمة .

فكتب له القدر الزوجة التي كان يبحث عنها، يقول : « وفي بلد شقيق كان القدر يهيء لي زوجة المستقبل التي كُتبت لي ، وأنا أبحث عنها ، لقد كانت المصادفة وحدها هي التي قادتني إلى رؤية فتاة شدت انتباهي

(١) حكاية الفتي مفتاح ،عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٢٠٠ .

(٢) انظر: ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ١٢٧ .

وتوقفت كلياً عندها ، وانجذبت إليها مشاعري ، وكانت نظرة محدودة ومصادفة عابرة »[1] .

فتم الزواج وسارت الرحلة الزوجية في هدوء وانسجام يسودها الود والاستقرار . وكل ذلك بسبب تريث ونظرة الكاتب للزواج ، ولم يغفل كتاب السير الإشارة إلى قضية الزواج المبكر ، والتي تعد من قضايا المجتمعات الإنسانية العامة ، فقد أشاروا إلى أن الزمن الممتد في بدايات النهضة ، كان أغلب عاداتهم فيه هو التبكير في الزواج، وكان من عاداتهم أيضا تزويج الفتاة الصغيرة من رجل يكبرها في العمر بمراحل قد تتجاوز عمر أبيها .

وقد ذكر عزيز ضياء في سيرته الذاتية نموذجاً لمثل هذه الزيجات والتي كانت موضع استنكار منه وتساؤل لفترة طويلة من الزمن:

((كنت أعرف الفتاة التي تزوجها مهدي ... قد ينبغي أن لا أجد حرجاً أن أقول اليوم أنها كانت جميلة فاتنة ، وهي في سن اليفع والتفتح للحياة ، وأن مهدي يوم تزوجها ربما كان أكبر من أبيها سناً . ولا أخفي أن موافقة أبيها على هذا الزواج كانت موضع تساؤل واستنكار في ذهني إلى وقت طويل))[2] .

وحالة أخرى يذكرها عبد الحميد مرداد عن وضع الزواج في السابق

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ١٢٨ .

(٢) حياتي مع الحرب والحب والجوع ، عزيز ضياء ، ص ٧٣٠ ، ٧٣١ .

وبالأخص وضع الفتاة التي لم تبلغ العشرين وتتزوج من رجل كبير في السن، يقول : ((وكان بعض الحاضرين من الفضوليين أو الطفيليين يتساءلون لماذا يقام مثل هذا الفرح والعريس كبير السن ... ولقد سألت عماتي الكبار فقلن لي لأن العروسة صغيرة السن جداً بالنسبة للعريس إذ لم تبلغ العشرين))[1] .

وهذه الظاهرة أخذت من اهتمام الكاتب أحمد قنديل فذكر قصة الشيخ عودة مع زوجته الجديدة، بقوله : ((وأؤكد أن الشيخ عودة كان يعيشها - الحياة - بالطول والعرض ... بدليل أنه في هذه السن كان قد أعرس منذ شهور قليلة بزوجته الشابة زينة التي كان يتخذ كفنان بارع من شبابها مادة فكاهة وسخرية وتمثيل حين يقارن بينها - جديدة - وبين زوجته القديمة - في كل شيء))[2] .

وهي ظاهرة اجتماعية كانت من أهم ظواهر الزمن الماضي . فقد كان من الطبيعي أن تزوج فتاة العشرين لرجل الستين دون النظر لمصير هذا الزواج .

وهذا ما يؤكده الأديب عبد العزيز الخويطر فقد نقل قصة السيدة التي كانت في سن جدته وهي امرأة مرحة وصريحة وذات عقل وكانت صغيرة في السن عندما زوجوها لأول مرة[3] .

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٤١٠ .

(٢) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ١٣٠ .

(٣) انظر : وسم على أديم الزمن « لمحات من الذكريات » ، عبد العزيز الخويطر ، ج٢ ، ص ٢٣٦ .

ومناقشة ظاهرة الزواج المبكر من قبل الكتاب يكشف لنا حاجة المجتمع لتوعية معرفية بأضرار الزواج المبكر ، وأنه من الأهمية معرفة التكافؤ العمري بين الزوجين كي ينتج مجتمعاً متجانساً منسجماً يضم رؤية طموحة مستقبلية .

جـ - التعليم :

واجه تعليم المرأة ، والتعليم الحديث بعامة رفضاً واستنكاراً من فئة المتشددين الذين يخشون على المرأة وعلى المجتمع من موجة التحديث فهم يرون أن تعليم المرأة سوف يسهل لها الطريق إلى شيء من المفاسد الخلقية ، ويعززون هذا الخوف بشواهد من واقع المرأة في بعض الأقطار العربية .

لكن ظهرت المرأة المتعلمة، وقدم بعض كتاب السير الذاتية نماذج لها، فصور حال تعليمها في البدايات وهاجس تعليم أبنائها، وطموحها الشديد في حصولهم على أعلى الدرجات العلمية،وفائدة التعليم في تسيير أمور حياتها.

فمن النماذج ما قدمه عزيز ضياء عن أمه (فاطمة) والتي ظهرت بصورة الأم المتعلمة الساعية إلى المحافظة على أسرتها وابنها .

فتناول عزيز في سيرته الذاتية جوانب من حياة أمه المتعلمة وعرض مواقف لها فبتعليمها استطاعت أن تؤجر الدكاكين،و تأمن حياة كريمة لها ولابنها:((وانتي ما قصرتي يا بنتي ... أنا بكرة في الضحى ، اجي بالخمسة جنيه ، والسند تعرفي تكتبي اسمك ؟؟؟ ولا عندك مهر ؟؟؟

- أيوه يا عمي ... أنا أكتب واقرأ ...

- خلاص ... تمضي لي السند ... ونروح سوا نشوف الشهود ... وترى أنا من بكره رايح أبسط في الدكانين . موافقة ؟؟؟

موافقة يا عمي ... ربنا يبارك لك))[1] .

وفي موقف آخر يشير ضياء إلى أن أمه قارئة وأنها امرأة متعلمة، يقول : ((نشرت الورقة التي في يدها .. وأخذت تقرؤها .. واستغرقت في القراءة وقتا ، ... وبطبيعة الحال لم أفهم أكثر من أن الورقة التي في يدها وظلت تقرؤها هي الحكم ، بطلاقها من أبي))[2] .

وكثيراً ما يستخدم عزيز ضياء في سيرته وصف الشعور النفسي بالزمن في سرده للأحداث فالزمن الماضي البعيد نراه يعيد تصوره بصيغة الحاضر فيحاول أن يوازي بين الزمن الماضي بأحداثه السريعة ، والسرد الحاضر بصورة تجسد الموقف فيعيش القارئ كأنه داخل تسلسل تصويراته رغم قصرها إلا أن الجمل الزمنية المدمجة أدت المعنى بتجويدات عالية .

وكانت أم عزيز ضياء من الطراز الأول المتعلم الذي يوظف التعليم لبناء مستقبل الأبناء فعندما تخلف ابنها عن الكتاب أكثر من ثلاثة أيام تنبهت بأن هذا سيجعله متخلفاً عن زملائه ((لذلك فقد جاءتني (بجزء عم) ، وأخذت تجلسني أمامها بعد صلاة المغرب وتعلمني أن اقرأ الكتابة المطبوعة دون حاجة إلى اللوح وما أشد ما كانت تحرص على أن أفهم التجويد كانت تقرأ قراءة مجودة ثم تشرح لي قواعد التجويد شرحاً وافياً))[3] .

---

(١) حياتي مع الحرب والحب والجوع ، عزيز ضياء ، ص ٢١٢ .

(٢) السابق ، ص ٤٠٥ .

(٣) نفسه ، ص ٤٩٧ .

وبين عزيز بأن الفضل في حفظه لقواعد التجويد يرجع إلى أمه لأن مشايخ الكتاب يكتفون بالقراءة المجودة دون شرحها ((لم أسمعه من (العريف محمد) أو من الشيخ العريف محمد بن سالم لأنهما كانا يكتفيان بأن نقرأ قراءة مجودة دون إفهامنا السبب في هذا النوع من القراءة ولعلي لا أبالغ اليوم .. إذا قلت أني تعلمت قواعد التجويد ، ومازال أذكر أكثرها حتى اليوم من أمي رحمها الله))[1] .

وليس هذا بغريب من أمٍ متعلمة تدفع بابنها إلى التعليم وتذكره بأهميته، وبأن المستقبل لا يكون إلا بالتعليم والذهاب للكتاب:((أنت يوم السبت تروح الكّتاب وتتعلم وبعدين تشتغل شغل الكبار ... وعشان الواحد يسير زي هادول المشايخ ... لازم يروح الكتّاب ويتعلم وكمان يمكن يشتغل شغل الأفندية يعنى (باشكاتب) ويمكن (محاسبجي) ولا يمكن (حكيم) يعني دكتور))[2] .

نجد أن مهام أم عزيز ضياء لم تتوقف عند الواجبات المعتادة المتعلقة بأمور المنزل بل أنها ذهبت إلى ما هو أبعد من ذلك حين أسهمت في تعليم ابنها وتشجيعه ، وزرع الطموح بداخله ، وحثه على أن يبني له مستقبلاً واضحاً زاهراً .

---

(١) حياتي مع الحرب والحب والجوع ، عزيز ضياء ، ص ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

(٢) السابق ، ص ٤٦٠ .

ولا يقتصر التعليم على أم عزيز ضياء بل تشاركها جدة الكاتب عبد الله مناع حيث دفعتها الحاجة إلى التعليم ومساندة الأسرة الفقيرة:((كانت (الفقيهة) حسينة معلمة قرآن ... وقد احترفت صديقتها (جدتي) مهنة التعليم مثلها فيما بعد أيضاً فكانت تدرس الهجاء والقرآن للبنات في منزل العائلة بحارة البحر بعد أن وجدت أن لا مفر أمامها غير أن تعمل لـ(مساعدة) هذين (اليتيمين) – شقيقي وأنا – وأمهما))[1] .

ووضع الأسرة ((متوسطة الحال أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى))[2] فجعل من الضروري الإقبال على العلم ومحاولة الرفع من المستوى المعيشي .

ومن نماذج المرأة المتعلمة ما وصفه عبد الحميد مرداد من إسناد تعليمه ومسؤولية تثقيفية وتحضره لعمته الصغرى بعد توسمه بملامح البادية:

((وجردني من الثياب البدوية وأسند تعليمي الوضوء والصلاة لعمتي الصغرى وجعلها مسؤولة عن تثقيفي وتعليمي وتحضيري وتمديني))[3] .

فنحلظ أن لعمته دوراً كبيراً في تأسيسه العلمي وبداياته في التعليم عززها ،بقوله : ((وما أن وصلت إلى الدار حتى استقبلتني العمة الصغيرة وحفظتني الواجب غيباً وكتابة على لوح صغير ... وهكذا حتى انتهيت من حروف

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢١ .

(٢) السابق ، ص ٢١ .

(٣) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ١٢٣ .

الهجاء بفضل مذاكرة العمة الصغرى رحمها الله))[1] .

وفي السيرة الذاتية نجد تنوعاً للمرأة المتعلمة فنرى في سيرة حسن نصيف والده صديقه (محمد بادكوك) التي كانت من المتحدثات المثقفات وصاحبة لقاءات ومحاضرات يروي حسن عنها بقوله : ((من السيدات المتحدثات نذهب خصيصاً لزيارتها في جدة مع الأخ محمد فتأخذ في إلقاء محاضراتها وأحاديثها من وراء ستار))[2] .

احتفل حسن نصيف – في النص السابق – بالمرأة المتعلمة التي كسرت المعتقدات الخاطئة التي تصرح بأن تعليم المرأة سوف يسهل لها الطريق للمفاسد الخلقية . فقد أثبت بنموذج بأن المرأة المتعلمة أكثر وعياً من الجاهلة بالمفاسد ، كما أن لقطة تدريس المرأة (من وراء ستار) تعمق صورة وعيها بالأمور التي تضر وتفسد والأمور الصالحة التي تنفع المرأة وتنتفع بها .

ومن اللمحات العارضة للمرأة المتعلمة ما أتى به أحمد قنديل في سيرته عن فتاة الوادي (مزنة) ورغبتها في بسط العلم بين أبناء الوادي والتحليق بهم نحو أفكار وأحلام وتطلعات تتجاوز ما وراء الوادي ((عرفت أن مزنة تعيش مع أمها وجدتها ... وأنها تقرأ وتكتب ... وأنها تحاول مع قيامها بتعليم أخيها وبعض الصبية من جيرانها ببث نوع جديد على القرية من التطلع لما

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ١٢٩ .

(٢) مذكرات طالب ، حسن نصيف ، ص ٣٣ .

وراء حدود الوادي بين أترابها بما تشيع في جلستها الخاصة الرائفة من أفكار وأحلام))[1] .

وعلى الرغم من أن الكاتب لم يذكر كيفية تعلم مزنة إلا أنا نلحظ وجود ملمح لوعي (مزنة) ،وبعد موحي بتعلمها .

ومن النماذج التي قدمها أحمد السباعي للمرأة المتعلمة (الخالة حسينة) فهي صورة حسنة للمرأة الواعية التي تملك دار كتاتيب تعلم فيه البنات القراءة والكتابة ، لذلك تعد من طلائع الطبقة المستنيرة بسبب حفظها للقرآن الكريم ، وحفظها لقصيدة البردة والهمزية عن ظهر قلب ، ولبراعتها في قراءة دلائل الخيرات وحزب (الجوشن) .

فكان ((من الطبيعي أن يستفيد الناس من خبرتها العلمية فيبعثوا إليها بصغيراتهم يتعلمن عندها القراءة ، وبعض ما تيسر من القصائد والموالد التي كان ليحرص الناس على تجويدها يومذاك))[2] .

وفي زمن متقدم يقص عبد العزيز المهنا تأثير زوجته المتعلمة على أسرته، وبأنها أبدعت في تطبيق ما درسته فهو ظاهر في تدريس وتربية الأبناء فكانت بحق المكمل الحقيقي للمدرسة ((زوجتي متعلمة وتطبق ما درسته ، بل تبدع في التطبيق ، فقد كانت مع بناتها وأبنائها في سنيهم الأولى تربية وتدريساً ، فهي

---

(١) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ١١٧ .

(٢) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٢٩ .

مكملة لما تحققه المدرسة ، إن لم تكن المدرسة تكمل ما تحققه الأم))[1] .

وباستقراء النصوص السابقة نجد أن معظم الكتاب الذين كتبوا عن المرأة المتعلمة ينتمون لمنطقة الحجاز ومن المعلوم أن ((النهضة العلمية في الحجاز ، كانت أسبق من المناطق الأخرى ، ومن الطبيعي أن تواكبها نهضة علمية نسائية . خاصة وأن منطقة الحجاز موقعها الجغرافي والتاريخي والديني ، الذي سمح بتوافد الحجاج والزوار إليها ، يخولها لظهور التعليم النسائي نتيجة اتصالها بالدول العربية الأخرى ، التي سبقتها في مجال التعليم النسائي)) [2]وقد عبرت السير عن ذلك في أكثر من صورة كما سبق.

---

(١) رحلتي مع الموت ، عبد العزيز المهنا ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ط ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ ، ص ٦٢ .

(٢) تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية وازدهاره في عهد الملك فهد (بمناسبة مرور عشرين عاماً على بيعة خادم الحرمين الشريفين) ، نجاح أحمد عبد الكريم الظهار ، دار المحمدي ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ١٥٦ .

د - الأمية :

إن الكتابة عن صورة المرأة الأمية في السيرة الذاتية السعودية صورة محدودة رغم انتشار الأمية نظراً للزمن الذي كتب عنه أغلب الكتاب ، وهو زمن كان التعليم فيه للمرأة نادراً وقليلاً ، مما دعا إلى الاهتمام بالمرأة المتعلمة وتشجيعها حتى ولو كانت كتابتها رديئة ، ومن هنا نجد بعض المبدعين الرجال يتوسلون بأسماء مستعارة نسائية للوصول للنشر السريع والدعم المعنوي والتشجيع على الكتابة كما فعل أحد المبدعين في زمن السدحان فحينما كان مشرفاً على صفحة (عالم الشباب) بصحيفة (القصيم) كان يرده بعض المقالات من أقلام شابة واعدة ومن ضمنهم مقالات لكاتبة رمزت لنفسها باسم (شعاع) فكان ينشر لها فاكتشف بمحض الصدفة أن (شعاعاً) ما هي إلا شاب يتخفى خلف هذا الاسم : ((عثرت بين عدد من المقالات المحالة إليّ من رئيس التحرير على مقال بتوقيع صريح يحمل اسم شاب أعرفه حق المعرفة، ... وراعني الشبه الكبير بين خطه ... وخط الكاتبة (شعاع) ، ناهيك بالشبه في نبرة الخطاب الساخن ، وقد عقدت المفاجأة لساني))[1] .

وظهور المرأة الأمية وما آلت إليه من جهل كان سببه ندرة التعليم والاهتمام به آنذاك، وحال العادات والتقاليد في المجتمع فقد ((كانت عملية تكوين الوعي بأهمية تعليم المرأة من أصعب المراحل في قضية تعليم البنات ،

---

(١) قطرات في سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٣٤٣ .

ولم يكن الناس في بداية الأمر ، يتقبلون مجرد مناقشة الفكرة ، على اعتبارها خروجاً غير مألوف عما اعتادوا عليه وألفوه))[1] .

ومن أسباب وجود الأمية ندرة دور الكتاتيب وأدوات التعليم كما ذكر ذلك عبد الكريم الجهيمان في سيرته الذاتية حيث قال : ((لم يكن للأطفال كتب ولا شيء من الأوراق والدفاتر ... لهذا فقد كنا نعتمد على ما يوجد في بيئاتنا من الخامات ؛ فالأقلام من الشجر والحبر نصنعه بأيدينا من الصمغ ... أما الورق فنستعيض عنه بألواح من الخشب نطليها بمادة بيضاء تسمى الصالوخ))[2] .

وحديثه يدل على ندرة المكان،وصعوبة الحصول على أدوات التعليم فإذا كانت هذه الندرة في الجانب التعليمي لدى البنين فكيف بمصير تعليم البنات !!

ويؤكد في سيرته على أن نساء قريته أميّات وأن والدته تدعوه ليقرأ عليهن سورة يوسف أثناء تجمعاتهن:((فآتي إليهن والمصحف في يدي وأبحث عن سورة يوسف حتى أجدها ثم أشرع في قراءتها ... مع أنهن كلهن أميات لا يقرأن ولا يكتبن))[3] .

(١) التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢ هـ ، دراسة تاريخية ، وصفية ، تحليلية، ناجي محمد الأنصاري ، دار المنار ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ص ٥٨٧ ، ١٤١٤ هـ.

(٢) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٣٤ .

(٣) السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

وعليه فإن والدته أميّة لكن حسها ومفهومها للتربية والتعليم يقظ فقد كانت حريصة على تعليم ابنها حيث اقنعت والد عبد الكريم الجهيمان ببقاء ابنها وتعليمه في كتاب القرية، يقول الجهيمان : ((عرضت علي والدتي أن أكون في حضانتها ... وأن تدخلني كتاب القرية لأتعلم القراءة والكتابة ... فوافقت ... وتفاهمت هي مع والدي على ذلك فوافق))[1] .

ويؤكد الجهيمان بأنه اكتسب التعليم بمجهودات أمه الأمية، يقول : ((واستمرت دراستي في الكتاب ما يقرب من سنة وذلك بمجهود أمي رحمها الله))[2] .

وأشار عبد الله مناع إلى أن والدته أمية برغم أن جدته لأمه كانت متعلمة وصاحبة كُتّاب: ((وهي التي لم تتعلم بينما كانت « ستي » معلمة وصاحبة « كُتّاب » معروف ، وأذكر أنني عندما سألتها عن ذلك ؟ أجابتني وهي تضحك : « لقد حاولت ... وبدأت بحفظ القرآن على يدي « ستك » ... لكنني لم أستطع تجاوز سورة « الكافرون » فقد كانت صعبة عليّ وعلى كثير من البنات . فرسبت فيها ... وتوقفت !!))[3] .

والسبب في أميتها يكمن في صعوبة التعليم وطرائق تعلمه . فهي وترائبها

---

(١) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٣٤ .

(٢) السابق ، ص ٣٥ .

(٣) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

لم يتمكن من حفظ الصور الصغيرة مما سبب لهن صدمة نفسية في تجاوز الأصعب فيما بعد ، فكان قرار التوقف عن التعليم .

ومن الملاحظ أن المرأة منذ أول صعوبة في التعليم توقفت هذا لأنها لا تجد أهمية في نفسها للتعليم فـ((ليس هذا بغريب على المرأة ، فالرجل نفسه لا يرى التوسع في تعليم الأبناء فكيف بالإناث))[١] .

وأفرد عبد العزيز الربيع لأمه فصلاً وسمه بعنوان « أم جاهلة وعظيمة » تحدث فيه عن مميزات هذه السيدة وأنها تتمتع بقلب ذكي وذهنية واعية فرغم جهلها وأميتها فإنها تستطيع قراءة بعض السور الطويلة من القرآن الكريم وهو أمر حير الكاتب قبل أن يحيرنا، يقول : ((ومن طرائف هذه السيدة أنها امرأة جاهلة أو أمية لا تقرأ ولا تكتب ولا تميز حرفاً من حرف ومع ذلك فهي تقرأ بعض كبار سور القرآن في المصحف ... وهذا أمر لم أستطع له تفسيراً))[٢] .

ولعل هذا راجع لذاكرة الحفظ التي تميزت بها والدة الربيع فقد ((حفظت كثيراً من آيات القرآن وكثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة وكثيراً من المعارف والطرائف))[٣] .

---

(١) قضايا المرأة السعودية من خلال السرد ، محمد عبد الله العوين ، ص ٨٣ .

(٢) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٧٢ .

(٣) السابق ، ص ٢٧٢ .

وقدمت والدة الربيع مثلاً مشرفاً للمرأة الأمية الحريصة على جعل البيت مسكناً للسعادة وللهدوء والحب ، وإبعاد كل المؤثرات التي قد تصيب نفسية الأبناء أو تؤثر عليهم:((أن الفضل الأكبر يعود إلى أمي وإلى حسن إدراكها لمسئولياتها تجاه أولادها وإلى إيمانها بأهمية جو البيت الصافي في تربية هؤلاء الأولاد وفي إبعادهم عن كل ما يؤثر على نفسياتهم ووجدانهم وضمائرهم))[1] .

ولعبد الفتاح أبو مدين رأي واضح في والدته فـ((هي أمية .. لكن عقلها كبير))[2] .

فوالدته لم تسلم بأن يذهب ابنها للمدارس الإيطالية حيث ((رأت أبناء الليبيين يحملون إلى الحبشة لمقاتلة الأحباش ... حين غزت إيطاليا الحبشة في عام (١٩٣٦ م) ، وقد مات الكثير منهم في ذلك الغزو))[3] .

ويعترف ابنها بأنها كانت صاحبة رؤية ثاقبة حيث قال عنها : ((فاعترضت على إلحاقي بالمدارس الإيطالية ، وكانت لها رؤيتها الثاقبة))[4] .

وهذا التصرف من قبل والدته ربما لا يختص بأم جاهلة أو متعلمة فأغلب

---

(١)ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٧٤ .

(٢) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٣٠ .

(٣) السابق ، ص ٣٠ .

(٤) نفسه ، ص ٣١ .

الأمهات يتساوين في عاطفة الخوف على الأبناء .

وأورد أحمد السباعي في سيرته الذاتية نموذجاً للمرأة الجاهلة المؤمنة بالخرافة وهي ناتج مرحلة معينة التي سبقت مرحلة تعليم الفتاة .

فالسباعي يقدم وصفاً دقيقاً للبيئة الاجتماعية ، وأنماطاً التفكير السائد في تلك الفترة فهو يتحدث عن جدته التي يلقبها بـ« ستي » وعن مفاهيمها في الحياة والمغيبات والفناء والوجود ؛ وهو من نتاج الواقع الذي تعيشه ؛ فهي تردد ما تلقته عن سلفها ، ((احنا ناس زي ما نسمع من الكبار نقول طيب))[1] .

وتردد أقوالاً مبتورة من أصولها ، وحكايات غير مسندة عن الأولياء والصالحين ، والجن ، والملائكة ، وشعوذات في العلاج والتطيب فيذكر السباعي أنها ((كانت رحمها الله تنهى عن كنس البيت على أثر خروج المسافر منه لأن ذلك يمنع عوده ... وكانت تنهى عن غسل الثياب يوم الاثنين لأن صحابياً فقد ولديه على أثر الغسل يوم الاثنين كما تنهى عن خياطة الثوب فوق لابسه أو كنس البيت أثناء الليل))[2] .

ولا يضمر السباعي إعجابه الشديد بمقدرتها على الحفظ ، واستيعابها لمعلومات شتى وقصص متفرقة ، ويعيب الظروف التي لم تهيئ تعليمها على

---

(1) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٦٢ .

(2) السابق ، ص ٦١ ، ٦٢ .

أسس صحيحة ، ويسائل نفسه ((ترى أي مدى كانت تبلغ مـن العرفـان لـو تهيأت لها دراسة مستقيمة ؟؟))[1] .

ويلقي باللائمة على جهل المسئولين عنها والظروف التي واكبـت نـشأتها بحيث لو واتتها الأسباب المساعدة على تحصيل العلم وإدراكه لكانـت امـرأة ذات شأن في مجتمعها ،ولكانت تستطيع تربية أبنائها تربية سليمة واعية .

وتتميز شخصية السباعي بإثارة الأسئلة والإجابة عنها ولعل هذه الطريقة اكتسبت من عمله في التدريس: ((ودام اشتغالي في المدارس أعوامـاً ... وقـد علمني التدريس وعلمني طول التجارب ... مـالم يتيـسر تعليمـه عنـد أمهـر الأساتذة وأكفأ المعلمين))[2] .

وفي هذه الإضاءات يحسن بنا أن نلتمس العذر للمـرأة الأميـة في ضـعف حيلتها عن تجاوز أميتها ، لأنه ناتج عن ظروف ومستوى الـوعي الاجتماعـي آنذاك .

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٦٢ .

(٢) السابق ، ص ٩٥ .

هـ - قضايا أخرى :

١ - التقليد والانفتاح :

تشتمل كتب السير الذاتية على توثيق الحياة الاجتماعية السعودية وما مرّ بها من أطوار وتقلبات ومراحل ، لأن الفترة الزمنية التي يتحدث عنها الكّتاب تكاد تكون قرناً من الزمان ، وخلال هذه المدة الطويلة حدثت تغيرات كثيرة في الجانب الاجتماعي ، وتطورات في السلوك والمفاهيم السائدة، وظهرت عادات جديدة ، واختفت أخرى ، وغير ذلك من الظواهر التي تأتي استجابة للمؤثرات الاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية ، والفكرية ، وتوثيق هذا الجانب من الظواهر والموضوعات الاجتماعية يسهم على فهم الإنتاج الأدبي ومؤثراته لأن ((الدراسة الاجتماعية للموضوعات يمكن أن تمدنا بقدر كبير من فهم الجوانب الخفيَّة التي تحدثها عملية التغير الاجتماعي والثقافي في المجتمعات))[1] .

ولقد تحدث معظم أدبائنا الذين كتبوا في السير الذاتية عن المظاهر الاجتماعية وأبانوا ما اندثر منها وما بقي وما تطور منها .

فكان من أبرز ما تحدثوا عنه فيما يخص شأن المرأةهو التقليد والانفتاح ، وكان في عدة صور منها الحجاب والسفور .

---

(١) التحليل الاجتماعي للأدب ، السيد يس ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ م / ١٣٩٠هـ ، ص ١١٩ .

ويعد الحجاب جانباً من تركيبة المرأة السعودية ، ومن أعظم اهتماماتها الدينية، وترجع هذه الاهتمامات لملامح المجتمع المحافظ ، والبيئة الإسلامية ، وللتربية المتدينة ، ومع ذلك ؛ فحجاب المرأة لم يمنعها من التواصل مع المجتمع ، وأداء أدوارها ، والمطالبة بحقوقها - كما تصوره السيرة الذاتية - فحجاب (فاطمة) والدة عزيز ضياء لم يمنعها من الخروج للشارع والبحث عن أبيها، يقول عزيز : ((وسرعان ما نهضت أمي ، وأخذت تلتمس ملاءتها ... أخذت ترتديها على عجل ، وتحكم عصب ما يسمونها (البيشة) على جبينها لتسدلها على وجهها ، كما هي العادة عندما تخرج إلى الشارع))[1] .

وأيضاً عند ذهابها للمحكمة لطلب الطلاق لم تتخل عن حجابها يصف عزيز ضياء حالة أمه بعد خروجها من المحكمة ويقول : ((وكانت يدي ما تزال في يد أمي ... وقد لفت نظري أني أحسست بها باردة كالثلج ، وحين رفعت رأسي إلى وجهها خلف (البيشة) ، رأيت البيشة مبللة أدركت أنها كانت تبكي في صمت))[2] .

ومن خلال السرد السابق نجد اهتمام عزيز ضياء بنسق التوازن المثالي في صياغة الحكاية بجملها؛ لأن ((فيه يتوازى زمن كتابة الأحداث في النص السردي مع زمن وقوعها ، فتتابع الأحداث كما تتتابع الجمل على الورق في

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) السابق ، ص ٣٩٤ .

شكل خطوط متوالية ملتحمة))[1] .

ويرصد عبد العزيز الخويطر بصدق التزام المرأة بحجابها واهتمامها به واستحالة خروجها من البيت بدون العباءة .

((فأم الصبي أو عمته أو خالته لا تستطيع أن تترك البيت إلا إذا لبست عباءتها))[2] فقد كان أكثر نساء ذلك العهد ملتزمات بالحجاب بسبب أساليب التربية التي نشأن عليها .

أما في البادية ، والأرياف فقد يكون من الصعب أحياناً إلتزام المرأة الكامل بتغطية وجهها وتشير إلى ذلك سيرة عبد الرحمن السدحان ، وذلك لكثرة الأعمال التي تفرض عليها الاختلاط بالرجال :((كانت الوالدة أسوة بمن سواها من نساء القرية تمارس أكثر من دور داخل البيت وخارجه ، ... ولم يكن في السفور من حرج ، إذا كان الرجل القادم إلى المنزل من ذوي القربى أو من أهل القرية المقربين ، فكل رجالها ونسائها (أهل) لا تكلّف بينهم ولا حواجز))[3] .

---

(١) مجلة علامات ، السيرة الذاتية في الأدب العربي السعودي ، ملتقى قراءة النص الثامن ، (تشكيل الزمن السردي في السيرة الذاتية السعودية) ،أسامة محمد البحيري ،مجلد ١٧، ج٦٦ ، ص ٤٥٩ .

(٢) وسم على أديم الزمن « لمحات من الذكريات » ، عبد العزيز الخويطر ، ج٢ ، ص ١١٢ .

(٣) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

فالسفور هنا مرتبط ((ضمن نسق تجلله حشمة الرداء ، وعفاف الخلق))[1] ، ووسط إطار شرعي واجتماعي محافظ .

وتصور سيرة أحمد قنديل سفور فتاة من فتيات ثقيف فقد ((أقرأتنا السلام في فصاحة وشجاعة .. وببساطة تشبه بساطة جداتها العربيات المسلمات السافرات ... سافرات السفور المعتاد لا ينحدر به التقليد .. أو يجافيه العرف))[2] .

فالنص يكشف عن فصاحة المرأة ومحافظتها على نفسها رغم السفور .

ومن نافذة أخرى يظهر لنا التقليد والانفتاح في قضية مبالغة المجتمع في عزل المرأة ، فلا يصل تأثيرها إلى محيطها الذي تعيش فيه حيث يصل عزل المرأة إلى إقرارها في البيت ، ومنعها من الخروج حتى ولو كانت مريضة وبحاجة لقراءة الشيخ عليها وهي الوسيلة المعروفة حينئذ للعلاج يقول الخويطر واصفاُ لهذه الحالة : ((وأذكر أنهم في عنيزة أحياناً إذا أرادوا رقية لامرأة ذهبوا بطويسة فيه ماء ، إلى أحد المشايخ المعروفين بورعهم وتقواهم ، فقرأ لهم فيها ، وجاؤوا بها إليها وشربتها))[3] .

وهذا العزل بين الجنسين وعدم وجود المرأة بصورة طبيعية في الحياة ،

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٣٧ .

(٢) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ١٧٣ .

(٣) وسم على أديم الزمن « لمحات من الذكريات » ، عبد العزيز الخويطر ، ج٢ ، ص ١٦٧ .

والبيئة اليومية هو الذي جعل أكثر شباب ذلك الزمن ينبهر بالمرأة انبهاراً غريباً بل بالمحيط ككل فالخويطر مثالاً على ذلك حين سافر لمصر كان أول ما صدمه هو انفتاح تلك البلاد ،يقول : ((جئنا من بلاد محافظة فجأة إلى بلاد متفتحة . جئنا من بلد ليس فيه سفور ، لا يرى أحدنا وجه امرأة غير وجه من هو محـرم لها))[1] .

وتنحو التقاليد إلى عزل المرأة وإبعادها بفصل مجالس النساء عـن مجـالس الرجال وهذا ما صوره عزيز ضياء في سيرته حيث قال : ((كان هناك مجلسان .. أحدهما للرجال والآخر للسيدات ... ولكـن مجلـس الـسيدات كـان بـالغ الفخامة .. ما زلت أذكر سقفه المزخرف والإطار الذهبي الـذي يـستوعب الـسقف على امتداده بزخارفه الرائعة . كما أذكر تلك المقاعد الوثيرة المتلاحقة وعليهـا (المـساند) وكلها مكسوة (بالدومسك) الأخضر المشجر))[2] .

وحديثه يصوّر حال المجالس النسائية المعزولة ، كما أن النص يكشف عن حالة أخرى لتلك المجالس من حيث الاهتمام بالـشكل الـداخلي للمجلـس ، وحرصهن على تزيينه ، ولعل هذا الاهتمام يعود لارتباطهن العـاطفي بالمكـان الذي يحتويهن طيلة الوقت ، وعليه يجب أن يكون أكثر جمالاً وزينة ليكون أكثر جاذبية وراحة لهن ، والأطفال أكثر من يعيش تفاصيل تلك الغـرف النـسائية

---

(١) وسم على أديم الزمن « لمحات من الذكريات » ، عبد العزيز الخويطر ، ج٧ ، ص ١٤ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٧٢٢ .

المعزولة ، فمن ذاكرة الطفولة أشار ضياء لمعيشة النساء في مجالسهن الخاصة حيث تصطحبه أمه في أمسيات النساء الخاصة فيتذكر تلك الليالي القديمة : ((كما أخذت تتعدد الأمسيات التي تذهب – أمي وأنا – لقضائها عند صديقاتها ، ومعارفها الكثيرات ... وبطبيعة الحال ، كان مجلس الخالة فاطمة ... أعني بيتها هو أحب المجالس والبيوت عندي))[1] .

ظهرت العزلة في السيرة الذاتية بأبعادها السلبية ،وبأنماطها الحقيقية التي تعيشها المرأة ولكن في نفس الوقت رسمت لنا السيرة بعض الانفتاح الذي يتناسب مع طبيعة المرأة ويحقق ذاتها كالعمل ، وغالباً ما يكون عمل المرأة في الأرياف والقرى وذلك لكثرة الأعمال التي تحتاج إلى أيدي عاملة مثل الزراعة والري والرعي وغيرها . فذكر أحمد قنديل جانباً من حياة نساء الوادي وحياة المزارعين فهم ((يشقون الأرض .. ويوزعون المياه .. ويجنون بعض الخضروات والأثمار .. وبجانبهم النساء والبنات يساعدنهم في كل شيء .. بل إنهن في واقعهن العملي إنما يقمن بالقسط الأكبر في حياة البيت والبستان اليومية))[2] . و((من البنات حاملات القرب واردات الماء .. أو الصادرات عنه))[3] .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٣٥٢ .

(٢) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) السابق ، ص ١٠٧ .

وأيضاً تطرق لهـذا الوصـف، لحيـاة نـساء القـرى الكاتـب عبـد الـرحمن السدحان حين أشار إلى أعمال جدته في المزرعة حيث، قال : ((أما جدتي ... ، فقد تشاركه بعـض العمـل في المزرعـة أو تـذهب إلى الجبـال المحيطـة لجلـب الحطب))[1] .

ففي بيئة السدحان القروية تشارك الإناث الذكور في تنفيـذ كـل الأعـمال المتصلة بالزراعة من حيث الحرث ، والبذر ، والسقاية ، وحماية للحـصاد مـن الجراد والطير[2] .

ولا ينحصر دور المرأة القروية وعملها في الزراعة وحـسب، بـل امتـد إلى تزيين المنازل ، وخاصة قاعة استقبال الضيوف فـ((كان (الـديكور) الريفـي معقداً ومجهداً في آن ، ... وهي رسم خطوط متوازية بألوان زاهية تبدأ من الحد الفاصل بين اللونين الأبيض والأخضر ثم تتدرج صعوداً ، لتصل في بعض الحالات إلى أربعة أو خمسة خطوط تبعـاً لمكانـة أهـل البيـت وقـدرتهم عـلى الإنفـاق ، وقـد يستأجرون لهذا الغرض (امرأة محترفة) تقوم بالتنفيذ))[3] .

أما عبد العزيز الخويطر فيسرد عن أهمية العمل بالنسبة للمرأة ، وأنه جزء من حياتها اليومية ، بل قد يعترض المرأة بعض العوارض كأن تضع مولودهـا

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٥٨ .

(٢) انظر : السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) نفسه ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

وهي تعمل فتجدها تكمل العمل في قوة وثبات ، حيث يمتزج فرحة المولد بإكمال العمل يقول : ((كانت تذهب وتعمل في الحقول ، ... فجاءها المخاض وهي (تروس) ، فولدت مولودها ، وسرته ، ومهدته ، ووضعته قريباً منها ، ثم أكملت عملها ، وعادت بابنها إلى بيتها تحمله ، مستقبلة بفرحة من أهلها وفخر))[1] .

أما أعمال نساء أهل المدينة فقد عنى برصدها الكاتب عزيز ضياء، فنلحظ ملامح الحياة التي عاشتها المرأة في ذلك الزمن فقد مارست أمه الخياطة والتطريز ((قالت أمي إنهم يسمونه في المدينة (مِنْسَجْ) وأنها تعرف التطريز عليه))[2] ، وكانت تؤجر الدكاكين التي ورثتها عن أبيها وتمضي مستنداتها ((خلاص .. تمضي لي السند ... ونروح سوا نشوف الشهود ... وترى أنا من بكرة رايح أبسط في الدكاكين . موافقة ؟؟؟ موافقة يا عمي .. ربنا يبارك لك))[3] .

ولا نغفل عن اهتمامات المرأة بزينتها – فهي جزء من عملها اليومي – فقد نقل عبد الرحمن الظاهري شيء من اهتماماتهن حيث قال : ((إنما تجد سفاء من الكحل فوق الحاجب وتحت الحدقة !! ثم تفرق الرأس على قرنين كبيرين ..

---

(١) وسم على أديم الزمن « لمحات من الذكريات » ، عبد العزيز الخويطر ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ج٢ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ١٤٨ .

(٣) السابق ، ص ٢١٢ .

أو أربعة قرون بعد أن غسلته بالسدر (الخبط) ومشطته بمسحوق أحمر ! ... فمن كانت منهن موسرة رصعت حلقة في الناصية ، وزماماً في الأنف ، ومعضداً في اليد ، وخلخالاً أو حجالاً له في الرجلين رنين !))[1] .

ومن خلال النماذج المقدمة نستخلص تقلص دور المرأة العاملة في المدينة بينما يكون عملها فعالاً في القرى والأرياف فنجدها امرأة مجتهدة في كسب رزقها ، ساعية إليه دون امتهان لخلقها أو كرامتها .

٢ - العادات والتقاليد :

تعرضت السيرة الذاتية السعودية لبعض العادات والتقاليد الاجتماعية ، ورصدت النشاط الاجتماعي ووسائل التسلية والترفيه القديمة لهذا المجتمع، وكان من أبرز ما تُحُدث عنه الرقصات الشعبية التي كانت إحدى وسائل التسلية الشائعة في المجتمع ، وقد سعى الكاتب أحمد قنديل إلى إيضاح طبيعة تلك الرقصات وأنها أهم وسائل الترفيه والتسلية في مجتمع الوادي . ((ففي ليلة الجمعة كان موعد الحفلة الجماعية التي انتظرها الكل والتي تقام عقب كل موسم حج - في الوادي -))[2] .

فنجد إقامة هذه الرقصة لا يكون إلا بعد موسم الحج، لأن الجميع قد استنفع وغنم من خيراته فيودع هذا العام بحفلة رقص خليطي ،كما وصفها الكاتب .

---

(١) تباريح التباريح ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، ص ٤٦ .

(٢) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ١٢٣ .

((من صور رقصات تلك الليلة رقصة (الخليطي) ... اصطفت جماعة من شباب الوادي صفاً طويلاً ... كما اصطفت قبالهم جماعة من الفتيات الملثمات ... وقد قام منفرداً على رأس طابور الشبان فتى بارز الوسامة ، .. كما قامت منفردة على صف العذارى فتاة ... وافتتحت الجماعة الرقصة بالأهازيج ... تداخل الصفان دون التحام في إقبال وإدبار ، حيث تنسل كل فتاة من الفرجة المقدرة لها بميزان وبحساب بين كل شابين .. وهكذا الحال بالنسبة لكل شاب بين كل فتاتين))[1] .

وهذه الرقصة التي تحدث عنها قنديل توضح أوضاع المجتمع في السابق وكيف كان رقص الفتيان مع الفتيات أمراً طبيعياً وموجوداً لكنه في نطاق الحشمة وتقليد يحفه الحياء .

وقد شاركت المدينة القريبة في مثل تلك الرقصات فعبد الله مناع يسرد حفلة (الزير) التي قدر له أن يشاهدها في طفولته ، ويندهش (الزير) الذي يعتمد في أساسه على تحويل الـ(أزيار) – حافظات المياه .. في البيوت – إلى طبول عالية يدققن ويغنين عليها ... وقد لبسن ثياباً شفافة مزركشة فوق ملابسهن .. أما الأخريات فقد كن يملأن باحة الحفل المستطيلة برقصات جماعية شعبية رائعة))[2] .

---

(١) الجبل الذي صار سهلا،أحمد قنديل ، ص ١٢٣ ، ١٤٢ .

(٢) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٨٠ .

ومن خلال السرد يتضح أن الرقصات الشعبية تتنوع تبعاً لتنوع البيئات ، واختلاف مواقعها فالبيئة القروية تشهد الخلط بين الرجال والنساء، وتعتمد على الأهازيج والحركات المنظمة بين الراقصين ، أما المدينة فحفلت بألوان من الأدوات الموسيقية المتاحة في ذلك العصر مثل (الزير) و(العود) فذكر عزيز ضياءوجود العود و(الطار أبو شناشن) في مجالس النساء .

((لم أكن أجهل العود في الواقع إذ كنت أرى الخالة (عزيزة عثمانية) تحتضنه وتعزف عليه وتغني بصوتها الجميل ، ... وفي الجانب الآخر من مجلسها تلك العجوز التي يسمونها (مولدة) ... تضرب على (الطار) (أبو شناشن)))[1] .

نجد أن عزيز ضياء قد ((قدّم صورة أمينة لمجالس النساء وكيف كن يقضين أوقاتهن ، ووصف طابع أحاديثهن ، وطريقتهن في ترتيب البيوت وتنسيقها والعناية بنظافتها))[2] . وذلك لملازمته الدائمة لأمه فهو لا يكاد يفارقها في الليل والنهار .

ومن العادات والمشاهد الاجتماعية التي اشتهرت بها النساء، التجمعات والسهرات الليلية فيشير أحمد قنديل إلى أن جلوسه بجانب البئر ما كان إلا لاستجلاء جمال ودلال عذارى الوادي لأن ((البئر وجواره هو منتدى

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٥٢١ .

(٢) السيرة الذاتية في الأدب السعودي ، عبد الله الحيدري ، ص ٢٨٠ .

الفتيات القرويات يتناقلن لديه الأحاديث والأخبار مع لداتهن))[1] .

تلجأ النساء في تجمعاتهن إلى أماكن خبيئة تتيح لهن حرية الحركة والحديث، فيرصد بدقة عبد الكريم الجهيمان تجمعات بعض النسوة في أيام الشتاء وتحت أشعة الشمس، وكيف يقمن ببعض الأعمال المسلية ((كنت في بعض الأحيان أجد والدتي مع بعض النسوة يستدفئن بالشمس في أيام الشتاء وبعضهن تخيط ثوباً جديداً والأخرى ترقع ثوباً قديماً ومنهن من تنسج حصيراً من خوص النخل ومنهن من تغزل صوفاً))[2]

وهذه التجمعات النسائية ،والتجمهرات بين الفتيات،تجسد روح التواصل ، والتسلية بين النساء وخير ما يدلل على هذا كتاب (رحلة العمر) عبد الحميد مرداد إذ يعد وثيقة اجتماعية للعادات والتقاليد المكية والقروية .

فهو يعرض جانباً من مناسبة بدوية في قريته (الزيماء) وقد حضرها مجموعة من النسوة للاحتفال يقول : ((ألبستني أمي المرضع ثوباً قاني اللون ، ... وصارت ترقصني .. ثم تبادل النسوة حملي وإحلالي والرقص بي ، وصرن يغنين ويهزجن الأهازيج الجميلة))[3] .

ومن الطريف ما تكوّنه أو تنتجه هذه التجمعات من عادات تكون

---

(١) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ١١٣ .

(٢) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الكريم الجهيمان ، ص ٣٥ .

(٣) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

للتسلية ، وربما آمنوا بها واعتقدوا بصحتها مثل عمل الفأل والتي تحدث عنها أحمد السباعي حيث قال : ((اجتمعت مرة بستي مع بناتها وحفيداتها في بيت قريب لها فاقترحوا علي عمل الفأل .. وكان لعلم الفأل عند ربات بيوتنا كتيب يسمونه (قرعة الأنبياء) ... وكان على طالب الفأل أن يقرأ الفاتحة ثم يغمض عينيه ويضع إصبعه على أول اسم يصادفه في صفحة الفهرست ، ثم يبحث عن ذلك الاسم فيقرأ الترجمة ويأخذ فأله منها))[1] .

ويأخذنا مرداد إلى عادة اشتهرت بها نساء مكة بخاصة – حيث نشأ وتعلم – فيشير إلى عادة (القيْسْ) التي تعتبر من الاحتفالات الموسمية والتي تقام في شهر ذي الحجة، يقول : ((كان بعض السيدات من اللائي تخلفن ولم يحججن ، يخرجن بالليل لابسات زي الرجال ، ... فيطفن بمكة كلها والغلمان يدفعون على الدفوف ، ويقرعون على الطبول ، البعض يرقص ويلهو))[2] .

وقد تلاشت هذه العادة وعادات أخرى بسبب سرعة النهوض الاجتماعي والفكري في المجتمع السعودي.

ونجد من الكّتاب من اهتم بذكر بعض العادات السيئة والسائدة في بعض مناطق المملكة ، فقد تعرض عبد العزيز السالم بالنقد لهذه العادات والتي منها عزل الزوجة عن زوجها عند وجبات الأكل حيث، يقول : ((إنه لو لم يكن

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٦٥ .

(٢) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٣٠٧ .

في البيت سوى الرجل وزوجته فإنه يأكل أولاً ثم تأكل هي بعده ، وهذه طريقة متبعة في ذلك الجيل))[1] .

ونجد استنكار الكاتب لهذه العادة ، ومعاناته في محاولة اقناع أمه عن العدول عن هذا الفعل، يقول : ((المهم هو عزل النساء عن الرجال في الأسرة الواحدة عند تناول الطعام بالذات ، وكأنه لا يجوز أن تأكل المرأة مع محرمها سواء كان زوجها أو ابنها أو أخاها . ولقد عانيت مع والدتي – رحمها الله – وهي تسكن في بيتي أشد المعاناة لتأكل معي ومع أخي ابنها ، ولكنها أبت الأكل معنا))[2] .

وهذا السرد من السالم قائم على الوصف السمعي والبصري ، حيث يكشف جانباً من التفكير الذكوري المتمسك بالعادات القبلية المقيتة التي تقلل من شأن المرأة ومكانتها .

ثم يلحق هذه العادة السيئة بعادة أخرى مهيمنة محسوسة وهي حجر ابن العم على ابنة عمه فيقول : ((وكانت الأعراف السائدة توحي بما يشبه الإلزام بأن يتزوج المرء من قبيلته ، وأن يحجز ابن العم ابنة عمه))[3] .

وهذه العادة بدأت في التغير مع تغير البيئة الاجتماعية ، وتطور

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٧٥ .

(٢) السابق ، ص ٧٥ .

(٣) نفسه ، ص ١٢٨ .

المجتمعات، واختلاط المجتمع السعودي ببعض ، وانتشار التعليم ، والهجرة ، وقد أشارت الدكتورة بدرية البشر لذلك التغيير في حديثها عن حال العائلة في المجتمع الخليجي فقد تغيرت تغيراً جذرياً فالنظرة للزواج تمثل أبرز ظواهر التغيّر الذي شمل الأسرة فقد كان من المعروف أن زواج الفتاة كان قضية قرابية ، بل قضية عائلية محضة ، فأمر زواج الفتاة لم يكن من اختصاصها فحسب ، ولا من اختصاص أبيها وأخواتها وحدهم ، بل لابد من حصول موافقة أقربائهم المقربين ، وفي استطاعة ابن العم مثلاً أن يمنع زواج ابنة عمه إذا شاء حتى لو بقيت عانساً طوال حياتها .لكن الوضع تبدل في هذا العهد فأضحى زواج الفتاة يعقد بناء على رأيها أولاً وأخيراً[(1)] .

وينقل عزيز ضياء بعض العادات الاجتماعية السيئة المتداولة في زمنه، فيكشف عن عادة التدخين وتعاطي النساء للشيشة والتعميرة فهناك تسامح وتساهل من قبل المجتمع عن هذه العادات .

ويقدم عزيز نموذجاً وهو العم محمد سعيد فهو يحضر لزوجته التعميرة والكيزرون وهو نوع من الأطباق تدخن فيه الشيشة . ((فإذا بالعم يعود ليطل من الباب الموارب ويقول : لا تنسي يا بدرية تطلعي تشوفيها قبل ما تناموا وإن كان تبغا (تعميرة شوفي أنا جبت لها (كيزرون) جديد))[(2)] .

---

(١) انظر : وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي دبي والرياض أنموذجان ، الدكتورة بدرية البشر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ م ، ص ٩٣ ، ٩٤

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢٧٤ .

ليس هذا فحسب بل كانت الشيشة مما يجهز ويقدم للضيوف ،يقول ضياء: ((جدتي لأمي واسمها (حميدة) وكيف كانت ... تستقبل ضيوفها من العوائل الكبيرة ، ... وكيف كانت تستعد لهن ، بعدد من (الشِّيشْ) المفضضة و(الحُمى العجمي) و(الكيزرون)))[1] .

ولقد عني ضياء بوصف إحدى المدخنات في إحدى الجلسات النسائية، يقول : (((الهوانم) اللائي ينصرفن إلى الحديث وشرب القهوة ، وتلك التي تدخن بشراهة وإسراف ، تكاد يدها اليسرى لا تخلو من السجار ، مُشعلة تنفثُ دخانها بعد أن تستنشقه أو هي تسحبه عميقاً إلى صدرها))[2] .

فضياء يعطي صورة وفي جوهرها ثمرة ما يشعر به إزاء هذه المدخنات ، ناقلاً صوراً دقيقة للشكل الخارجي للشيشة:((هذا إلى جانب التباهي بجمال الشيشة التي قد تكون مطعمة ومزخرفة بصفائح الفضة ، ويكون (الرأس الذي يستوعب الحمى والجمر) مما يستورد من الهند ... والفن في كسوته بمطرزات ذات ألوان من القطيفة أو غيرها))[3] .

ومع هذا الوضع من العادات والتقاليد أكون قد عرضت تنوعاً من الجوانب والاهتمامات الاجتماعية التي تناولها الأدباء السعوديين في سيرهم .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٣١٤ .

(٢) السابق ، ص ٤٣٤ .

(٣) نفسه، ص ٧٤٧ .

الفصل الثاني

البناء الفني

- اللغة .
- الشخصيات .
- الحدث .
- الزمان .
- المكان .

١ - اللغة :

تشغل اللغة موقعاً مهماً داخل النص السردي ، فهي ((تلملم سمات مجموع مكونات النص وترتبط بها بعلاقة التأثير المتبادل))[١] كما أنها تلعب دوراً مهماً في المطابقة بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية[٢] .

وتوصف اللغة بأنها ((هي في جوهرها لغة تجسم الخيال وتبرز العاطفة ... واللغة بعد أو قبل هي مادة الموضوع الأدبي ، وهي تعطيه شكله ، وتفتح الطريق أمام الذوق لاستيعاب حقيقة التعبير الفني))[٣] .

وربما تميزت لغة السرد أو لغة السيرة الذاتية عن اللغات في الأجناس الأدبية الأخرى بشيء من الخصوصية ، ذلك لأن لغة السرد في السيرة الذاتية تُعنى بالذات وهو فن ذاتي بحت يبحث في لغة خاصة داخلية ليصور فيها مشاعره الخاصة الحميمية، وأيضاً تهتم اللغة السردية بالآخر حيث تستدعي لغة متميزة تثير عند المتلقي استجابات تفاعلية تخدم النص .

وتنهض لغة السيرة الذاتية على مستويين لغويين رئيسيين هما : السرد والحوار .

---

(١) محمد برادة ، التعدد اللغوي في الرواية العربية ، مجلة مواقف ، ع ٦٩ ، خريف ١٩٩٢ ص ١٦٧ .

(٢) انظر : القص الشعري في الإبداع السعودي المعاصر ، د. لطيفة المخضوب ، دار عالم الكتب ، الرياض ط١٤١٤هـ ، ص ٥٢ .

(٣) النقد الأدبي الحديث ، أصوله واتجاهاته ، د. أحمد كمال زكي ، القاهرة : مؤسسة كليوبترا ١٩٨٢م ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٤١ .

ويمثل السرد ((الكيفية التي تُروى بها القصة عن طريق الراوي والمروي له))[1] وأيضاً ((السرد هو المصطلح العام الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال))[2] .

أريد هنا أن أوضح بعض المستويات التي تؤديها لغة السرد ، والتي (تتعلق بالقاص ، منتج السرد نفسه ، فهو الذي سيحدد ، أو يختار ، الموضوع (الحدث) والأشخاص ، والزمان والمكان))[3] .

فدائماً ما تكون لغة السرد حافلة بالمستويات اللغوية المتنوعة والمتعددة ، والتي تكون وفقاً للطريقة التي يصف بها الكاتب الحدث ، والزمن ، والشخصية ، فاللغة في السير الذاتية إذن تتكون من عدة مستويات منها :

١. التقريري (المباشر) :

يحتاج السرد في بعض الأحيان إلى اللغة التقريرية المباشرة التي (تتسم بالوضوح وإعطاء المعنى صورة مباشرة))[4] أي يعتمد الكاتب على الإخبار

---

(١) انظر : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، حميد لحميداني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٣ ، ٢٠٠٠م ، ص ٤٥ .

(٢) انظر : معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٣٤١ .

(٣) اللغة وتقنيات البناء القصصي ، كمال سعد خليفة ، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها . جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ، ص ٥٩ .

(٤) انظر : المعجم المفصل في الأدب ، د. محمد التونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ج ١ ، ص ٢٧٣ .

الخالي من التصوير ويحاول أن يصف الشيء وصفاً يشبه الواقع .

ويرى بعض الكتاب ضرورة اللغة التقريرية في الأحداث التي تبدو قليلة الأهمية ، ولا تحتاج إلى عرض وتصوير ، ويجنح للغة التصويرية إذا كانت الأحداث مهمة ومؤثرة في حياته الشخصية .

وتظهر الصورة التقريرية في نص لعبد الفتاح أبو مدين حين، قال : ((إن عملي كان شاقاً ، لكني كنت صغيراً وطموحاً وفرحاً ، ... وكانت أمي عليها رحمة ربي فخورة بي لأني أوشك أن أصبح رجلاً ، وإن كانت تشفق علي من التعب وكثرة العمل ، وكنت أصبرها وأطمئنها بأن العمل للرجال فكانت تفرح وتسيل دموعها من الفرح ، وكانت كثيرة الدعاء لي بالتوفيق والنجاح والسداد))[1] .

ويقول أيضاً:((وعملت مع الأمريكان ... بأجر أربعين قرشاً في اليوم ، في بناء بـ - بلوك - حجري ، ... وكنت عاشقاً لعملي فرحاً به ، وكانت والدتي عليها رحمة ربي فخورة بي ، إذ كانت تشفق علي من هذا العمل المضني الثقيل))[2] .

يقدم الكاتب في هذا النص لغة تقريرية موجزة عن رحلة عمله الشاق ، ويعتمد على المعلومات الشكلية المباشرة .

فيفتتح نصه بحرف التوكيد (إن) والتي تدل على حرص الكاتب منذ

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) السابق ، ١٠٤ .

البداية على الإخبار بما حدث وليس تصويره ، وهناك الأفعال الماضية المؤكدة للحدث والمقررة له كـ (وعملت مع الأمريكان ، وكنت عاشقاً لعملي) المسبوقة بحرف العطف (الواو) الدال على التسارع في الزمن والذي يصب فيه التصوير .

ونجد تركيز الكاتب على الفعل (كان) إلا أن ذلك لم يكن محركاً للنص بقدر ما أضاف له روح السكون ، واستخدام الجملة الاعتراضية (عليها رحمة ربي) التي ساعدت على تقرير الخبر الذي يسعى للكشف عنه ، ولا نغفل عن الجمل التي تحمل التوضيح ولا تحتاج إلى معلومات تفسرها كقوله : (عملت مع الأمريكان ... في بناء بـ ـ بلوك ـ حجري ، تزن الواحدة نحو (١٥) كغ ، ... إن كانت تشفق علي من هذا العمل المضني)[١] .

و يتضح أن اعتماد اللغة التقريرية على هذه العناصر قد يؤدي في بعض الأوقات إلى الخمول في السرد ، وضعف في التجاوب الوجداني بين المتلقي والنص .

ويظهر في السيرة الذاتية تقديم الشخصيات باستخدام اللغة التقريرية فنجد حرص الكاتب في بعض الأوقات على تقديمها بشكل مباشر كي تظل عالقة في ذهن القارئ ، ويتذكرها عند كل حدث أو حوار تشارك فيه هذه الشخصية .

---

(١) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ١٠٤ .

ومن نماذجها في هذا النص لعبد العزيز سالم :

((وقد خشيت أن تضعف أمام ابنيها فتؤثر عليهما - لذا فقد تظاهرت بالتجلد وتذرعت بالصبر ، ..... ومن أجل هذا الهدف السامي تحملت البعاد وبرغم ألم الفراق))[1] .

سعى الكاتب هنا في تقديم شخصية أمه بصورة بسيطة وصريحة وعادية معتمداً على التحليل والتعليل فاستخدم حروف التوكيد (أن ، قد) وحرص على التعليل بـ (لذا) وهي سمة للفت انتباه القارئ إلى مضمون النص ، وجعل الأفكار أكثر سكوناً وثباتاً إضافة إلى استخدامه لجمل قاطعة الدلالة مثل (ومن أجل هذا الهدف السامي تحملت البعاد وألم الفراق) وأيضاً حرف العطف (الفاء) لتفيد الترتيب وتساعد على التقرير .

ويؤكد على لغته التقريرية اتكاءه على جمل عديدة تبدأ بالفعل المضارع (تظاهرت ، تذرعت ، تريد ، تحملت) رغم ابتداء نصه بفعل ما في (خشيت) مما يعمق لغة المباشرة في حديثه الذي استوجب هذه اللغة .

فالحدث الحزين الذي عاشته الأم حتّم على الكاتب لحظة سرده الابتعاد عن التصوير فالشعور الإنساني عادة ما يفقد لحظة الألم والحزن الرغبة في تجويد نطقه إذن الحدث لعب دوراً أساسياً في لغة الكاتب ونأيه عن التصوير .

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز سالم ، ص ٣٤ .

وإشراك الفعل المضارع في اللغة التقريرية إنما هو لعنصر نفسي ، فقد أعطى الحدث معنى استمرارية الألم والحزن إلى لحظة السرد .

وتستخدم اللغة التقريرية المباشرة لتسريع السرد من خلال (التلخيص) ، فهاهو الأديب أحمد عبد الغفور عطار يقدم خلاصة لخبر تقريري تلاحقت فيه الأحداث وتوالت فيه المعلومات يقول : ((كنت أتردد على العالم المراكشي الذي كان معجباً بي وبأدبي وأسلوبي ... ، وعرض علي أن يصحبني إلى مراكش ويعلمني بها التعليم العالي ، فإذا انتهيت منه استعد أن يبعثني إلى باريس على حسابه لأتعلم بإحدى جامعاتها ، ووعدني بأن يزوجني إحدى بناته))[1] .

كتب عطار هذا النص بلغة تقريره جافة فقد سلبه من عناصر التصوير التعبيري ، وساعده في ذلك عطفه بحرف (الواو) التي في أكثر أحوالها تكون ربطاً للمعاني واستجلاء للصور من جميع ملامحها التصويرية، وبعض العناصر التي سبق أن تعرض لها البحث في النماذج السابقة .

واللغة التقريرية جزء مهم في لغة السرد ، ولا يمكن الاستغناء عنها ((لأن الراوي لا يستطيع استخدام التصوير على طول الرواية ، إنه بحاجة إلى الإخبار والتقرير أيضاً فهناك أحداث ليست مهمة ولا يريد التوقف عندها ، لكنه لا يستطيع تجاوزها دون أن يشير إليها ، وهناك معلومات يرغب في

(١) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ١٣٧ .

تقديمها ، وهناك شخصيات يرغب في تقديم شيء عنها عن طريق الإخبار ليحمل بها الجزء الناقص الذي لم يستطع تقديمه عبر أسلوب الكشف))[1] .

وكتاب السيرة الذاتية كما نرى استخدموا اللغة التقريرية لكنهم مزجوها في بعض الأحيان بروح اللغة الأدبية كقول أحدهم : (شلال من الحب لا يعرف سره – بعد الله – إلا الأم)[2] .

وآخر،يقول: (فهي تريد أن ترانا نبتاً مزهراً في حقل الرجولة المبكرة)[3].

٢. اللغة التصويرية :

التصوير هو أن ((ينقل الأديب إلى قارئه المشهد الذي يقع عليه بصره ، فيصوره تصويراً واقعياً ويبرزه في تشخيص معبر))[4] .

وأن ما يميز اللغة التصويرية هو استخدامها للكلمات في معنى خارج عن استخداماتها الحرفية ، وأيضاً تساعد على تنمية الاستيعاب والاندماج مع النص .

---

(١) انظر : البناء الفني في الرواية السعودية ، حسن الحازمي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط ١ ، ٢٠٠٦م ، ص ٥٠٤ .نقلاً عن: عالم الرواية ، رولان بورنون ، وريال أو نيلية ، ت : نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ط ١ ، ١٩٩١م ص ٥٤

(٢) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٢٣٧ .

(٣) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز سالم ، ص ٣٤ .

(٤) المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤م ، ص ٦٩ .

وعليه فإن السرد يعتمد على الوظيفة التصويرية للغة ، و ((تتجسد وظيفة هذا الشكل اللغوي في تقديم الشخصيات ، ووصف المناظر ، والأحياز ، والأهواء ، والعواطف ... فهو شكل مركزي ، ولا يمكن الاستغناء عنه في أي عمل)) [1].

وهناك جانب آخر على قدر كبير من الأهمية لوظيفة اللغة التصويرية ، فهي تخضع للصورة الساكنة والمتحركة لترسم من خلالها الحدث وحركة الشخصيات والمواقف والأماكن .

أ. صورة السرد المشهدي (المتحركة) :

ويقصد بها ((النص الذي يصف عملية الانتقال من حالة إلى أخرى ، أي يكون الوصف فيه متحركاً ، فيصف الأشياء في لحظة تحركها من حالة إلى أخرى وبذلك يعطي النص حركية تضاف إلى المعنى المتعدد))[2] .

وأن ما يميزها هي قدرتها على بعث الحياة في لغة السرد ومنحها حيوية تمتد بحركتها للتبليغ الحاضر ، حركة تستمدها من التجاوب القائم بين النص والقارئ ،ويستخدم الكاتب عادةً السرد المشهدي لعرض بعض الأحداث

---

(١) في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، د. عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، الكويت ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ص ١٣٤ .

(٢) العناصر التراثية في الرواية العربية في مصدر دراسة نقدية (١٩١٤ - ١٩٨٦) ، د. مراد عبد الرحمن مبروك ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص ١٤٥ .

الدرامية المهمة ، وللكشف عن بعض الشخصيات ، إذ لا يمكن أن نتصور سيرة ذاتية تقتصر على لغة إخبارية فقط .

وكما سبق فإن مهمة اللغة التصويرية هي تجسيد الحدث ، وعرضه أمام القاريء وكأنه يتحدث ، وهذا ما فعلته اللغة في هذا النص:

((ولسبب غير مفهوم تركت الكلبة السوداء الضخمة ركنها وانطلقت نحوي كالسهم وهي تنبح نباحاً عالياً تريد أن تهاجمني))[1] .

قدم الكاتب هنا صورة مجسدة حية (للكلبة التي أرادت أن تهاجمه) مستفيداً من المستوى التصويري الذي يعد من أكثر المستويات اللغوية تحققاً للمشهد ، وذلك لارتباطه بفكرة السرد الساعية إلى تشخيص صورة الكلبة ، وذلك ببدء تصويرها بالحركة (تركت الكلبة) ومن ثم اللون (السوداء) وصورة التشبيه (كالسهم) ولا ننسى الصوت (نباحاً عالياً) فالكاتب بالتشبيه أكسب النص صفة الحضور المرئي والسمعي والتخيل بمجرد قراءته .

ويعتبر التصوير الحركي مناط القوة في الإبداع السردي ، لأنه ((يعتمد على ذكر التفاصيل وتدقيق الأشكال والحركات والألوان ، وإبراز المكنون في جوانح النفس))[2] .

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ١٨٨ .

(٢) الرواية العربية (ممكنات السرد) ، أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، ٢٠٠٨م ، ج ١ ، ص ١١٣ .

فالكاتب اعتمد على الأسلوب المحسوس وهو ((الـذي يميـل إلى إبـراز صور الأشياء وتجسيد المعاني المجردة))[1] .

وإضافة إلى ذلك إسقاط أدوات الربط اللفظية بين الجمل ، فغيابها يجعـل القاريء في جوف الحدث أو المشهد وكأنه يراه ويتابعه .

واستطاع الكاتب أن يضع يده على مجموعة من الجمل الفعليـة (تركـت ، انطلقت ، تنبح ، تهاجمني) التي تكشف عن الاختيـار المعتمـد عـلى المـستوى اللفظي الفعلي ، ثم على المـستوى المعنـوي والـدلالي ، وهـذه الأفعـال كفيلـة بإشاعة الحركة والحيوية في النص .

فإذا ضمينا إليها العنصر النفسي الذي يصور حال الفاعل أثنـاء حـدوث الفعل ، ظهر الحدث أو الموقف بصورة مجـسدة ، وكأنهـا حـدثت أمـام عينـي القاريء ونرى الأثر الذي صنعته هذه الأفعال بقوله : ((وبصورة لا شعورية سقط اللوح على الأرض وأسـلمت سـاقي للـريح فلـم أقـف إلا أمـام بـاب بيتنا))[2] .

في هذا النص يفجر الكاتـب الـدلالات الكامنـة في أعـماق الـنفس بغيـة الكشف عن الترابطـات النفـسية ، التـي عاشـها الكاتـب في تلـك اللحظـة ، فتشاركنا معه تلك اللحظة .

---

(١) المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، ص ٢٤٢ .

(٢) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ١٨٨ .

ومن النماذج التي اشتملت على صورة السرد المتحرك ما أظهره الكاتب عبد العزيز مشري في سرته من انفعالات تعبيرية تعطي صورة ذهنية موحية لحالته النفسية بعد سماعة بربط حبيبته لولد عمها يقول : ((قلت إنها عندما ربطها ابن عمها ، ربطاً قام على الكلام مع أبيها ، رأيتني كالقط الذي يحوم على الأسوار ، متشمماً خلف روائح الطعام ، يخاف أن يقتحم عتبة الدار لكيلا يقع تحت الضرب والتأنيب هكذا يجد نفسه)) [1] فالسارد يعبر عن المحسوسات ، والانفعالات تعبيراً موحياً ، ويخلق أجواء خاصة عن طريق لغة السرد المتحرك من مثل تشبيه نفسه (بالقط الذي يحوم على الأسوار ، متشمماً خلف روائح الطعام) وهي تشبيهات تبعث في القارئ الشعور بالحركة الحية ، والإحساس بتنقلات الوصف الذي أحدثه هذه الحركة .

وأيضاً نجد السرد الحركي في لغة أحمد السباعي والذي تنقل في سرده الوصفي للحدث المهم في حياته ما بين أمه وسته ، والذي يعد – أي الحدث بتحركاته – منطلقاً لتغير مسير وضعه السابق، يقول : ((صدر قرار ستي بتسريحي ، ثم أشفع بتوصيات حاسمه (قومي أعطي له واحد جنيه من العلبة، وسيبيه يعرف شغلة .. يا طلع رجال عرف كيف يجيب القرش زي أولاد خالته يا طلع ندل وفضل مضحكة للناس !!) .

وقامت أمي إلى علبتها الصغيرة ، خاضعة في اقتناع ثم سلمتني الجنيه

(١) مكاشفات السيف والوردة ، عبد العزيز مشري ، ص ١٥٢ .

وهي تهيب بي : – لكن ما تقول إيش الصنعة إلي بدك تسويها)) [١] .

وقد استغل السباعي تقنية الأفعال كـ (قامت أمي إلى علبتها الصغيرة، ثم سلمتني الجنيه) والعبارات كـ (تهيب بي ، لكن ما تقول إيش الصنعة إللي بدك تسويها) في تقريب الصورة المتحركة التي يريد إيصالها للقارئ .

أما عزيز ضياء فكشف في سيرته عن بعض المشاهد الحركية الخاصة بمشاغباته الطفولية فذكر ذلك بقوله ((كانت المشكلة التي اتورط فيها دائماً هي أن يمتلئ الحوض بالماء فلا أعرف كيف ينصرف منه إلى حوض الزهر .. وفي حسابي أن أمي سوف لن تغفر لي مخالفة أوامرها الصارمة بأن لا أمارس رعبة الطرمبة هذه ، ... ولا أكاد اقترب منها أو تقترب هي مني ، حتى أجد نفسي مشدوداً من أدنى الاثنين بين يديها وأصابعها)) [٢] .

ويتضح من الوصف السردي في حديثه عن مشاغباته الطفولية وتعاملات أمه في تعديل تلك السلوكيات الخاطئة[٣] .

---

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٤١ .

(٣) وهناك بعض النماذج الدالة على المشهد الحركي في السرد ، ومنها هذا النموذج لعزيز ضياء يقول : ((يا بنتي، ما دام أنا بسطت الدكانين ما يجوز إلى ما أدفع الفلوس ... خلاص من فضلك استلمي الفلوس ... ومد الرجل يده من فجوة الباب ودفعتني أمي ، وهي تقول : ١ – استلم من عمّك يا عزيز ومددت يدي ، وأخذ الرجل يضع فيها الجنيهات (العسمنلي) الخمسة واحدا بعد الآخر وهو يرفع صوته كلما وضع واحداً =

=

ب. الصورة الساكنة (الثابتة) :

وهناك جانب آخر تقدمه اللغة التصويرية وهـي الـصورة الـساكنة التـي تختص بوصـفها للشخـصيات والأمـاكن والأشـياء ، وتعتمـد عـلى الجملـة الاسمية التي تشترك في قدرتها عـلى التمثيـل والتجسيد وتعتمـد أيـضاً عـلى الوصف الموضوعي لبناء البعـد الجـسدي للشخـصية ، ولتحديـد ملامحهـا ، وتجسيدها في صورة أمام القاريء .

وكما أن الوصف أداة الكاتب المهمة لتصوير الأماكن كالشوارع والمنـازل وما تحتويه من أشياء وأدوات وأثاث ، ومهم للحـدث فالحـدث يعتمـد عـلى الوصف بالدرجة الأولى .

((فالأوصاف ... لا تصاغ لمجرد الوصف ، بل لأنها تساعد الحدث عـلى النمو ، وهي في الواقع جزء من هذا الحدث))[1] .

والسيرة الذاتية لا تستغني عن هذا الوصف ((إذ يمكن ، كما هو معـروف ، أن نصف دون أن نسرد ، ولكن لا يمكن أبداً أن نسرد دون أن نصف))[2] .

= قائلاً: واحد .. اثنين .. ثلاثة)) ص ٢٣٣ .

لقد رصد ضياء حالة المرأة وضعها في المجتمع وطرائق تعاملها مع الرجال ، ولغة السرد الحركـي أضـافت على النص مزيداً من التفاعل الوجداني .

(١) فن القصة القصيرة ، رشاد رشدي ، المكتب المصري الحديث ، مصر ، ١٩٨٢م ، ص ١١٠ .

(٢) تحليل الخطاب السردي ـ معالجة تفكيكيـة سـيمائية مركبـة لروايـة (زقـاق المـدق) عبـد الملـك مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩٥ م ، ص ٢٦٤ .

ومن نماذج وصف الشخصيات التصويرية ما قدمه الكاتب عبد العزيز الربيع عن شخصية إحدى أمهات أصدقائه .

((كانت بيضاء اللون سوداء الشعر واسعة العينين ناهدة الصدر وثيقة البنيان أقرب إلى الطول منها إلى القصر كل مافيها يدعوا إلى الأمل والحياة ... هي الصورة التقريبية لهذه السيدة التي يدل كل شي في مظهرها على الاعتزاز الذي لا يقف عند حد وعلى الثقة التي تتخطى كل الحدود))[1] .

نجد اللغة في هذا النص قد ركزت على تصوير الأشياء المحسوسة والمرصودة من قبل عيني الكاتب ، فقد التقطت البعد الجسمي في صورة مكتملة لهذه السيدة والتي تمكن القارئ من التعرف عليها من خلال الصفات المحتشدة والتي ساعدت على سكون الصورة .

فاللغة التصويرية الساكنة هنا أعطت انطباعاً أولياً عن الشخصية ، فقدمت في البدء صفاتها معنية بالألوان (كانت بيضاء اللون ، سوداء الشعر) وللألوان دلالات ومرتكزات فكرية ثابتة تقرب الصورة فالأبيض يدل على النقاء والصفاء والسلام ، أما الأسود في الشعر يدل على الشباب والحيوية والعطاء .

ثم أخذ الكاتب يتدرج في صفاتها المعتمدة على الحجم (واسعة العينين ، ناهدة الصدر ، وثيقة البنيان ، أقرب إلى الطول منها إلى القصر) وهي صفات

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٤٤ .

تدل على العمر ، والذي تركه الكاتب للقارئ لكي يقدره .

ونجد في الوقت نفسه البعد الاجتماعي لهذه الشخصية في قوله : (كما أن مظهرها كان يدل على الثراء والسعادة)[1] .

وأما الوصف الذي يصور المكان فنجده لدى الكاتب عزيز ضياء من خلال سيرته (حياتي مع الجوع والحب والحرب) حيث أورد فيها صورة لمجلس النساء يقول :

((لكن مجلس السيدات كان بالغ الفخامة ... ما زلت أذكر سقفه المزخرف والإطار الذهبي الذي يستوعب السقف على امتداده بزخارفه الرائعة . كما أذكر تلك المقاعد الوثيرة المتلاحقة وعليها (المساند) ... ومحلها مكسوة (بالدومسك) الأخضر المشجر الذي سمعت فيما بعد أنه يستورد من استنبول ولا يفتني الأثاث الذي يكسي به إلا الأثرياء والوجهاء في تلك الأيام))[2] .

عبر الكاتب في هذا النص عن إحساسه ومشاعره تجاه مجلس النساء فهو ما زال يذكر صورة هذا المجلس وكأنه يراه ، واستخدم الأشكال والألوان والأحجام ليبرز معالمه الساكنة والثابتة . فمن الإطار الذهبي المزخرف على امتداد السقف إلى المقاعد الوثيرة المتلاحقة وأخيراً إلى الأثاث الذي لا يمتلكه في تلك الأيام سوى الأثرياء .

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٤٣ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٧٢٢ .

فيظهر بوضوح الأشياء المحسوسة والمعبرة عن إعجابه وحنينه الواضح للمكان .

٣. اللغة التعبيرية (الانفعالية) :

ويقصد بهذه اللغة ((التعبير عن إحساسهم الداخلي بالعالم المحيط بهم)) [١] والتعبير لا يكون إلا بالوصف الذي هو ((مستوى من مستويات التعبير عن تجربة معقدة ، يتداخل مع المقومات الأخرى للنص ليؤدي معنى ما ، أو يعلن موقفاً أو يعبر عن معاناة)) [٢] وعليه فإن اللغة التعبيرية هي متنفس السارد في إظهار مشاعره وأحاسيسه وعواطفه ((ويطلق عليها مارتي الوظيفة الانفعالية ؛ وهي وظيفة تتمحور حول المرسل (أو المتكلم) أي حول ذات التلفظ (أو الذات المتحدثة) ، حيثُ يعبّر فيها الباثُ عن موقفه تجاه الموضوع المتحدث عنه محاولا أن يعطينا انطباعاً بانفعال معين)) [٣] .

والسارد بحاجة إلى هذه اللغة التي تعينه في التعبير عن مواقفه العاطفية ، وانفعالاته الداخلية .

وسنقف عند هذا النص لمحمد توفيق بلو،كي نجلي معالم تلك

---

(١) المعجم الأدبي جبور عبد النور ، ص ٧٢ .

(٢) أبحاث في النص الروائي العربي ، سامي ، سويدان ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ١٣٤ .

(٣) اللغة والخطاب ، عمر أوكان ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠١م ، ص ٤٩ .

اللغة؛يقول: ((واجهت بعض الصعوبات التي لم أشعر بها من قبل في وجـود أم سندس مثـل : تنـسيق الملابـس والألـوان ، قـراءة فـواتير البنـك وبعـض الرسائل الإنجليزية وبعـض المتطلبـات اليوميـة))[1] ((ذهبـت إلى المركـز برفقـة زوجتي فقد أصبحت غير قادر على السفر والحركة في الأمـاكن الجديـدة بمفـردي ، فكانت زوجتي تأخذ بيدي وتوجهني تارة أخرى أثناء تحركاتنا))[2] .

نجد أن اللغة التعبيرية قد جاءت منسجمة مع مـستوى ثقافـة للكاتـب ، وعكست انفعالاته النفسية ومشاعر عجزه .

فظهرت الألفاظ الدالة على هـذه المـصاعب خاصـاً في تعبـيره عـن عـدم وجود زوجته أم سندس كما هو الحال في النص الأول .

والنص الثاني يحمل دلالة واضحة عـلى كميـة الحـزن والألم المتكدسـة في نفسيته ولا سيما حين وصف احتياجه لها في الأماكن الجديدة (أصـبحت غـير قادر على السفر والحركة في الأماكن الجديدة بمفردي) .

وإذا تجاوزنا الألفاظ والدلالات إلى التدرج في عرض الوقـائع والأفكـار سنجد أنه تدرج في اتجاه تصاعدي بمعنى أن الصعوبات كانت في البدء تكمن في تنسيق الملابس والألوان والقراءة والآن أصبحت في الحركة والتنقلات بين الأماكن .

---

(١) حصاد الظلام ، محمد توفيق بلو ، ص ١٥٢ .

(٢) السابق ، ص ٨٥ .

ونلاحظ استخدامه لضمير المتكلم المستعين بتاء المتكلم (واجهت ، ذهبت ، أصبحت) وفي زعمي أنه استخدم ضمير المتكلم ليقرب الواقع الذي عاشه من الصورة الحسية .

وأخيراً يقصد بوظيفة اللغة التعبيرية هي ((تبوء السارد المكانة المركزية في النص ، وتعبيره عن أفكاره ومشاعره الخاصة ، وتتجلى هذه الوظيفة مثلاً في أدب السيرة الذاتية))[1]

٤. اللغة الشعرية :

ويقصد باللغة الشعرية ((قراءة داخلية لطريقة التعبير أو كيفية استخدام اللغة ، ودراسة للتنميط الدلالي في توليد المعاني من تكرار (صورة ، مجاز ... إلخ)))[2] .

وأما وظيفتها فإنها ((تشير إلى قيمة الرسالة نفسها ... بأنها علاقة ذاتية ، هي العلاقة بين الرسالة ، وبين ذاتها ، إذ تكون الرسالة غاية ذاتها))[3] .

وعليه فإن هذه اللغة ترتكز على إمكانيات الأديب ومستواه المعرفي

---

(١) اللغة وتقنيات البناء القصصي ، كمال سعد خليفة ، ص ١٠٣ .

(٢) اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (١٩٧٠ ـ ٢٠٠٠) د. ناصر يعقوب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص ٩٢ .

(٣) اللغة والأسلوب دراسة ، عدنان بن ذريل ، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط ٢ ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ، ص ٩٢ .

والثقافي في قدرته على تطويع اللغة وتجديدها، وقد ظهرت هذه اللغة في عـدد من السير ومن بينها سيرة لعبد العزيز مـشري التـي عنونـت بـ (مكاشـفات السيف والوردة)، يقول : ((كان مـن العيـب ذكـر كلمـة (حـب) ، وكـان يمارس بتنفيذه بين الجنسين على أنه ليس حباً ، ليُـسمّ مـا يـشاء ... قلـت إنهـا عندما ربطها ابن عمها ، ربطاً قام على الكلام مع أبيها ، رأيتني كـالقط الـذي يحوم على الأسوار متشمماً خلف روائح الطعام ، يخاف أن يقتحم عتبـة الـدار لكيلا يقع تحت الضرب والتأنيب . هكذا يجد نفسه))[1] ،ويقول أيضاً:((لقد بقيت بعدها بأعوام ... أعيش طقساً من الإحساس بظلم النـاس ، وبـأنهم لا يقيمون وزناً للحس الوجداني النظيف))[2] .

ففي هذه النصوص محاولة لتخليص مافي النفس مـن مـشاعر وذكريـات بصورة جمالية محسوسة ومؤثرة ، تبعث في القارئ شعور التعاطف الحي معه . فمن مميزات لغة مشري ((قدرتها عـلى حمـل الـشعور تجـاه النـاس والأشـياء والتعبير عنه تعبيراً إيحائياً مؤثراً))[3] .

ولأنه يستخدم التفجير الداخلي للألفاظ والدلالات ، ويتجاوز بإحساسه بها إلى عالم الأخيلة (رأيتني كالقط أحوم على الأسوار متشمماً خلـف روائـح

(١) مكاشفات السيف والوردة ، عبد العزيز مشري ، ص ١٥٢ .

(٢) السابق ، ص ١٥٣ .

(٣) لغة الرواية السعودية (دراسة نقديـة) ، منـى المـديهش ، وزارة الثقافـة والإعـلام ، الريـاض ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، ص ٥٦ .

الطعام ، يخاف أن يقتحم عتبة الدار) وهي صورة دقيقة يجسدها التشبيه الذي يحيل المعنى إلى صورة محسوسة مؤثرة ، وعملية التشبيه البلاغي هي ((تحقيق استجابة نفسية لدى المتلقي تبدو بعيدة المنطلق عن منطقة إعمال الفكر وإمعان النظر ، وطول التدبر والرؤية .. استجابة تبدو أشبه بالميل القلبي))[1] .

وأيضاً المشري بهذه اللغة يُعنى بموضوع ومضامين قضية من القضايا الاجتماعية وهي (الحب) الذي تقوم عليه الحياة الانسانية النامية . فيصف حاله اتجاه هذه القضية وحال مجتمعه (على أنه ليس حباً ، وليُسمّ ما يشاء)، فرغم بساطة الجملة،إلا أننا نلمس في لغتها شعرية خبئة تركت للقارئ مساحة من التفكير(وليسم ما شاء)!!

وأخيراً نجد الاستفهام المنطوي تحت عبارته (أعيش طقساً من الإحساس بظلم الناس ، وبأنهم لا يقيمون وزناً للحس الوجداني النظيف) والذي يوحي بصدق عن حسرته وتظلمه ضد هذا الحب،ويستخدم حسن كتبي في فقدان أخته اللغة الشعرية التي كشفت عن فاجعة فقدها وصدق الألم، والأسى الذي ألم بقلبه وعينه في وقت مبكر من شبابه، يقول : ((نشأت محروماً من عطف الأمومة وعوضت ذلك في حنان أختي التي كانت كالزهرة لم تلبث بعد تفتحها أن ذبلت في أقصر عمر وذهبت قبل أن تذهب بهجتها وجمالها من العين فكانت فاجعة روعت قلبي وأترعته حزناً ، وأسى في وقت

---

(١) أدبية النص ، صلاح رزق ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، ص ٢٢٠ .

مبكر من شبابي)) [١] .

ونجد محاولة الكتابة باللغة الشعرية عند الكاتب محمد عمر توفيق ، وذلك في وصفه لتجاهل أحد المرضات له بعد أن نبهها على أهمالها لواجباتها، يقول : ((تنحنحتُ ، ثم سعلتُ فلم تحفل بي الممرضة كعادتها .. وتأملت وجهها في الضوء الخافت ، فعلمت أنها ما تزال غاضبة بعد الدرس الطويل الذي ألقيته عليها في إهمال الواجب)) [٢] .

وأما في مثال آخر له يجد نفسه يتأمل هذا الوجه واصفاً حركية الموقف في تلك اللحظة ((وتسند وجهها إلى كفيها على طرف السرير في مواجهتي .. وأغمض عيني مراراً .. وأنا استغفر الله .. ثم تسألني أن تحقني بالمورفين لأنام ولكنني لا أوافق)) [٣] .

وننتهي مما تقدم إلى أن اللغة الشعرية هنا محملة بالعاطفة الرقيقة ومرارة الحزن النابض بحرارة الكاتب من حيث التشبيه والتعبير من داخل الذات ، وهذا هو ما تحتاج إليه اللغة الشعرية .

٥. اللغة الوثائقية :

وهي لغة تهتم بتصوير الحياة الاجتماعية في فترة من فترات الزمن

---

(١) هذه حياتي ، حسن كتبي ، ص ١٣١ .

(٢) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ٤٧ .

(٣) السابق ٥٤،٥٣

وبالأخص الأحداث التاريخية والاجتماعية ، وتكون في مستويات لغوية مختلفة، لاسيما على مستوى استخدام الألفاظ والمصطلحات فلها قاموس نمطي مختلف حسب الحدث الذي يصفه ، وهذا ما نجده عند الكاتب محمد عبد الحميد مرداد عندما وصف عادات الخطبة في المجتمع المكي فمن كان يريد آنذاك الزواج يبعث ((أمه أو أخته إلى البيوت المعروفة والمجهولة في مكة ، فتلج الخاطبة ، وتصفق بيديها في الدهليز ، فتنزل ربة الدار لاستقبالها والترحيب بها ، فإذا اطلعت واستقرت عرضت موضوعها ، فإذا وجدت الرغبة والقبول أمرت بناتها أو أخواتها فيخرجن بعدما يلبسن أحسن ما عندهن ويتزين فإذا اقتنعت بالرؤية قالت : أريد هذه لأبني أو لأخي ، ثم يحصل التشاور من الطرفين إلى أن يتم الزواج)) [1] .

فهذا النص يحمل لغة خاصة متأثرة بالحدث ، ويشكل بلغته وثيقة اجتماعية مهمة حين وثق الكاتب الأعراف التي تعلمها من أهله ، وهي سائدة في ذلك المجتمع .

وكما وثق العادات السيئة ، والاعتقادات الدينية الخاطئة يقول : ((سافرنا إلى (جبل الحبالى) حيث تسلقنا نيقة ووجدنا أعلاماً معلقة في كهفه الصغير ورأينا المجامر وشيخا بدوياً ... فسألت خالتي عن هذه الأعلام المصبوغة باللون الأحمر المعلقة على باب الكهف ... فقالت الخالة : إن المرأة النزور التي لا تحمل تأتي إلى هذا الجبل حيث أنها تقدم ذبيحة للمارد صاحب هذا الكهف وهذا الشيخ هو حامي الغار من الفساد على زعمهم)) [2] .

---

(١) رحلة العمر ، محمد عبد الحميد مرداد ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٢) السابق ، ص ٤٧ .

وقد رصد المرداد هذه العادة ، ولم يكن سلبياً عند عرضها ، بل كان ينتقد هذه العادة التي لا تتفق مع الشريعة الإسلامية كما في حديثه عن (حديث خرافة)[1] .

أما عزيز ضياء فملازمته الدائمة لأمه جعلته يكشف في سيرته عن بعض العادات والتقاليد التي مارسنها نساء المدينة كعادة من عادات الضيافة، تدخين الشيشة ويوثق ذلك، بقوله : ((جدتي لأمي واسمها (حميده) وكيف كانت ... وتستقبل ضيوفها من العوائل الكبيرة ... كانت تستعد لهن بعدد من (الشيش) المفضضة و(الحُمى العجمى) و (الكيزرون)))[2] .

وقد اهتم ضياء بوصف أحدى المدخنات في أحدى الجلسات النسائية، يقول : ((وتلك التي تدخن بشراهة وإسراف ، تكاد يدها اليسرى لا تخلو من السجارة مشعلة تنفث دخانها بعد أن تستنشقه أو هي تسحبه عميقا إلى صدرها))[3] .

وفي هذا النص يُظهر عزيز ضياء ما يشعر به إزاء هذه المدخنة من تعجب بتعلقها بالتدخين،والأهم أنه يوثق بلغته ظاهرة موجودة بين نساء المدينة المنورة.

وفي الختام فإن هذه المستويات اللغوية قد أحدثت تنوعاً مثرياً للغة السردية ، وساعدت في تحقيق بلاغة سردها ، وذلك عن طريق توظيفها في المواقف ، والأحوال التي تستدعيها .

---

(١) انظر رحلة العمر ، محمد عبد الحميد مرداد ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٣١٤ .

(٣) السابق ، ص ٤٣٤ .

١. الحوار :

يعرف الحوار في المصطلح الأدبي بأنه : ((تبادل الحديث بين الشخصيات في قصة أو مسرحية))[1] .

و الحوار يعد من أهم الوسائل التي يعتمد عليها السرد ، بوصفه خاصية أسلوبية وأداة لغوية ، فله القدرة على التأثير على المتلقي .

ومما لا شك فيه ((أن الحوار يتكون من لغة تتمظهر في شكل جمل ، تكون أنساقاً متعددة داخل النص))[2] ، وأما مادته فهي : ((أقوال الشخصيات باعتبارها لبنة من لبنات المغامرة نقلت لتصير قسماً من أقسام الخطاب))[3] وعليه فإن للحوار وظائف فنية خاصة تساهم في تشكيل النص السردي ، ((فالحوار يساعد على كسر رتابة السرد والوصف))[4] من خلال التجديد والتنويع فيه .

((والحوار المعبر الرشيق سبب من أسباب حيوية السرد وتدفقه ،

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكمال المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢م ، ص ١٥٤ .

(٢) تفاعل الأنواع الأدبية في أدب لطيفة الزيات ، زينب العسال ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٥٠ .

(٣) طرائق تحليل القصة ، الصادق قسومة ، ط.د (تونس : دار الجنوب ، ت.د) ص ٢١٦ .

(٤) (القصة في الأدب العربي الحديث) ، محمد يوسف نجم ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٥٢م ، ص ١٠٤ .

والكاتب البارع هو الذي يتمكن من اصطناع هذه الوسيلة وتقديمها في مواضعها المناسبة))[1] .

ومن نماذجه ما قدمه الكاتب أحمد عطار في سيرته (بين السجين والمنفي)

: ((فقال لي مدير سجن المصمك (الشقاري) ألا تعرفه ؟

قلت : لا

والحق ، أني لا أعرفه ولا أعرف اسمه .

فوجه الشقاري حديثه للسجين : ألا تعرف هذا ،

وأشار إلي فأجابه كلا))[2] .

ففي البداية كان العطار يخبرنا عن رحلة نفيه إلى سجن المصمك بصورة إخبارية وتقريرية ثم كسر هذه الرتابة بحواره مع مدير السجن (الشقاري)،وما سيترتب على هذا الحوار المقتضب من أحداث أخرى بدأت شرارتها من هذا الحوار السريع بجملة الموحية بالحذف والخوف.

ويسهم الحوار في الكشف عن ذات الشخصية وعن رؤيتها تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية فـ ((يأتي الحوار موصوفاً مروياً تطبعه الشخصية الساردة بطابعها الخاص))[3] .

---

(١) انظر : فن القصة في الأدب السعودي الحديث ، د. منصور الحازمي ، دار العلوم ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، ص ٩٦ .

(٢) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ٢٠٢ .

(٣) مضمرات النص والخطاب دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي ، سليمان حسين ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ص ٣٤١ .

ويوجد مثل هذا الحوار في سيرة محمد توفيق (حصاد الظلام) عندما ((كان من الصعب على أم سندس تفهم الواقع الذي عدنا إليه فمنذ عدة أيام في أميركا كانت تقودني بسيارة إلى حيث أشاء دون عناء أو إحراج ... مما دفعها للتساؤل بصوت مختلط بين المداعبة والجدية أليس من الأجدى أن يسمح لنا بقيادة السيارات عوضاً عن المغامرة بالركوب مع سائقين يتعلمون مهارات القيادة هنا ...

كان لدي بعض الحساسية تجاه الإجابة على هذه التساؤلات بحكم العاطفة الوطنية وكراهية الدخول في مقارنات مفاضلة بين هنا وهناك وشردت بأفكاري بعيداً عن الخوض في مسائل الانفعالات))[1] .

ويوضح الكاتب في هذا الحوار موقفه تجاه تساؤلات زوجته ، والاكتفاء بتشريد الأفكار عنها ، لأن عاطفته الوطنية تمنعه من عقد أي مقارنات قد تؤدي إلى انفعاله .

كما يؤدي الحوار إلى تعميق البعد الواقعي في السرد ، فيعبر عن المشهد بأدق الأمور ،وأكثرها تفصيلاً ، فـ ((يعطي المشهد للقارئ إحساسا بالمشاركة الحادة في الفعل ، إذ إنه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط وفي نفس لحظة وقوعه))[2] .

---

(١) حصاد الظلام ، محمد توفيق بلو ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢) الزمن والرواية ، مندلاو ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعة : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م ، ص ١٣٣ .

ويكثر هذا الحوار عند الكاتب أحمد السباعي فمثلاً نجده يتحاور مع جدته عن الأشياء التي يتصنع رؤيتها كي يتهرب من بعض مسؤولياته تجاهها،يقول :

((ومرضت المسكينة مرة فكانت لا تطعم غير ماء زمزم ، فكنت مكلفاً بحمل الدورق إلى المسجد لملئه بماء زمزم أكثر من مرة في اليوم ... فجئتها مرة وأنا ألهث من الفزع ولا أكاد أفصح الحروف من شدة ما نالني وقلت (يا ستي) رأيت يداً تمتد من الجدار المحفور بجوار باب الدرج ...

فقالت : (يا ولدي : قلت لك أن عيونك كشافة وصاحب اليد لا بد من الشياطين الذين لا يحبون ماء زمزم !!)

قلت : (ولكن اليد تشبه يد الشيخ (...) تمام الشبه !! .

وكان الشيخ (...) الذي أردت الإشارة إليه من أقرباء (ستي)

فتنهدت ستي وقالت : (نعم يا ولدي ... هو زعلان مني ولا بده ما يبغاك تجيب لي زمزم .. على كيفه ! ... وأنت بلاش تجيب زمزم حتى أشوف خاطر الشيخ) وهكذا أبت (شقاوتي) إلا أن أحرم (ستي) من شرب زمزم طعامها الوحيد يوماً كاملاً حتى تهيأ لها غيري واسترحت))[1] .

ونلمس من سياق الحوار حب الكاتب لتأليف القصص ، والأحداث وربطها بالواقع لتصبح الأحداث كأنها حقيقية ، وواقعية ، ومهيأة للتصديق ،

---

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

ومن خلال الحوار أيضاً يظهر لنا نمو الحدث وتطوره، وتعميقه في نفس القارئ، وتحقيقه للمتعة والتشويق .

ومن مظاهر الحوار التي يستشعرها القارئ في النص استخدام الشخصية لغة الحياة العامة ، والاحتفاظ بلغتها ومفرداتها التي تعبر عنها . كما هو الحال مع جده الكاتب أحمد السباعي .

وأخيراً تكمن أهمية الحوار في التواصل المباشر الذي تفرزه تلك العملية التواصلية بين الشخصية والقارئ ، وذلك من خلال إخبار الشخصية عن نفسها ، أو من خلال إخبار الآخرين عنها .

كما أن الحوار ((يشي بالشخصية طبيعة وثقافة وبيئة وطبقة ومهنة وسلوكاً، وربما شكلاً أحياناً ، أي أنه بعبارة أخرى يسهم في رسم الشخصية الفنية))[1] .

والسيرة الذاتية حافلة بمثل هذه الحوارات فنجد مثلاً هذا الحوار للكاتب أحمد قنديل مع أحد أبناء الجبل الذي كشف عن جمال وروعة فتيات وادية يقول قنديل : ((ابتدأ قائلاً بهدوء ووقار وماذا عساك ستقول في ظباء أوديتنا البشرية حين تراهن ؟ .. وعندما يسلطن عليك النظرات السريعة .. البريئة المؤدى ؟.. أنني سأقف بجانبك قطعا – لأنك ورع حضري .. يعني ولد

---

(١) مشكلة الحوار في الرواية العربية ، د. نجم عبد الله كاظم ، إربد : عالم الكتب الحديث ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٧م ، ص ٧٧ .

صغير من أولاد المدن ... وقد أوصاني والدك من وراء ظهرك عليك))[1] .

اتضح من خلال أسلوب الحوار شخصية الكاتب، وشخصية محدثه، لاسيما في بعض الألفاظ التي جاءت على لسان الصبي البدوي ككلمة (ورع حضري) .

وهناك حوار للكاتب عبد الرحمن السدحان يكشف فيه عن نقطة التحول الأولى في مسيرة حياته العلمية ، وعن تعقل أمه واهتمامها وحرصها على مستقبله .

((فتوجهت إلى مجلسها قائلاً : (.. سيدتي .. تلقيت اليوم برقية جوابية من الوالد ، يستعجلني فيها بالعودة إلى الرياض لإنهاء إجراءات ابتعاثي إلى أمريكا ، وإنه حريص كل الحرص على ذلك) ، ثم أردفت : (.. كلاكما عينان في جبيني ، لا أملك أن أخالف لكما أمراً ولا نهياً ، ولكن يا سيدتي ، ما رأيك في أن أسافر إلى أمريكا ، تحقيقاً لرغبة والدي ، ...) .

سادت فترة قصيرة من الصمت ، قطعته والدتي قائلة في نبرة حنون لم يخنقها الدمع : إذا كان الأمر كما يراه والدك وتراه أنت ، فتوكل على الله ، سائلة المولى أن يعيدك إلي سالماً))[2] .

كشف هذا الحوار الهادئ حال الكاتب وبصورة مباشرة ، فهو يرغب

---

(١) الجبل الذي صار سهلاً ، أحمد قنديل ، ص ٩٥ .

(٢) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

وبشدة السفر إلى أمريكا ، ولكن برضى ورغبة أمه ، والتي بدورها لم تخيب ظن الكاتب فأسعفته بقبول سفره ، والدعوات الصادقة .

وبذلك نأتي إلى أن الحوار مصدر فني يمد السرد بأهم تقنياته .

وقد حدد البحث أسلوب الحوار في ضربين :

١. **الكلام المباشر :**

هذا ((النوع هو أشهر الأساليب السردية الخاصة باستحضار الأحاديث وأكثرها استخداما في الراويات))[١] .

والحوار المباشر ، عادة ما يتم إظهاره كما هو بين الشخصيات دون أن يضفي السارد رؤاه وأفكاره عليه .

وأيضاً ((الحوار المباشر هو الذي تناوب فيه شخصيتان أو أكثر الحديث في إطار المشهد داخل العمل القصصي بطريقة مباشرة))[٢] .

وعليه فإن دور السارد يقتصر على طبيعة الحدث ، وبدء الحوار ، ووضع المتحاورين ، وهو موجود بكثافة عند الأديب عزيز ضياء يقول : ((أدهشني عمي ، حين سمعته يتحدث إلى أمي باللغة العربية (الدارجة) ، وأن يحاول

---

(١) السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجاً) ، د. عبد الرحيم الكردي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م ، ص ١٩٧ .

(٢) الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية ، فاتح عبد السلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص ٤١ .

تجنب اشتراكي في سماع ما يقول ... سمعته يقول :

• المشكلة يا فاطمة هي في المعاشات .

• كانوا بيصرفوه كل شهر لكن من أكثر من ثلاثة شهور ما صرفوا معاشات الموظفين .

• حتى الأستاذة .. وباين أنو الشيخ عبد القادر شلبي ، مدير المعارف ، وعرف أنّو الحكومة ، ماهي رايحه تقدر تصرف المعاشات ، ...

• وهو الشيخ عبد القادر الشلبي هادا يعرف هادي المسألة أكتر منّكم ؟؟

• يمكن .. لأنو يقرأ الجرايد اللي تجيله من الشام ، ومن مصر ...

• لكن ليه ما تشتكوا للأمير (أحمد ابن منصور) أو (عبد المجيد باشا) ، أو ...

• الأمير نفسه ما بيستلم معاشه))[1]

والكاتب هنا صاغ الحوار على ألسنة الشخصيات (زوج والدته ، وأمه) دون تدخل منه ، وحمل حوارهما خصائص القول المنطوق .

ويكشف هذا الحوار على طبيعة شخصية الأم ، إذ يدل حوارها على مستوى تفكيرها ، وحسن تعليقها على الأمور المتعلقة بعمل زوجها .

ومضمون الحوار وما حواه يُظهر حالة التفاهم القائمة بين الزوجين .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٥٨٨ .

كما يتضمن الحوار تسجيلاً لصورة الحياة الاجتماعية في فترة من فترات الزمن ، وبالأخص التي كانت قبل بداية الدولة السعودية .

وهناك ميزة للكاتب في سيرته وهي تنقلاته من الحوار إلى السرد ، ويعود بعد السرد إلى الحوار دون الإخلال بوحدة البناء وانسجامه .

وفيما تقدم يتضح أن الحوار المباشر يبرز تفرد الشخصية وتميزها ، ومعالم الصورة لم تتوضح إلا بعد أن انطلقت في كلام مباشر[1] .

٢. الكلام غير مباشر :

يتيح الكلام غير المباشر للسارد سلطات أكبر حيث ((يتصرف فيه الراوي بكلام الشخصيات ، فينقله نيابة عنها ، مع تصريحه بأن الشخصية هي التي تقول))[2] ويستطيع السارد أن يصوغ الحوار على ألسنة الشخصيات بأحد مستويات اللغة السردية كما فعل السدحان حين نقل حديث أمه عنه بصورة تقريرية إخبارية:((وقد وصفت أمي ذلك المشهد على النحو التالي : (كنت يا عبد الرحمن مسجّيً في حضني مثل غصن شجر ذابل ، وفجأة ، اتسعت حدقتا عينيك وأنت تتجه بهما صوب طبق الطعام ، ورحت تهمهم

---

(١) انظر الحقيقة الملتلبسة قراءة في أشكال الكتابة عن الذات ، د. محمد الداهي ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م ، ص ١٨٤ .

(٢) بداية النص الروائي مقاربة لآليات تشكل الدلالة ، د. أحمد العدواني ، النادي الأدبي بالرياض ، ط١ ، ٢٠١١م ، ص ٣٠٤ .

بكلمات غير مفهومة ، ... لكنني رغم ذلك سارعت إلى التقاط قطعة صغيرة من (العصيد) وغمستها في السمن والعسل ثم وضعتها في فمك ، فأكلتها ثم أومأت لي بها يعني رغبتك في المزيد ، فأطعمتك مثنى وثلاثاً ورباعاً ، وزدت على ذلك))[1] .

ويتميز الكلام غير المباشر بالأسلوب ((غير مباشر لوروده بضمير الغائب، ومن خصوصياته عدم استعمال الأفعال التصريحية أو أفعال التمهيد ... وهذا راجع إلى أن نصه من إنتاج الراوي ، لكن مادته من صميم أمر الشخصيّة))[2] .

وهذا الأسلوب هو الأسلوب الشائع والمناسب لاستحضار الأحداث الماضية على ألسن الشخصيات المتحدثة نيابة عن السارد .

ونلمس هنا اختلاف لغة السارد على لسان (أمه) التي من المفترض أن تتحدث باللغة العامية المناسبة لحالتها كأم غير متعلمة !! مما منع ظهور ملامح الأم لصورتها الحقيقية ، وهذا يدلل على أن الكاتب يسرد رؤيته بأسلوبه قاطعاً حبل التواصل الذي يجب أن يكون بين الشخصية وطريقة تفكيرها ولغتها ، وأن لا يفرض أسلوبه على نص الحوار مراعاة للشخصية .

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٣٢٥ .

(٢) باطن الشخصية القصصية خلفياته وأدواته وقضاياه ، الصادق قسومة ، دار الجنوب للنشر ، تونس ٢٠٠٨م ، ص ١٩٧ .

((فلا يجعل شخصية بسيطة تنطق بالحكمة ، وتتحدث حديث الخبير المجرب ، أو تتحدث حديث المثقف أو العالم))[1] .

وهذا يدفع بنا للكشف عن مستويات لغة الحوار في السيرة الذاتية المحلية، وهي بين الفصحى والعامية .

فمن المعلوم أن أي عمل أدبي يجب أن يكون ملتزماً باللغة العربية الفصحى ، لكن هناك بعض الأشكال الأدبية كالرواية والسيرة الذاتية تحتاج إلى استخدام اللغة العامية ، وخاصة أثناء الحوار ، وحين يتطلب الموقف أو الحدث إلى اللغة اليومية المستخدمة في الحياة العادية ومتصلاً بالطبقات الشعبية من الناس فإن العامية أقرب إلى نقل واقعهم[2] .

وتوظيف اللغة العامية في الحوار يوجد الفرق بين لغة الشخصيات ولغة السارد إذ ((يجب أن تكتشف عن وجود فارق بين لغة المؤلف ، أو إلى حد ما بين لغة الكتابة الفنية ولغة الشخصيات المشروطة بوضعها الاجتماعي والثقافي))[3] .

---

(١) الأدب وفنونه ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٨ ، من دون تاريخ ص ١٤٠ .

(٢) انظر : الفن والأدب ، د. ميشيل عاصي ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠م ، ص ١٦١ .

(٣) النص الروائي تقنيات ومناهج ، فاليت ، برنار ، ترجمة رشيد بنحدو ، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة ، ١٩٩٩م ، ص ١٢٦ .

ويرى عزيز ضياء أن استخدام اللغة العامية في الحوار ماهو إلا توثيق للهجة التراثية التي كانت في زمانه:((أما اختيار العامية في الحوار ، فلأني حاولت أن أكون المدون للهجة (أهل المدينة) في تلك الأيام ... وفي ظني أن ذلك رصد لنوع من التراث ، لا أستبعد أنه قد ضاع الآن))[1] .

ومن نماذجه العامية قوله : (كانت الخالة فاطمة ، متأهبة للموضوع ، فلم تكد تسمع أمي ، حتى قالت :

• يا فاطمة يا بنتي .. أنا سألت عمك محمد سعيد وهو سأل الشيخ الكماخي وقاطعتها أمي تقول :

• لكن يا خاله فاطمة .. أنا ... قلت لك قلت لهم كمان .. أنا ما يمكن أتجوز إلا لما يجيني خبر أنو زاهد مات .

وقالت الخالة فاطمة :

• وعمك محمد سعيد قال إن الشيخ الكماخي قال هادا الكلام ما يمكن تتجوزي إلا إذا ثبت بشهادة الشهود أنه مات .

وهنا قالت إحدى بنتي العم صادق وهي تبتسم :

• بس يا خالة فاطمة هادا المذهب الحنفي وأبويا يقول ...

---

(١) إضاءات في أدب السيرة والسيرة الذاتية بحوث ومقالات وحوارات ، عبد الله الحيدري ، ص ١٦٨ .

وقاطعتها أمي بحدة :

• يا أختي ، بدون ما نطول الكلام أنا ما أبغى أتجوز لا إذا مات ولا إذا كان .

وقالت الفتاة :

• الخطيب اللي موسط أبويا تاجر كبير استلم تجارة أبوه اللي مات في الشام ولو شفتيه ...

• يا أختي الله يسلمك خلاص ما أبغا أسمع هادا الكلام))[1] .

نجد أن اللهجة المحلية في الحوار قد أكسبته التلقائية ، وجعلته أكثر التصاقاً بالشخصيات وأكثر إقناعاوتشويقاً.

لكن مع ذلك كانت هناك جوانب سلبية . فقد أكثر من اللهجة العامية فتشابهت أساليب الحديث عند جميع الشخصيات رغم اختلاف انتمائها الثقافي والاجتماعي والفكري .

والاعتماد على اللهجة الدارجة أو العامية قد يؤدي إلى الفهم الخاطئ إذ بعض المفردات لا تعني المعنى نفسه في كل مناطق المملكة .

ومن ضمن عيوب اللغة العامية أنها تخرج العمل الأدبي ممتلئاً بالهوامش أو الحواشي الشارحة والمفسرة لمعاني المفردات أو ما يُقصد بها ، مما يقطع سير

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٣٦٤ .

الحدث على القارئ كما حدث ذلك مع عبد الحميد مرداد في سيرته ، حيث قطع حديثه عن عمته التي امتلأت لغتها بالألفاظ العامية يقول : ((فاعترضتها إحدى العمات قائلة بس يا ستي خديجه : (دلعتيه ومرعتيه ، وإلى هذا الحد وصلتيه ، كيف نربيه بعدين ؟) وهذه كلمات عامية تفسيرها فيما بعد))[1] .

((وأول ما رأتني غرفة التجهيز أو الجهاز أو الدبش بلغة عامة مكة وسيأتي تفسير الكلمات فيما بعد))[2] .

وإن استغنت السيرة عن هذه الهوامش فإن القارئ لا يكاد يفقه شيئاً من الحوار وهكذا نجد أن دافع بعض الكتاب إلى استخدام اللغة العامية في الحوار يكون من أجل تسجيل التراث أو تناسبها مع الحدث ، أو للتصوير له ، ولتحقيق فنية الفوارق اللغوية بين الشخصيات . أي أن تنطق الشخصيات بتنوع يضفي متعة على القراءة .

وبشكل عام فإن اللغة العامية في السيرة الذاتية ذات فائدة ملموسة، فحين تنقل القصة واقع الشخصية فتتحدث بلغتها ، وتوحي بمستواها الفكري والنفسي فإنها تنجح في الإيهام بواقع الحدث ، وبصورة الشخصية[3] .

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٤٧ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٦ .

(٣) انظر الأدب وفنونه ، د. محمد عناني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص ٢٨ .

ولأن السيرة الذاتية واقعية وتتحمل أن يكون هناك لهجات عامية، لأنها ببساطة تحكي الحياة اليومية وليست كالرواية والقصة التي تحتاج إلى ألفاظ ومفردات متقنة ومدروسة .

اختلف الكُتاب في طرق سردهم لسيرتهم الذاتية ، فوظف البعض جانب من اللغة العامية ، وبينما الآخر اتكاء على اللغة العربية الفصحى ، ولا يحيد عنها معتمداً على ذخيرته الثقافية وقدرته اللغوية والأسلوبية ، وهذا ظاهر عند الكاتب عبد الله مناع وغيره .

فانظر لهذا الحوار من سيرته يقول : ((كان من الطريف أن مالت العروس نحوي لتخبرني بأنها واجهت مشكلة لم تجد لها حلاً حتى وصولها إلى الفندق ...!

وعندما سألتها : خيراً .. ماهي ..؟

قالت وهي تضحك : لم أستطع أن أجد حذاء بـ (كعب) عال إلى الحد الذي يرفعني إلى (طول) قامتك !!

فاتسعت ضحكتي وأنا أقول لها : ولكنكِ بـ (قِصَركَ) قد لحقت بـ (قلبي) وهذا هو الأهم))[1] .

أوضح هذا الحوار بأنه يمكن التعبير باللغة العربية الفصحى كما أمكن

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢٦٨ .

سابقاً التعبير باللغة العامية حيث إن ((اللغة الفصحى قادرة على تمثّل الشخصية في حالاتها المختلفة ، ومرنة في التعبير عن كل المشاعر والأحاسيس))[1] والكاتب الذي يلتزم اللغة الفصحى يقدم للقارئ ((شيئاً راقياً يقرأه القاصي والداني ؛ لأنه الباقي حيث تخنق العامية نفسها بقيود الزمان والمكان))[2] وتجدر الإشارة إلى أن اللغة الفصحى (أقدر وأثرى في تنويع الدلالات وتعميقها من اللغة العامية)[3] .

ولعل قضية كتابة الحوار باللغة الفصحى أو العامية قائمة على الفكرة أو الموضوع المطروح فبعضها تفرض على الكاتب التخلص من اللغة العامية ، والاهتمام بالفصحى كسياق تعبيري لأحداثها وحوارتها ، كتفاعل الكاتب عبد العزيز المهنا مع مرضه (الخبيث) وذلك في سيرته (رحلتي مع الموت) حيث قال : ((فقد تهاونت مع المرض فترة طويلة . ولهذا طلب مني الدكتور عبد العزيز السليمي أن أعالجه بسرعة ، ... طالما قادني إلى الطبيب المعروف لدى أسرتنا الدكتور عبد الرحمن البنيان ، الذي قال لي ونحن في المستشفى ...

---

(١) بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية) د. عبد الفتاح عثمان ، مكتبة الشباب ، مصر ١٩٨٢م ، ص ٢٦٠ .

(٢) كتابات في النقد ، د. عبد اللطيف عبد الحليم ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٠٢ .

(٣) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٤م ، ص ٦٢٥ .

إنها عملية بسيطة لا تكلف جهداً أو وقتاً . وأن أثرها لـن يكـون سـيئاً .. مـع ذلك لم أهتم بإجراء العملية ولم تظهر الحاجة والرغبة إلا بعد استفحال المرض وتضخم الورم))[1] .

فاللغة الفصحى أضفت طابع الجدية والألم على وصفه لموقفه أمـام ذلـك المرض العضال .

وأيضاً هناك القضايا الاجتماعية التـي تفـرض عـلى كاتبهـا الابتعـاد عـن العامية ، والرجوع للغة الفصحى كقضية التربيـة الدينيـة التـي تحـدث عنهـا الكاتب عبد العزيز السالم .

((من الذين لا يشهدون الصلاة في المسجد رجل كان يجاهر بعدم الصلاة مع الجماعة ، ... وحين فاتحته في أهمية هذا الركن العظيم وأنه لا يقبل منه عذر مهما كان بعدم أداء الـصلاة لوقتهـا ... فكـان جوابـه : إن سـبب نفـوره مـن الصلاة نتيجة حتمية لطريقة والده العنيفة لتعويده الـصلاة ، ولا سـيما صـلاة الفجر في ليالي الشتاء الشديدة البرودة)[2] .

ومن الملاحظ أن الكاتب والأديب استطاع أن يهب لغته الفـصحى نوعـاً من التلطف مما قربها من اللغة الفصحى المحكية ممـا أشـعر القـارئ بانـسجام لغته فـ ((الأديب الكبير هو الذي يعرف كيف يتلطّف على لغته حتى يجعلهـا

---

(١) رحلتي مع الموت ، عبد العزيز المهنا ، ص ٩٥ .

(٢) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

تتوزّع على مستويات ، لكن دون أن يشعر قارئه بالاختلال المستوياتي في نسج لغته ، وذلك بالإبقاء عليها في مستوى فني عام موحد على نحو ما))[1] .

وأخيراً نجد أن الكتابة بالفصحى أو العامية تعتمد على قدرة الكاتب اللغوية ، وثقافته المعرفية وطريقته في استخدامها لإيصال إبداعه .

(١) في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عبد الملك مرتاض ، ص ١٢٨ .

٢- الشخصيات :

لا يخلو العمل الأدبي من الشخصية الإنسانية سواء كانت واقعية أو خيالية فـ ((الحياة تنبعث من الشخصيات وتعود إلى الشخصيات ، ولا يمكن الحديث عن عالم إنساني دون التمثيل لكائنات بشرية))[١] .

وللسيرة الذاتية ((أثر قويّ في التّعريف بالشخصيات وفي الكشف عن العلاقات بينها فالكثير من هذه الشخصيات ذكر بسبب ارتباطه بالراوي في بعض أطوار حياته))[٢] .

ويرى الدكتور عبد الملك مرتاض أن الشخصية هي الخصوصية التي تتميز بها الأعمال السردية عن الأجناس الأخرى للأدب ، وأنها واسطة العقد بين جميع المشكلات السردية الأخرى . فليس بين مقومات السرد الأخرى ما يمكن أن يؤدي ما تؤديه الشخصية[٣] .

وتقدم الشخصية في السيرة الذاتية من خلال عدة أبعاد، وهي البعد الجسمي ،والنفسي، والاجتماعي .

---

(١) النص السردي نحو سميائيات للإيديولوجيا ، سعيد بنكراد ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ص ٩٣ .

(٢) روايات عبد الرحمن منيف من المظهر السير الذاتي إلى الشكل الملحمي ، محمد رشيد ثابت ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ٢٠٠٦م ، ص ١١٠ .

(٣) نظرية الرواية ، عبد الملك مرتاض ، ص ١٠٢ ، ١٠٤ .

وأولها : البعد الجسمي :

والبعد الجسمي هو أول ما تقع عليه عينك حين تقابل شخصاً ما في واقع الحياة ، وهو الوسيلة الأولى لإثبات واقعية الشخصية وحيويتها وذلك من خلال مظهرها الخارجي من حيث الطول أو القصر ، الجمال ، القبح وصفاتها الجسدية الفرعية الأخرى مثل : لون الشعر ، لون البشرة ، ملامح الوجه .

وللمظهر الخارجي عدة دلالات ، قد يدل على خيّرية هذه الشخصية ورقتها أو غير ذلك ، فها هو الكاتب عبد العزيز السالم يدل على هذه الرقة حين يصف وجه الجارية الجديدة والتي كانت ((على مستوى من الجمال الباهر، ذات قوام ملفوف ، وتقاطيع جميلة ، وصباحةٍ في الوجه ، تشد الناظر إليها ، ... وهي كذلك إلى جانب هذا الجمال اللافت للأنظار ، فإنها رخيمة الصوت حينما تغني))[1] .

و يستخدم الكاتب هذه الصفات كطريقة تعبيرية تدل على موقفه من تلك الشخصية وبانحيازه إليها ، وتأثره بها ، وانأساره غير المحسوس بصوتها في الغناء وفي مقطع آخر،جاء سرده معبراً عن تلك اللحظة التى شاهد فيها الجارية،ورغم قصره إلا أنه موحيا بمدى تأثير شكل و صوت الجارية على نفسيتهما، يقول : ((وكان الصغيران يتعاطفان معها ويتأثران بنشيجها ،

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

وخاصـة بالنـسبة لي ، فقـد كنـت شـديد الملاحظـة لهـا ، والتـأثر بزفراتهـا الحارة))[1] .

ومن ضـمن دلالات الشخـصية التـى لاتنفـصل ببعـدها الجـسمي عـن النفسي؛أنها توحي بالبعد النفسي ودواخل النفسية ، ومظاهر ردات الفعلمـن خلال الملامح الحسية كالعيون مثلاً، فنجد في سيرة المشري صورة الحبيبة التي كانت في موقف حزن مجبر .

حيث يتقابلان هو وحبيبته بمحض الصدفة،فترسل له بعينيها الداعجتين علامة سلام عابرة فهي لاتريد مزيداً من الحـديث معـه لأنهـا الآن في عـصمة رجل آخر: ((وقدر لي مرة أن أقابلها مع أمي في طريق العودة من عند بئر ماء قريبة ، فكانت تنظر إليّ بعينين كبيرتـين مكحلتـين لم أعهـدهما مـن قبـل ، ... لكنها قالت دون أن تلتفت : (والعون) ، وهو سلام مقتضب يقال لأي عابر طريق أو غريب))[2] .

والنص يتفتق عن البعد الحسي النفسي الذي تجسد في عـدة ألفـاظ كقولـه (تنظر إليّ بعينين كبيرتين مكحلتين ، قالت دون أن تلتفت والعـون) !! وقـد نستدل من المظهر الخارجي أيضاً على علامات الجمال ، وعلى البعـد الانتمائـي للشخصية كما هو موجود في سيرة عزيز ضياء ،في قوله:((أما بنت نجم الدين

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٤٧ .

(٢) مكاشفات السيف والوردة ، عبد العزيز مشري ، ص ١٥٣، ١٥٤ .

أفندي هذه ، ... فإن بدرية لم تخف أنها (حلوة) شعرها أشقر وبيضاء وصغيرة))[1] .

وهي صفات كالعيون الزرقاء ولون الشعر الأشقر ، تدل على الجمال ، والشاب ، وفي نفس الوقت تدلل على أن أصولها غير عربية .

وكعرض محمد توفيق للبعد الجسمي ، فنلمح من خلال ملامح الممرضة رفاهية الأنوثة المشرقة يقول : ((فالمح الأنوثة المشرقة في خديها وعلى شفتيها وعينيها))[2] .

وقد يصور البعد الجسمي المشاعر ، والعواطف الصادقة ،ويوصل أثرها ومعانيها للقارئ مثل تصوير الجهيمان لأثر نظرات أمه عليه حيث، يقول: ((نظرت إلى بعينيها الحنونتين ووجهها الباسم المليء بعواطف الحب والشفقة نحوي .. لو أنها فعلت ذلك لتبخرت أحقادي نحوها))[3] .

فنلحظ أثر البعد الجسمي في قدرته على كشف ملامح الأمومة ، وعمقها على نفسية الابن ومن ثم أثر ذلك على أسلوبه .

ثانياً : البعد النفسي :

ويشتمل على أحوال الشخصية النفسية ، والفكرية، أي كل ما يجول في

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢٧٦ .

(٢) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ٣٦ .

(٣) مذكرات وذكريات من حياتي ، عبد الحريم الجهيمان ، ص ٢٩ .

داخل الشخصية من عواطف وأحاسيس وانفعالات، وأثر ذلك على سلوكها وحياتها .

ويتضح البعد النفسي في سير بعض الكتاب السعوديين من خلال عرضهم لمواقف مرت بهم مع المرأة فهاهو الربيع يُظهر في سرده - عن جارتهم التي تزوجت من رجل جاهل - أحوال تلك الشخصية النفسية ، والتي أثرت في نفسه المرهفة فلم يستطيع أن ينسى ذلك الموقف المؤلم للجارة الجميلة التي مرضت فقام الزوج بكيها في قدميها مما حدبها للموت ،يقول : ((قلت إن أثر هذه الكية كان عميقاً في نفسي عمقاً لا تمحوه الأيام ... كانت فتاتنا قد ودعت عالم المآسي والالآم إلى عالم المسرات والخلود واختفى من دنياي الصغيرة طيف نوراني كم أضاء حياتي وكم آنس أيامي وكم أنعش نفسي وكم عمر وجداني ... ولكن ذلك البدر أسرع إلى الأفول لأنه لم يقدر على تحمل كيتين مجنونتين من رجل أهوج مريض العقل خبيث النفس))[1] .

والقارئ يلمس تجليات الموقف من خلال البعد النفسي لمشاعرالكاتب، وأحوال نفسه التى لم تتحمل بعد تلك المرأة عنه،وغيابها النهائي بسبب طيش رجل مريض.

وقد يحمل تصوير البعد النفسي للشخصية دلالات فكرية ، ففي سيرة عبد الله مناع (بعض الأيام بعض الليالي ، أطراف من قصة حياتي) حين رأى

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٣٨ .

الكاتب أثر الغنى والعز الذي ترفل فيه بنت (با ناجـة) في حفلـة نجاحهـا ، واستشعاره بحالة فقرهم والتي تسببت في انهمار دموعه بشدة،أخذ يقارن بـين حالتهم وحالة أسرته في أسى وحزن، يقول : (إنني لا زلـت أذكـر مـشاعري الحزينة والدفينة يـوم أن زرنـا بيـت (باناجـة) مـع (جـدتي) و (الفقيهـة) للاحتفال بنجاح ابنتهم ، ورأيت العز الذي يعيشون فيه وأنا أقارنه بأحوالنا ، لقد كنت أشعر لحظتها كما لو أن نهراً من الـدموع يتـدفق في داخـلي ، ... لقـد أورثتني تلك الأيام أحزاناً ما بعـدها أحـزان ، وهـي تمـلأ قلبـي بحمـم مـن الغضب .. لا تنتهي ولا تنضب))[1] .

وفي نص آخر دال على البعد النفسي يقول : ((وزاد من سوء علاقتي مـع الثراء والأثرياء أن (جدتي) الحبيبة وبعد صبرها وكفاحها الطويل معنا ومـن أجلنا ماتت بـ (السل) ولم نجد ما نعالجها به على نحو ما يفعـل القـادرون في تلـك الأيام الذين كانوا يسافرون إلى (جبل لبنان) لالتماس العلاج))[2] .

ويكشف النص الأخير عن فكرة يعاني منها أغلب الفقراء وهـي الـصراع الطبقي .

ويظهـر البعـد النفـسي انعكـاس المتغـيرات الاجتماعيـة والفكريـة عـلى الشخصية من خلال (الاغـتراب) ففـي سـيرة حـسن كتبـي نلمـس أطـوار

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي ، أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٥ .

شخصيته التي سرعان ما تغيرت أفكارها في السنوات الثلاث التي قـضاها في الهند:((خلال هذه السنوات الثلاث التي قضيناها بعيداً عن الأهل والـوطن حوّلت أفكاري تحويلاً تاماً ، وشعرت بأن مسؤولية العلم لا تنحصر في قراءة الكتب وفهمها .. ولكنها مسؤولية الحياة ، ولـيس العلـم إلا الـسلاح الـذي يتقلده المحارب عند خروجه للمعركة))[1] .

وحين عاد إلى الوطن عاد بشخصية جديدة لم يعهدها من قبل:

((عدت إلى الوطن ، وعدت إلى الدار التي خرجت منها ، فلم أجد شيئاً مما تركت ورائي ، فلست أنا الذي عرفته في هذه الدار))[2] .

ثالثاً : البعد الاجتماعي :

ويشمل مستوى،وأوضاع الشخصية الاجتماعية بوجه عام . هل هي غنية أم فقيرة أم متوسطة ، وما مستواها الاجتماعي ، وما بيئتها ، ومن أي الأعراق، وما موقفها الاجتماعي وهكذا لأن لكل هذه الأمور انعكاساتها عـلى سـلوك الشخصية وحياتها بصفة عامة[3] ونجد البعد الاجتماعي ، واضحاً في وصـف الشخصية عند تصوير عبد الله مناع لشخصية عمته وخالته والتي كشفت عن

---

(١) هذه حياتي ، حسن كتبي ، ص ٧٣ .

(٢) السابق ، ص ٧٦ .

(٣) انظر : بناء الرواية ، عبد الفتاح عثمان ، ص ١٠٩ ، وانظر : رسم الشخصية في روايات حنا منة ، فريال كامل سماحة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ، ١٩٩٩م ، ص ٣٢ .

مـستواها الاجتماعـي المرمـوق يقـول : ((وعمتـي بــ (مهارتهـا) في (المطبخ) وأناقتها المفرطة .. حتـى أننـا كنـا نعلـم بخروجهـا ودخولهـا مـن الرائحة الجميلة التي تتركها خلفها في سلالم الدار عند خروجهـا لزيـارة بيـت من بيوت الأهل أو الجيران أو عودتها ، أما خالتي فقد كانت تتحلى بـ (أناقـة الأثرياء) ومع ثقتها بنفسها وعدم خوفها من الغد))[1] .

وهو هنا يصور المستوى الاجتماعي الذي تحتله خالته ، وكيـف تكـون شخـصيتها حين تكون في موقع الأثرياء وكيف تتعامل مع المستقبل القادم بثقة .

ومن المفارقات في الشخصيات التي يرسمها المناع أن جدته ماتـت بالـسل، وهـي دلالة على الفقر ، وفي مقابل ذلك كانـت خالتـه مـن الأثريـاء المـدللين ، وتلـك أبعـاد اجتماعية ، وفوارق أسرية نجدها في كثير من المجتمعات وبين الأسر الواحدة .

ويقدم مرداد بعض الشخصيات التي تستخدم نفوذها وسلطتها وما لها في مساعدة الآخرين ، والقيام بدور خيري في المجتمع .

فيتحدث عن سيدات مكة الثريات اللآتي كن ملجـأً لكثـير مـن الأرامـل والمطلقـات:((وممـن سـار في هـذا الطريـق وحـذا حـذو الـسيدة الكريمـة ، المرحومة شقيقة المرحوم أحمد با نعمة فقـد بنـت رباطـاً كبـيراً بـشعب عـلي ، وأوقفته على المواطنات من الأرامل ، ... كما أرجو الله تعـالى أن يوفـق بعـض السيدات الثريات ليقمن بإحياء ما اندثر من آثـار أسـلافهن كمثـل (شربـة)

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي ، أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ص ٣٠ .

و (باناعمة) و (لبينة) وغيرهن من فضليات وكرائم النساء))[1] .

ويعكس هذا النص البعد الاجتماعي لدى الشخصية النسائية المكية .

ويصور البعد الاجتماعي بعض الظواهر الاجتماعية لدى بعض الشعوب كالحجاب الذي ذكره عزيز ضياء في سيرته حيث، يقول : ((بينهم امرأتان ، إحداهما في (الملاية) التي تشبه تلك التي تترفقها أمي والأخرى فيما عرفت مع الأيام أن اسمه (جامة) وهي حجاب المرأة المسلمة في الهند حجاب له ما تدخل في أعلاه رأسها بالكامل ثم ينسدل الباقي على جسمها بالكامل أيضاً فلا سبيل إلى أن يرى أي مخلوق منها شعرة أو ظفراً))[2] .

ومما سبق فإن البعد الاجتماعي الذي أظهرته الشخصية من خلال تصوير الكاتب قد أوضح العرق الذي تنتمي إليه هذه السيدة والبيئة التي تسكنها .

وعادة ما تصنف الشخصية في السرد بناء على حجم الدور الذي تقوم به ، وأهميته ، وهي على ضربين : رئيسية وثانوية .

والشخصية الرئيسية : هي الشخصية البطل ، وهي محور السرد والرابط بين مختلف الشخصيات لذلك يهتم الكاتب بجميع جوانبها ويمنحها الجزء الأكبر في سرده .

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٥٧ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ٣٠٩ .

وغالب السير الذاتية يكون بطلها الكاتب ذاته ، ولا ضير في ذلك، لأنها قائمة على حكاية الذات لكن نجد في بعض السير الذاتية من كسر تلك القاعدة فخلق بطلاً آخر غير ذاته كما في سيرة عزيز ضياء فالبطل هو الأم .

إذ تمثل الحيز الأكبر ، والأكثر بروزاً في سيرته ، فكانت الأم مدار الحديث بحكم ملازمتها الطويلة والدائمة له في مرحلة الطفولة ، فهو لا يكاد يفارقها في الليل أو النهار ، لأن أباه قد سافر وعمره تسعة أشهر ولم يعد .

فتولت تربية أبنها ، وبدأت تكافح في سبيل تنشئته ، وسعت إلى إعالته بحرفة الخياطة تارة، وبتأجير الدكاكين تارة أخرى ، وحرصت على تعليمه وتوجيهه إلى مافيه خير له فمن توجيهاتها ،قولها له: ((ايوه وأنا أبغاك تشتغل لكن ما تشيل فقط . أبوك كان عالم وسيدك الله يرحمه كمان كان شيخ .. تدخل الكتاب وتتعلم وتدخل المدرسة وتتعلم وبعدين تشتغل شغل الناس الكبار .

شيل القفة للناس اللي ما يدخلوا المدارس اللي ما يتعلموا ...

• خلاص من يوم السبت اللي يجي تدخل الكتّاب))[1]

وقد هيأت له أموراً كثيرة ، وعايشت آمال وأحلام ابنها فدفعته للنجاح يقول : (وبدأت أمي الكلام متسائلة :

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٤٥٦ .

• صحيح يا عزيز تبا تروح مدرسة الطب في مكة ؟

إيوه صحيح يا أمي ...

وتساءلت :

• يعني فيها امتحان ؟

• لا بد فيها امتحان وعشان كده لازم تراجع الـدروس الـلي تعلمتهـا في المدرسة ...

وما لا أنساه طول العمر اهتمام أمي وعمي بقضية نجاحي

أمي وضعتني أمامها وأخذت تملي علي نصوصاً من الكتب الدراسية من مختلف المواضيع))[1] وأعانته على مواجهة صعوبات الحياة ، ووقفت معه في محنته عندما كان مطلوباً للحكومة: ((وهنا تذكرت حكاية أني مطلوب عنـد الحكومة وكيف تستطيع أمي أن تخلصني منها فلـم أتـردد في أن أسـألها وأن أقول لها :

• هادي يا أمي الحكومة والناس كلهم سمعوا المنادي وسمعوا كمان عـن مكافأة ياخذها اللي يدلهم عليّ أو يمسكني .

وهنا رأيتها تضحك ضحكة قصيرة وتقول :

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ .

• إنت ما تدري إني ما جيت مكة إلا عشان أخلصك من هادي الحكومة))[1] .

وأمه تقف وراء ذلك كله ، نجاحاً وتربية ودافعاً إلى حياة أفضل ، وتلك ميزة الشخصية الرئيسية فـ ((لابد للشخصية الرئيسية من أن تكون متميزة بوجودها وعواطفها وبنظرتها إلى الآخرين وإلى العالم المحيط بها))[2] فالأم هنا قوة لا تضعف ولا تكل تستحق أن تكون بطلاً لسيرته الذاتية .

وقد يكون هناك بطلاً آخر تقوم عليه السيرة الذاتية بطلاً معنوياً (كالحرمان) يجسد الكاتب كل لغة البطولة حوله ويهتم به اهتماماً بالغاً فيشعر القارئ بأنه البطل ، فالأحداث جميعها تدور حوله كما أن القارئ يتعاطف جداً مع الحرمان (البطل) ، وظاهرة (الحرمان كبطل سردي) وجد عند عبد الحميد مرداد فالكاتب سرد سيرته الذاتية وصور معاناته خلال عشرين عاماً مع الحرمان والفقر .

فالبداية كانت منذ ولادته . حيث حمل إلى المراضع لمرض أمه وعجزها عن إرضاعه ، وجاء على لسان حامله إلى الزيمة، قوله : ((هذا الوليد ضيفكم وأنا غير مسئول عنه ولا أنتم فإن قدر الله له الحياة فهو ولدكم وإن كانت

(١)حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٧٢٣ ، ٧٢٤ .

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية ، د. لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ١١٥ .

الثانية فادفنوه عندكم))[1] .

وبهذا فقد وسم بالغربة والعزلة والحرمان منذ ولادته .

وبعد الحرمان من الأم والأسرة والبيئة ، انساق إلى حياة البادية والأسرة البديلة، يقول : ((ما فتحت عيني إلى على المرضعة وشقيقتها .. وأبي فيصل وخالي نامي ، ومن كان يشاركني الرضعة ، لا أعرف لي والداً أو أماً أو أهلاً غيرهم)) [2].

وتبدأ سلسلة الحرمان فهو يفقد الأهل للمرة الثانية حيث أعيد إلى مكة وهو ابن السابعة أعيد قصراً يقول بمرارة الفقد والحرمان ((رحلت إلى البادية منذ أول يوم ولادتي ، ولم أفتح عيني إلا على جو البادية ، ونشأت وترعرعت حتى بدأت أسناني تتبدل ، ثم زجوا بي دفعة واحدة إلى الحضر ، علاوة على هذا وذاك حجبوني عن أمي الحقيقية ، ثم أبعدوني عن أمي المرضع والبيئة التي كنت في وسطها ، وفوق ذلك غياب والدي في الأسفار والرحلات))[3] .

وهذا حال الكاتب على امتداد سيرته ، فقد ذكر حرمانه من عمته ، وفقده لحنانها وعطفها ثم من حب وعطف السيدة خديجة (شربت أم المكارم) وتلتها المرأة المطلقة أو الحسناء كما يسميها .

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٥ .

(٣) نفسه ، ص ١٧٧ .

فالحرمان كان بؤرة حديثه ،والرابط الذي يربط بين مختلف الأحداث . وفي الختام نضيف إلى أن وصف الشخصية ((بالرئيسة أو الثانوية أو الهامشية ، فهذا يحدد مكانتها في النص من حيث مساحة الحركة التي تتوفر لها وشبكة علاقتها))[1] .

الشخصية الثانوية :

وهي التي تؤدي دوراً ثانوياً في السرد ، ويكون تقدير أهمية ظهورها على حسب الدور الذي تلعبه في الحدث ، وغالباً ما تنتهي بانتهاء دورها ، ولا تأخذ حيزاً كبيراً كما هو شأن الشخصية الرئيسية .

((ولعل أبرز دور أو وظيفة تؤديها الشخصيات الثانوية تتمثل في أنها هي التي تعمر عالم الرواية))[2] إذ تضيف التوازن للحدث من حيث تكميل معالم الحدث وإبراز أطره البيئية والاجتماعية والفكرية .

والقارئ يجد في السيرة الذاتية نماذج للشخصيات الثانوية متعددة فنجد الشخصية المؤثرة دائماً ما تتحلى بصفات النبل والكرم والرقة والعطف مما يجعلها مؤثرة في نطاق الأشخاص حولها ، ومن ثم تكون دافعاً للكتابة عنها مثلما نجد ذلك في سيرة غازي القصيبي فقد عبر القصيبي عن فقدان (ملك) زوجة أخيه عادل ، فقد كان يرى فيها الإنسانية النبيلة صاحبة الأحاسيس

---

(١) الحب والجسد والحرية في النص الروائي النسوي في الخليج ، رفيعة الطالعي ، مؤسسة الانتشار العربي بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٨٤ .

(٢) قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير ، روجر هينكل ، ترجمة د. صلاح رزق ، دار الآداب ٤٢ ميدان الأوبرا ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص ٢٤٨ .

الرقيقة ، وكان موتها صدمة جديدة حركت الجراح التي لم تندمل ،يقول : ((كانت ملك إنسانة نبيلة سخية كريمة الأحاسيس تحب الناس وتحب الحياة ولقد جاء موتها بعد موت نبيل بشهور قليلة ، صدمة جديدة حركت الجرح الذي لم يندمل))[1] .

ومن الشخصيات الثانوية ، الفقيهة أو الممرضة ، والجارية ، والجارة ، وقد ذكرت نماذج لها في الفصل الأول .

وأيضاً نجد الشخصية الثانوية الباهتة التي لا تملك الملامح وذات بعد محدود لا يؤثر في تحريك الحدث عند عبد الله أبو داهش فقد استحضر امرأتين قد (خرجتا تستوقفان السيارة من أجل طلب الرزق ، فلدى أبيهما : قارب ، وله مقام غير كبير ، عرضتا علينا ركوب القارب إلى جزيرة مقابلة ، وتناول الطعام فيها ، وبعد طول نقاش استقر الرأي على قبول هذا العرض والعودة إليهما بعد الظهر)[2] .

فحضور الشخصيتين كان عابراً وانتهى بنهاية دورهم في الحدث .

وهكذا نستخلص من خلال ما تقدم أن الشخصية عنصر مهم من عناصر البناء السردي لا يمكن الاستغناء عنه ، وهو أمر أدركه كتاب السير فظهر في كتاباتهم .

---

(١) سيرة شعرية ، غازي القصيبي ، ص ٧٣ .

(٢) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٩٩٦ .

٣ - الحدث :

يعد الحدث عنصراً أساسياً من عناصر السرد وتقوم عليه جميع المستويات الفنية ، كاللغة والشخصية والمكان ، والزمان ، وهو عنصر بارز في تحريك سير السرد .

فالحدث هو : (كل ما يؤدي إلى تغيير أمر ، أو خلق حركة ، أو إنتاج شيء)[1] ودور الحدث يمكن تأطيره بأنه ((لعبة قوى متواجهة أو متحالفة ، تنطوي على أجزاء تشكل بدورها حالات محالفة أو مواجهة بين الشخصيات))[2] .

فكل حدث يقتضي محدث (شخصية) تقوم به وفق علاقات شتى ، يمكن إجمالها في وظائف ست : الذات ، وموضوع الرغبة ، والمرسل ، والمرسل إليه ، والمساعد ، والمعاكس))[3]

ويختلف الحدث في السيرة الذاتية عن الحدث في السرديات الأخرى ، كالرواية والقصة ، والاختلاف نابع من الحقيقة التي بنيت عليها حركة الأحداث الواقعية في السيرة الذاتية، لأنها وقائع حقيقية لا تعتمد على الخيال ، إلا إذا كان ذلك من أجل تشويق القارئ وشده للمتابعة والقراءة ، وهذا يكون دون التدخل في الوقائع الحقيقية .

---

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، ص ٧٤ .

(٢) السابق ، ص ٧٤ .

(٣) نفسه ، ص ٧٤ .

والحقيقة في الحدث مؤهلة ، وكفيلة بجذب القارئ في كثير من الأحيان ، لأن الحقيقة فيها صدق ، والإنسان يميل إلى الصدق ويتعاطف مع الوقائع الصادقة ويتأثر بها أكثر من الخيال ، وكانت من شروط نجاح الإبداع عند بعض النقاد (الصدق الفني) [1] أي يكون الكاتب صادقاً مع نفسه في سرد ما يخالجه ولا يعني ذلك أن ينقل الواقع كما هو ، بل يحاول بصدق مقاربة الوقائع ووصفها .

وأهمية الحدث لا تقف عند خلق الحركة في السيرة الذاتية ، وتشويق القارئ ، وإنما تسهم وبشكل واضح في صنع الشخصيات ، وبناء الزمن ، وظهور الفكرة .

فالحدث ((يلتحم بالشخصية وذلك في أن كل حدث لابد أن يقترن بشخصية تقوم به))[2] .

فالشخصية ملتحمة بالحدث ومن خلال الحدث يظهر تشكيل الشخصية وتصنيفها كما سبق ذكره من حيث كونها شخصية رئيسية أو ثانوية .

---

(١) من مثل أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، ص ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥ ، وخورشيد فاروق مع المازني، ص ٨٣ .

(٢) آليات السرد في الرواية النوبية ، مراد عبد الرحمن مبروك ، القاهرة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ط ٢٠٠٠م ، ص ١٤١ .

ومن ذلك حدث (القلابة) [1] المركز الذي تحدث عنه السباعي، يقـول : ((ويحتفى البعض الآخر بموكب القادمين من الكتاب على رأسهم سيدنا بعد أن زحف إلى مقدمة الصفوف وأشار إلى العريف بتنظيمها . وتنطـق أصـوات المدعوات من خصائص النوافذ المغلقة (مزغرطات) في أنغام لا تنقطـع مـن نافذة لتتصل في نافذة أخرى وينهـال رشـاش الملـح في تـضاعيف ذلـك مـن عليات النوافذ طرداً للشياطين وحرزاً من عيون الحاسدين)) [2] .

وحدث الاقلابة ارتبط بالشخصية النسائية (المرأة) والتي تؤثر في تعميق وصف الحدث فلا تتم قلابة دون زغاريط المرأة ونثر الملح .

ومن خلال الحدث أيضاً يُدرس البناء الزمني ، لأن الحدث فعـل مـرتبط بالزمن فقد اهتم مرداد بالتحولات الزمنية ومستوياتها المرتبطة بالحدث فيظهر في حديثه المقارنات بين الزمن الماضي والحـاضر ، فنـراه يقـارن بـين الحـالتين وتأثيرها عليه لإيضاح الفارق بينهما ومن ثم يرصد آثارها الـسلبية والإيجابيـة على مسيرة حياته .

ويعتني الحدث بالفكرة التي يسعى الكاتب إلى إيصالها للقارئ من خلال

---

(١) وتعني القلابه ظاهره اجتماعية يمارسها أهل مكة احتفالاً بحـافظ القـرآن يلـبس التلاميـذ أبهـى ملابسهم ويسيرون وهم ينشدون حتى بيت زميلهم فيستقبلهم ممتطيا جواده ويـسير الموكـب في شوارع مكة المكرمة يتقدمهم التلميذ المحتفى به حاملاً لوحة قد كتب عليها اسـم الـسورة التـي بلغها ثم يعود الموكب إلى بيت المحتفى به حيث يتناول الجميع الطعام والحلوى .

(٢) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٢٧ .

إبرازها بشكل فني ملتحم بالحدث ، والفكرة في السيرة الذاتية هي ما يجسده الحدث ، ولذلك كان نجاح الحدث مقترناً بالفكرة . فكلما كانت الفكرة ناجحة في عقل السارد كلما كان الحدث أكثر التصاقاً وتأثيراً على القارئ .

ومن ذلك حدث يورده أبو عبد الرحمن الظاهري، بقوله : ((وزارني في ليلة ما أحد زملائي في الدراسة ، وكنت متأهباً مع والدي لنذهب لعقد الزواج – وهو أول زواج لي – ، فصرفه الوالد بعنف ، ولم يذكر له أين وجهتنا ، فلحقته معتذراً ، وقلت له : الحقيقة أننا ذاهبون للعقد على بنت فلان فتنغصت حالة الزواج بالأكدار ، وعشت معها في جحيم لا يطاق حتى كان الفراق))[1] .

فالظاهري ذكر فكرته بأسلوب قصصي بسيط حبك فيه الفكرة بأسلوب فني لا يخلو من الطرافة ، وملمحاً في طياتها للمعنى الذي أراد إيصاله للقارئ (أن العين حق) فقد أصيب بها ، والسبب صديقه .

وكاتب السيرة الذاتية عادة ما يحاول جاهداً عرض الأحداث التي تكشف عن ((الفلسفة الشاملة لصاحبها ، ويختار من الأحداث في تاريخ الشخصية ما يلقي الضوء على الجوانب الواقعية من حياته ، وما يفسر اختياراته))[2].

(١) تباريح التباريح ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، ص ٨٦ .

(٢) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، د. عبد المنعم الحفني ، القاهرة مكتبة مدبولي ، ط٣ ، ٢٠٠٠م ، ص ٤٢٦ .

وتنقسم الأحداث إلى نوعين : أحداث رئيسية وهي التي لا يمكن حذفها أو الاستغناء عنها ، لأن ذلك يؤدي إلى خلل في بناء الرواية[1] .

وأحداث ثانوية ، وهي التي ليس لها تلك الأهمية التي تتبوؤها الأحداث الرئيسية ويمكن الاستغناء عن بعضها دون أن يؤدي ذلك إلى خلل واضح في البناء[2] .

فكل عمل أدبي ((تتضمن أحداثاً تشكل النواة الأساسية للرواية وأحداثاً أخرى تكون ثانوية ، وتتداخل مع الأحداث الأساسية لتشكل نسيج الرواية))[3] .

أ. الأحداث الرئيسية :

وهي الأحداث التي كما ذكرنا لا يمكن حذفها أو الاستغناء عنها ، لأن حذفها سيكون سبباً في الخلل البنائي وظهور الفجوات والفراغات التي يصعب سدها ، فيتهالك بناء السرد كاملاً .

وقد ارتكزت سيرة عبد العزيز الربيع على حدث رئيسي واحد تكونت

---

(١) انظر : الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي الحديث ، د. عبد اللطيف الحديدي ، دار المعرفة المنصورة ط١ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م ، ص ١٣٦ .

(٢) انظر : نفسه ، ص ١٣٦ .

(٣) مبادئ تحليل النصوص الأدبية ، د. بسام بركة وآخرون ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٩٣ .

عليه بقية الأحداث حدث معنوي يمكن الإشارة إلى أنه الأسلوب المثالي الذي نشأ عليه وتربى وبالأخص الوداعة التي أعلن كـره لهـا في بدايـة كتابـه ((مـا كرهت شيئاً في حياتي كرهي للوداعة في هذا الطفل))[1] .

فطريقة تربيته والسلوك الذي نشأ عليه هو مدار كل الأحداث الكبرى في سرده ، وعليه ترتبت باقي الأحداث في سيرته .

فالكاتب يشعر بمرارة تلك الوداعة التي لازمته في حياته حتى أنـه حـذر ابنه منها يقول : ((أيها الابن العزيز : أنت ... تعيش حياة شبيهة بحياة ذلـك الطفل الوديـع صـاحب الـذكريات الأمـر الـذي يزعجنـي ويـستثير الألم في نفسي ، .... ونصيحتي لك يا بني ألا تثـق في كلـمات الـذين يمتـدحون لـك الوداعة ويدفعونك إليها ويرغبونك فيهـا ، وتأكـد تمامـاً أنهـم مـضللون)[2] مبرراً حديثه لابنه عن كراهيته للوداعة التي جُبل عليهـا بأنـه سـيجد آثارهـا ظاهرة على نفسيته وجسده (ستجد في سطور هذا الكتاب أحياناً وبين سطوره دائماً ما يشعرك بالمرارة التي خلقتها الوداعة في نفس أبيك وجسمه حتى لتكاد أن تصبح جزءاً من كيانه))[3] .

وحين تقرأ في سطور سيرته ستجد المواقف الكثيرة الدالـة عـلى الـضعف

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ص ١١ .

(٢) السابق ١٣ ، ١٤ .

(٣) نفسه ، ص ١٤ .

الذي فطر عليه ، والطيبة المفرطة ، والحياء الشديد ، وهي صفات يكرهها في شخصيته ، وغالباً ما يترك الربيع الحدث للقارئ ليستكشف هذه الصفات بنفسه دون تصريح منه، فيقول : ((حدث ذات مرة ـ وأنا طفل صغير ـ أن كنت سائراً في المسجد وفجأة تلقيت ضربة عنيفة على بطني جعلتني أتلوى من الألم ... ودهشت فأنا لم أتعرض له بسوء ، وليس بيني وبينه معرفة سابقة ، ولم أعرف لماذا ضربني هذه الضربة))[1] .

والكاتب يشعر بمرارة هذه الوداعة ويعلق على الحدث ((على أن الذي زاد في ألمي هو أنني تلقيت الضربة بهدوء واستسلام ، فلم أنتقم لنفسي ، ولم أنقض عليه ولم أنشب أظافري في عنقه وعينيه ولم أفعل به الأفاعيل))[2] .

وبسبب هذه الوداعة أيضاً ((تحاملت على نفسي وذهبت إلى بيتي ولم أخبر أحداً بما حدث))[3] .

وحدد الكاتب العوامل التي أثرت في شخصيته السلبية وعززت ضعفه وهي طبيعته الانطوائية ((ولم أحدث أحداً بمتاعبي إذ إن طبيعتي الانطوائية تأبى على ذلك))[4] وإلى تلك التربية المنزلية ، تربية والدته التي جعلته مجاملاً

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٦١ .

(٢) السابق ، ص ٦١ .

(٣) نفسه ، ص ٦١ .

(٤) نفسه ، ص ١٣٤ .

على حساب نفسه وغرست فيه الضعف والخوف ((سخطت أشد السخط على تربيتي المنزلية التي جعلت مني - مع شديد الأسف - (ولداً مؤدباً) يؤثر الحسنى ... ولو على حساب صحته وأعصابه وتمنيت لو كنت ولداً شريراً يجابه الناس ويأخذ حقه بيده))[1] .

وفي موقف آخر تتحمل الأم زرع تلك الوادعة في نفسه حيث عاقبته على ذنب لم يقترفه مع ولد الجيران ، وعاتبته عتاباً شديداً ، وتلك سلبية من الأم التي لم تسأله عن صحة خبر تلك الحادثة وربته على الصمت وتحمل خطأ الآخرين مما عمّق في وجدانه الخوف والمسالمة وعدم الدفاع عن النفس .

((وأخذت أمي تلومني وتذكرني بحقوق الجار وتستغرب من تصرفي تجاه ابن الجيران ومع أنني أنكرت أنني ضربته فإن ذلك لم يوقف والدتي عن مواصلة التأنيب والعتاب))[2] .

ومن مظاهر ضعف شخصيته أنه كان دائماً ما يتعرض إلى السب والشتم والإساءة من قبل أحد رفقائه دون أن يرد عليه ويرجع ذلك لأنه كان من أكثر الأطفال هدوءاً وأرقهم حاشية ، وأبعدهم عن الخشونة،و محبة الاعتداء ، وقد حاول بالرجاء أن يقنع رفيقه بأن يتركه ولا يعترضه لكن دون جدوى لدرجة أنه فكر في أن يقبع في بيته أو يهرب من الحارة[3] .

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٦٢ .

(٢) السابق ، ص ٢٠٥ .

(٣) انظر : نفسه ، ص ١٩٩ .

وهذا ما جعل الربيع يخبر ابنه منذ البداية بأن الوداعة قد كلفته الكثير على حساب نفسه ((آه لو تعلم كم أكلت هذه الوادعة من روح أبيك وجسمه وآه لو تعلم كم كلفه ذلك من خسائر وتضحيات))[1] .

ومما يؤكد على تضرره من هذه الوداعة الحدث الذي عنونه بـ (ظلم كان يعصف بحياتي) والذي وقع في مدرسته واتهم فيه بسرقة (مقلمة) قد أحضرها أحد زملائه .

وتسببت هذه الحادثة في انهيار ((كل القيم التي ربيت ونشأت عليها واسودت الدنيا أمام ناظري ... وكم تمنيت أن كنت كزميلي السارق في الجرأة ، والوقاحة ، والخفة ، والشعور المتبلد والاستهانة بما يسمى بمكارم الأخلاق))[2] .

وجعلته هذه الحداثة يلعن نفسه التي تربت على الوداعة ((ألعن في سري كلما فاءت نفسي إلى بعض الهدوء أو الرضا ، هذا الأسلوب الذي تربيت عليه لأنه أسلوب مثالي فهو بعيد عن الواقع وغير عملي))[3] .

ونجد أن هذه المواقف والأحداث كان سبب ظهورها وتشاكلها ، وتعقيداتها هي الوداعة عند الربيع ، والتي يصف تناميها معه منذ الطفولة

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ١٣ .

(٢) السابق، ص ٢٢٢ .

(٣) نفسه ، ص ٢٢٢ .

يقول : ((كنت منذ نعومة أظفاري طفلاً مؤدباً لطيفاً رقيق الحاشية بعيداً عن الأذى أكره الإساءة وأبغض الظلم والتعدي وإيذاء الآخرين))[1] .

ومن السير التي اعتمدت على الحدث الرئيسي سيرة محمد توفيق (أيام في المستشفى) والتي يضعنا الكاتب من أول صفحاته في قلب الحدث الرئيسي والذي تترتب عليه كل الأحداث الفرعية . فبدأ افتتاح سيرته بقوله ((الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلى المرضى))[2] . فالمحرك الرئيسي للسيرة هو بقاؤه في المستشفى ستة وأربعون يوماً لكل يوم منها تاريخ طويل عريض يذكرها الآن[3] ويسطرها في سيرته.

وهذه الأيام التي قضاها في المستشفى جعلته شخصية متشائمة مشحونة بالقلق ، وتوتر الأعصاب وفقدان التفاؤل .

فيصف مزاجه ونفسيته عندما تحدثه ممرضته عن قصص مرضاها الذين طالت إقامتهم في المستشفى ((وبدأت أتشاءم ، لأن أغلب المرضى الذين تحدثني عنهم ، طالت إقامتهم في المستشفيات ... وخيل إليّ أنني المريض الوحيد الذي لم تجر له العملية))[4] .

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٠٤ .

(٢) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ١٢ .

(٣) انظر السابق ، ص ١٣

(٤) نفسه ، ص ٥١ .

وعندما قرروا إجراء العملية خاضت الأفكار السوداء في خواطره وتصور ((الموت وكأنه قد تقرر نهائياً مع العملية))[1] .

وهذه الخواطر المتشائمة التي راودت الكاتب نتيجة طبيعية للضعف البشري حين يحاط بالمرض وجو المستشفيات الكئيب .

وحادث مرضه وبقائه في المستشفى يدفعه إلى التأمل في الحياة والمخلوقات التي حوله، يقول : (ثم ترتفع أصوات أخرى من المستشفى كصوت طفل يبكي ، فأتصور الدواء في حلقه ، أو الحقنة في عضله ، وأتصور اللفائف ووجه الطفل بينها ، ... ثم قد يتمزق نياط قلبي أحياناً ، عندما تشق حنجرة السكون آهات أمهات يوشكن أن يقدمن للحياة مخلوقات جديدة في جوف الليل)[2] .

ويبدو أن بقاءه في هذا الجو جعله شخصاً متسخطاً ويرسم في نفس القارئ ما يشبه الاعتراض على قضاء الله وقدره يقول : (ولكن لماذا ألقى أنا وبعض مخلوقاتك عناء والآماً في تاريخنا ونحن قد أوجدتنا أنت فيه يالله ؟!)[3] .

وتضيق به الحل إلى أن يتمنى الخلاص من هذه الحياة يقول : (ويتكلم

---

(١) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ٦٥ .

(٢) السابق ، ص ٤١ .

(٣) نفسه ، ص ٦٠ .

الضجر في نفسي ضد ما أعانيه من ألم وخواطر بها معناه : أن الموت ربما كان أهون من الألم ومعاناته ، إذا طالت على الأخص)[1]

وهكذا تجد كل الأحداث تلتف حول الحدث الرئيسي وهو المرض الذي أقعده في المستشفى ستة وأربعين يوماً ، وباقي الأحداث مترتبة عليه .

وقد تعتمد السيرة الذاتية على أكثر من حدث رئيسي حيث اعتمد عزيز ضياء على عدد من الأحداث الرئيسية والتي أهمها الجوع والحب والحرب .

((لك أن تدهش فإنك لا تدري كم كانت حياتي حافلة بالأحداث قبل العشرين ؟ إنك لا تدري مثلاً . أني قضيت طفولة فتحت عينيها على مآسي الحرب العالمية الأولى))[2] .

فعرف من خلالها الرعب الذي لا يملأ القلب فحسب ، وإنما يملأ الأحلام سنين طويلة من العمر ، وبسببها أيضاً عرف التشرد في الأزقة والشوارع التي يتساقط على أرصفتها صرعى التيفوس والتي تتلاحق في عرضها عربات تجر البغال وقد امتلأت بجثث الموتى[3] .

ويتحدث عن الحدث الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول، فيقول :

---

(١) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ٩٨ .

(٢) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، ص ١٣ .

(٣) انظر : السابق ، ص ١٣ .

((وعرفت الجوع .. الجوع الذي يمزق الأمعاء ، الجوع الذي جعل الخبز الأسود أشهى وألذ وجبه تذوقتها حتى اليوم ... الجوع الذي كبرت فقرأت عنه قصصاً وأساطير راعني أنني عشتها حقائق من الجوع الذي يجعل المرء حين يمشي في الشارع والزقاق لا ينظر إلى ما حوله أو أمامه ، وإنما ينظر إلى الأرض وحدها حيث يتحرى العثور على كسرة خبز أو حبة فاكهة أو عظمة فلا يكاد يرى ما يبحث عنه فيركض لالتقاط ما رأى حتى تكون الهياكل العظمية السائرة في نفس الطريق قد مدت أيديها تتنازع كسرة الخبز أو حبة فاكهة أو العظمة التي زهدت فيها الكلام ... ألا يستحق هذا أو بعضه أن يكتب عنه))[1] .

ثم تتفتح الحياة بالحدث الثالث وهو الحب ((الحب كما كانت هذه الكلمة حلوة الرنين والصدى في نفسي يوم عرفت الحب . كلا لا أعني الحب في مرحلة الشباب وإنما قبل ذلك في مرحلة الطفولة . أرى كيف تتسع عيناك دهشة .. او استنكاراً .. كيف يعرف الطفل الحب ؟ وإني لأذكر حتى اليوم ، كيف أسوّدت الدنيا ، وأظلمت في عيني ، يوم سافرت الحبيبة وكيف مشيت وراء القافلة التي تحملها ، معولا ثم وقفت مشدوهاً محترق الجوانح حين غابت القافلة أخيراً عن الأنظار . ثم كيف رجعت للبيت بعد الغروب فلا أعرف للأكل طعماً ولا للنوم سبيلاً وأظل في فراشي الصغير مسهد الجفنين إلى

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، ١٤ .

أن سمعت أذان الفجر فإذا استيقظت بعد ذلك ، وقد فتحت عيني على الحقيقة القاسية المريرة ، أخذت في البكاء من جديد))[1] .

وتظهر عبارات الحب عند عزيز ضياء حينما يتحدث عن أمه أو خالته خديجة ، أو جارته بدرية حديث يكشف عن رقة الأحاسيس المغمورة بعطر الأنوثة العذب .

وحين يسند الحديث إلى حالة عاطفية كحب عزيز ضياء لخالته خديجة تجد توالد مجموعة من المواقف المؤثرة التي تكون صانعة للحدث .

((فالحدث ينتج من خلال وضع المشاهد القصصية بعضها بإزاء بعض ، أو بتوالد بعضها عن بعض))[2] .

فحادثة (الخبيّزة) مثلاً من الأحداث المؤثرة التي تمتلك الأحاسيس وتثير المشاعر في حكايات عزيز عن خالته ، فقد عزم عزيز ذات يوم للذهاب إلى الربوة كانت بها (الخبيّزة) وهي نباتات خضراء ذات ورق أخضر يأكلونه ، وحين عودته إلى المنزل وجود والدته في ملامتها قادمة في اتجاهه لمعاقبته فلم يستطيع أن يتحاشى صفعاتها فذهب مسرعاً إلى حضن خالته التي أحاطته بذراعيها واستطاعت أن تشفع له وتدافع عنه .

---

(١) حياتي مع الحرب والحب والجوع،عزيز ضياء ، ص ١٤ .

(٢) شعرية السرد في القصة السعودية القصيرة ، كوثر محمد القاضي ، وزارة الثقافة والأعلام ، الرياض ط١ ، ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م ، ص ٤٦ .

وتتناسل الأحداث عن خالته فيروى جزء منها في حديثه عن طفولته مع أمه ، فهي دائماً ما تكون بمثابة المنقذ له من عقاب أمه . ((لن أنسى الطشت الذي توقفني في وسطه بعد أن تجردني من ملابسي لتغسلني كل مساء ، ومع عملية الاستحمام اللعينة هذه ، مزيد من مصع الأذنين ، ... ولا يخلصني منها إلا خالتي التي تسمع صرخاتي مع كل صفعة كف ، ومصعة أذن فتخف لتخليصي))[1] .

وكما أسلف فإن الخالة تعد حدثاً أساسياً ينبثق منه أحداث أخرى مساندة وملتحمة به قد تتقارب حد اعتبرها لبنة واحدة ، وحدث واحد،و كما هو شأنه في حديثه عن خالته خديجة فقد أفرد لها في إحدى مسلسلاته السردية عناوين توحي بذلك وهي (تدهور صحة خالتي خديجة) ، (وموت خالتي الحبيبة) .

ب. الأحداث الثانوية :

الحدث الثانوي هو الحدث الذي ليس له دور كبير ، ويمكن الاستغناء عنه دون أن يؤدي إلى خلل أو فجوة واضحة في البناء الفني ، ورغم ذلك له أهمية واضحة ، وغرض مقصود فقد يسهم في تقديم الشخصيات ، أو توسيع الرؤية أو المساعدة في بناء الحدث الرئيسي أو غير ذلك[2] .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ص ٤١ .

(٢) انظر : الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي الحديث ، د. عبد اللطيف الحديدي ، ص ١٣٦ .

والقارئ المتتبع للأحداث الثانوية يجد هناك أحداثاً ثانوية كانت مهمتها إضاءة الحدث الرئيسي ومساندته مثل فقدان الثقة في المرأة عند عبد الحميد مرداد فقد لاقى الضرب عند الفقيه ، والطرد والجوع والحرمان عند عمته الكبرى ، وأخيراً المرأة التي في بيت التلمساني ، وكانت سبباً في تسليمه لأهله ليعود إلى الحصار والسجن مرة أخرى ، وهي أحداث كانت عكس صورة الأم المرسومة في ذهن الكاتب والتي يبحث عنها سواء أكانت حقيقة أو بديلة، يقول : ((ولكن الابتسامات كانت تخفي وراءها شيئاً مخيفاً وما كنت أظن أني سألقى المصير المشئوم على يد النسوة))[1] .

ومن الأحداث الثانوية توظيف الحدث اليومي العادي والمألوف للكشف عن دواخل الإنسان والذي يمنح صورة مصغرة للبيئة التي عاشها الكاتب ، فهذا المشري يُفصح عن العلاقة التي كانت بينه وبين إحدى بنات قريته بحكم الرعى والوجود قرب المزارع ((كنا نلتقي كثيراً وبصورة تكاد تكون يومية ، وذلك بحكم الرعي والتواجد قرب مزارعنا أذكر أنني عندما يقع لي نصيب ما في الأشياء الحلوة أحفظه حتى أقابلها ... فنقسمه في محبة وضحك))[2] .

وهذا الحدث الثانوي يكشف البعد النفسي للكاتب في تلك المرحلة، ومظهر أثر التربية الاجتماعية ، ومدى تأزمه من الموروث الرقابي المتشدد الذي

---

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٣١٢ .

(٢) مكاشفات السيف والوردة ، عبد العزيز مشري ، ص ١٥١ .

يجعل الكاتب يتحفظ عن ذكر علاقته بالحبيبة ((كان مـن العيـب ذكـر كلمـة (حب) وكان يمارس بتنفيذه بين الجنسين على أنه ليس حباً ، وليُسم ما يـشاء ... لقد بقيت بعدها بأعوام ... أعيش طقساً مـن الإحـساس بظلـم النـاس ، وبأنهم لا يقيمون وزناً للحس الوجداني النظيف))[1] .

وأيضاً نجد بعض الأحداث الثانوية التي لم توظف بصورة جيدة ، فكانت بذلك عبئاً على العمل السردي كذكر عبد الرحمن السدحان للجاريـة المؤنـسة والخادمة له ولوالده ((ولاحظ والدي ـ رحمه الله ـ أن الملل قـد بـدأ يـدب في نفسي من (نمطية) ورتابة الحياة في قصر السبيعي ، فقرر أن يستأجر منزلاً في برحة قزاز ، أقمت فيه مع (جارية) بلوشية في أوائل عقدها الخامس ، كانـت تقوم بخدمتنا معاً))[2] .

نجد أنه ذكر بأنه لجأ هو ووالده للجارية كمؤنس وخادمة لهم وبعيداً عـن أن تكون ذات أهمية سوى أنها تقوم بواجبات الخدمة . فهـو ربـط الأحـداث المهمة بأحداث ثانوية لا علاقة لها بالـسرد ، وقـد تكـرر ذلـك عنـد الكاتـب عبد العزيز الخويطر حيث ذكر أن خالته حصة هي المسئولة عن الإشراف على ولادة أمه به كما كانت مسؤله عن توليد أخوانه (أما أكبر المهم فهـو وصـول الخالة حصة من عنيـزة ويجـوز أن مجيئهـا لأن الوالـدة حامـل ، ... فأصبـح مـن

---

(1) مكاشفات السيف والوردة ، عبد العزيز مشري ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(2) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ١٩٩ .

المناسب أن تأتي خالتي ، لتوليدها ولخدمتها ، وعلى كل حال خالتي حصة هي التي ولدتني أنا وجميع أخواتي))[1] .

وتجدر الإشارة بأن الأحداث في السيرة السعودية كانت في أغلبها تسير وفق نسق كلي وهو البناء الأكبر للحدث الرئيسي ونسق جزئي ، وهو الحدث الثانوي وبينهما كثير من الاتساق والترابط إلا فيما ندر .

(١) وسم على أديم الزمن لمحات من الذكريات ، عبد العزيز الخويطر ، ج ٧ ، ص ٢٨٣ .

٤ - الزمان :

يعتبر الزمن مكوناً أساسياً للعمل الأدبي ، ويرتبط بشكل واضح مع السرد ارتباطاً وثيقاً حيث ((يكاد عنصر الزمن يتوقف على الأعمال السردية ، لكونها تمثل حياة والزمن قوة متسلطة على الأشياء والأحياء جميعاً))[1] .

ويشكل الزمن دوراً مهما وأساسياً في السيرة الذاتية لأن كل أديب مرتبط به ارتباطاً وجودياً فعلياً وبذلك فهو يظهر التحولات الزمنية في شخصياتهم ،ويبين أساليب ومستويات التعبير عندهم ، وتأثيره على الروح والجسد .

ويمثل الزمن عنصراً من العناصر الرئيسية التي تقوم عليها السيرة الذاتية المحلية ، حيث تترتب عليه الأحداث المتوالية فيحدث ما يمكن أن نسميه الزمن المتداخل فـ ((الإنسان على كل حال سلسلة من التطورات التي لا تنتهي إلا بالممات ،تنداح حياته عبر لجج الثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنوات))[2] .

إذا الزمن في السيرة الذاتية متداخل غالباً ، حيث تسترجع الذاكرة بصورة صريحة الطفولة ثم الشباب والشيخوخة . وقد ترجع للطفولة مرة أخرى

---

(١) تعالق الرواية مع السيرة الذاتية ، الإبداع السردي السعودي أنموذجاً ، د. عائشة بنت يحيى الحكمي الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م ، ص ٥٧٧ .

(٢) السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم ، دراسة نقدية محكمة ، أحمد بن علي آل مريّع ، دار صامد للنشر ، تونس ط٣ ، ٢٠١٠م ، ص ١٠٤ .

حسب الأحداث ، وحسب لحظات التحول التي مرت بها هذه الذاكرة فـ ((كتابة السيرة الذاتية هي فن الذاكرة الأولى ، لأنها الفن الذي تجتلي فيه (الأنا) حياتها ، صراحة وعلى نحو مباشر ، مسترجعة هذه الحياة في امتدادها الدال، أو في وقت بعينه من أوقات هذه الامتداد له مغزاه الخاص ، وذلك من منظور لحظة حاسمة من لحظات التحول الجدي في عمر هذه الأنا))[1] .

ولتحديد طابع الزمن يقتضي الوقوف على عنصرين هما :

١. الزمن السردي من حيث الماضي والحاضر والمستقبل .

٢. تقنيات الزمن : الزمن السردي من حيث السرعة ، والإبطاء .

لا بد أن نعي بأن كل كاتب يبدأ مشروعه الكتابي بفكرة أو خارطة ذهنية مسبقة الأحداث جاعلاً الزمن الأهم فيها ، فهو يدرك حجم الوقائع وأهمية دلالاتها وخط سيرها السردي الذي يكون غالباً ذا بعد واحد يسيّره التقديم والتأخير وفق طبيعة الزمن السردي ، أي تجد في بعض الأحيان توقف السرد عند نقطة ليسترجع أحداث قد وقعت في الماضي ، أو يتجاوز نقطة السرد للاحتفاء بالحاضر والمستقبل فـ ((السرد حتى في أبسط أنواعه لا يكتفي باختيار عدد محدود جداً من عناصر المغامرة التي يرويها ، بل يستخدم هيكلاً زمنياً معقداً نسبياً يجري التعبير عنه بواسطة الاستباق أو العودة إلى الوراء ، أو تراكب الأحداث أو التداخل وهكذا))[2] .

(١) زمن الرواية ، جابر عصفور ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص ١٧٦ .

(٢) عالم الرواية ، رولان برتوف وريال أوئيليه ، ترجمة نهاد التكرلي ، مراجعة : فؤاد التكرلي ومحسن الموسوي ، دار شؤون الثقافة العامة بغداد ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص ١٢١ .

وبذلك تولد المفارقة السردية وهي حركتان سرديتان : الاستذكار ، والاستباق .

١. الاستذكار أو الإرجاع :

يظهر الاستذكار في السرد حين يقف الكاتب عند نقطة محددة فيه ويعود إلى الوراء لسرد أحداث وقعت في ماضيه إذا ((إن كل عودة للماضي ، تشكل بالنسبة للسرد ، استذكاراً يقوم به لماضيه الخاص ، ويحيلنا من خلاله إلى أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة))[1] .

واستعادة الزمن الماضي في السرد الحاضر ماهو إلا استبطان لخبرات وتجارب عاشها الكاتب في ماضيه وتتمحور حول تجربته الذاتية ، وعليه فإن هذا الاستذكار يعرف في علم النفس بـ ((التطلع إلى الوراء والنظر في التجارب والخبرات التي عاشها المرء في الماضي يستخدم اصطلاحياً للدلالة على استبطان أية خبرة انقضت ومرت لتوها))[2] .

وتأتي أهمية الاستذكار في النص السردي من حيث وظائفه الفنية والجمالية، فهو يسد الثغرات التي يخلفها السرد الحاضر وراءه ، ويسهم في فهم

---

(١) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٢١ .

(٢) موسوعة علم النفس ، أسعد رزوق ، مراجعة عبد الله عبد الدايم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، ص ٣٦ .

وتفسير مسار الأحداث ودلالاتها ويكشف عن ماضي الشخـصيات الجديـدة ويربطها بالأحداث والشخصيات الأخرى ، ويساعد ويساند الأحداث التـي لم تقدم في السرد بسبب تزامنها ، ووقوعها مع حدث آخر ، ويعمل الاستذكار أخيراً على تخليص النص السردي مـن الرتابـة والجمـود ويحـدث فيـه تـوازن الزمن المطلوب .

وينقسم الاستذكار أو الاسترجاع إلى قسمين :

١. الاستذكار الخارجي .

٢. الاستذكار الداخلي .

أما الخارجي فيمثل عودة الكاتب إلى الوراء في أثناء سرده لحدث حـاضر ليسرد أحداثاً سابقة لبداية هذا السرد ، ويلجأ إليه الكاتب عندما يضيق عليـه الزمن السردي في النص فيدعه للتجاوز والانفتـاح لاسـتكمال زمنيـة صـورة الشخصية والحدث .

ويكون للاستذكار أو الاسترجاع مدى زمني قد يكون محدوداً أو مذكوراً أو يكون بعيداً أو قصيراً ، وتحسب المقاطع الاستذكارية وتحدد بالمسافة الزمنية إذا كل ((مفارقه سردية يكون لها مدى واتساع ، فمدى المفارقة هو المجال الفاصـل بين نقطة انقطاع السرد وبداية الأحداث المسترجعة أو المتوقعة))[1] .

---

(١) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، حميد محمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، ص ٧٤ .

ويمكننا تحديد المدى والاتساع من خلال النص ، فإذا كان مدة الاسترجاع ((يقاس بالسنوات والشهور والأيام ، فإن سعته تقاس بالسطور والفقرات والصفحات التي يغطيها الاستذكار من زمن السرد))[1] .

ومن بين الاستذكارات الخارجية ذات المدى البعيد ما ذكره عبد الفتاح أبو مدين في سيرته حين، قال : ((لا أنسى أن أذكر أننا خلال الحرب ، كان أحد رجال النقل يملك سيارات شاحنة تحمل السلع من بلد إلى آخر ... ، استأجرنا ـ براكة ـ صندقة من خشب في بيتنا ليخزن فيها براميل – نفط – ديزل . وحدث ذات مرة أن سقطت في بيتنا ونحن فيه قنبلة نارية ... فأسرعنا لإطفائها بالتراب ، ... خشية أن يشتعل الديزل فنحرق والبيت ، ثم قلنا للرجل في اليوم التالي ، احمل براميلك ولا نريد منك إيجاره فنفوسنا ليست رخيصة علينا وضحينا بالفتات الذي كنا نحصل عليه ، ونحن في أشد الحاجة إليه .. ، وأعود إلى سيرتي ، فسرعان ما أتقنت ...))[2] .

ومضمون هذا الاسترجاع ، هو تذكر أحوال البلاد ، والناس في زمن الحرب وبمعاناة الكاتب المؤلمة التي تعرض لها جراء هذا الحرب .

فقد احتاج الكاتب للرجعة حين أراد الكشف عن شدة وطأة الحرب عليه، وعلى أهل بيته ولاسيما أن الحرب أسهمت في زيادة الفقر والبطالة .

(١) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص ٢٥ .

(٢) حكاية الفتى مفتاح ، عبد الفتاح أبو مدين ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

لكن الكاتب جعل ذلك الماضي تسرية له ، وتذكيره بأحوال ماضيه كانت تحثه على الصبر والتحمل والتعامل مع الأحداث بكل هدوء وطمأنينة .

ولو نظرنا إلى بداية الاستذكار أو الاسترجاع في قوله ((لا أنسى أن أذكر أننا خلال الحرب ...)) للاحظنا أن الكاتب تعمق بإحساسه لذلك الزمن ومارس حريته في شرح المواقف التي واجهها إذ ((جعل هذا العقل يتحدث عن نفسه))[1] .

هذا الأسلوب الكتابي شائع في السيرة الذاتية عموماً لكونها تخص حياة الكاتب الحقيقية .

وبالتأمل في استرجاع أبو مدين السابق نجد أنه ذو مدى بعيد لأنه يعود إلى الوراء لفترة استرجاع الطفولة أي ما قبل بداية السيرة ، ومساحة هذا الاسترجاع قليلة حيث لم يتجاوز الصفحة والنصف .

وأما الاستذكار الداخلي فهو يختص ((باستعادة أحداث ماضية ، ولكنها لاحقة لزمن بدء الحاضر السردي وتقع في محيطه))[2] .

ويقوم الاسترجاع الداخل بوظيفة فنية في التعبير عن الرؤى الفكرية والفلسفية لدى الكاتب . فقد استدعى السباعي حدثاً لعب دوراً مهماً في تغير

(١) تقنيات السرد ، آمنة يوسف ، دار الحوار ، اللاذقية ، سورية ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص ٧٦

(٢) الزمن في الرواية العربية ، د. مها حسن القصراوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٩٩ .

مسار تفكيره وهي خرافات جدته التي ((كانت في نظر (ستي) حقائق من العبث أن تجادل فيها فكنا لا نملك أمامها إلا التسليم من نعومة بال وطمأنينة . أما اليوم وقد فقدنا التسليم . واتسعت آفاقنا باتساع مداركنا فإننا نعاني من اضطراب البحث ، ودقة أسراره ما حرمنا الطمأنينة ونعمة التسليم))[1] .

فإذا كان السباعي يسترجع الماضي الخارجي المتمثل في مرحلة الطفولة والتسليم والإيمان والطمأنينة بخرافات جدته ، فإنه يستعيد كذلك الماضي الداخلي بسبب تملك أحاسيس الاضطراب ، والحرمان من الطمأنينة ونعمة التسليم .

وأيضاً من وظائف الاسترجاع الداخلي الكشف عن بعض الشخصيات التي ظهرت في النص ولم يتسن للكاتب الإفصاح عنها أثناء حركة السرد ، ومثالاً لها حديث عبد العزيز المهنا عن أحفاده في رحلته مع الموت ((سوف أتحدث الآن عن أحفادي حتى تكون صورة أسرتي قد اتضحت . أكبر الأحفاد ريان ... هو ابن سلطان القرني من ولاء . وعبد العزيز بن فضل من نهى ابنتي الكبرى التي أودع الله فيها كل معاني الجمال والرزانة والحكمة ، إنها نهى بالفعل .. غاية العقل والحكمة ـ لنعد إلى مكالمة المستشفى التي ...))[2] .

فالكاتب كشف عن بعض الشخصيات ، لم يتم الكشف عنها في بداية السيرة .

(١) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٧٦ .

(٢) رحلتي مع الموت ، عبد العزيز المهنا ، ص ٦٤ .

٢. الاستباق أو الاستشراف :

ويعرف الاستباق بأنه ((القفز على فترة معينة من زمن القصة وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات الرواية))[(١)] .

فالاستباق تصوير مستقبلي لحدث سردي ، يخبر فيه السارد ما ستؤول إليه الأحداث أو الشخصيات على عكس الاسترجاع ، والاستباق أقل شيوعاً من الاسترجاع إذ (في نص ينزع أكثر ما ينزع إلى الماضي الذاكريّ تكون هذه التقنية (زائدة عليه) بمعنى أن ورودها نادر ، وليس بمعنى الدقيق لمفهومها)[(٢)] .

وهذه الظاهرة ندر استخدامها في الأعمال السردية كالرواية والقصة لتنافيها مع مفهوم التشويق والمفاجأة التي يحرص عليها الروائي أو القاص فغايته جعل القارئ في حالة التساؤل الدائمة: ((هذه الظاهرة نادرة في الرواية الواقعية وفي القص التقليدي عموماً))[(٣)] ويتناسب ظهور الاستباق مع السير الذاتية لأنه ((الشكل الروائي الوحيد الذي يستطيع الراوي فيه أن يشير إلى

---

(١) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص ١٣٢ .

(٢) مضمرات النص والخطاب ، دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي ، سليمان حسين ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص ٢٥٤ .

(٣) بناء الرواية ، سيزا قاسم ، ص ٦٥ .

أحداث لاحقة هو شكل الترجمة الذاتية ... ، حيث إن الراوي يحكي قصة حياته حينما تقترب من الانتهاء ويعلم ما وقع ، قبل وبعد ، لحظة بداية القص ويستطيع الإشارة إلى الحوادث اللاحقة دون إخلال بمنطقية النص ومنطقية التسلسل الزمني))[1] .

وللاستباق بواعث جمالية داخل النص السردي فهو يقدم توقعات قد تحدث وقد تخيب تبعاً للإشارات أو المعلومات التي تبعثها الشخصية من خلال الأحداث التي عاشتها ، وعليه تقوم أنواع الاستباق فمنها الاستباق التمهيدي والإعلاني . أما الاستباق التمهيدي فيتمثل في التوطئة الأولية لما هو متوقع حدوثه فيخلق عند القارئ تنبؤات مستقبلية للأحداث والشخصيات .

((إن الاستباق التمهيدي يتمثل في أحداث أو إرشادات أو إيحاءات أولية ، يكشف عنها الراوي ليمهد لحدث سيأتي لاحقاً ، وبالتالي يعد الحدث أو الإشارة الأولية هي بمثابة استباق تمهيدي للحدث الآتي في السرد))[2] .

فظهرت تقنية الاستباق التمهيدي في السيرة الذاتية عند محمد توفيق حين تحدث عن مرضه في أحد المستشفيات .

((أذكر الآن أنني تطلعت إلى باب المستشفى ، وأنا استدبره إلى الداخل

---

(١) بناء الرواية ، سيزا قاسم ، ص ٦٥ .

(٢) الزمن في الرواية العربية ، مها حسن القصراوي ، ص ٢١٣ .

- بلهفة عميقة تخالطها حسرة على الدنيا التي تركتها خارج المستشفى . لقد أحسست وأنا أجتاز الباب .. وصالون المستشفى .. وأتأمل وجوه الناس - أنني انتقلت إلى عالم آخر أشمّ فيه رائحة المرض شائعة كالهواء والضوء .

وتلفت إلى باب المستشفى وقلت في نفسي : ما أسعد الخارجين منه .. ليتني بينهم))(١) .

ففي هذا النص إشارة أو معلومة لوقوع شيء ما . يشغل القارئ بالتكهن لمستقبل أو مصير هذه الشخصية مع المرض فيتابع الأحداث التي تصله إلى العملية الأولى ((الزمن ثقيل يمضي ببطء شديد ، وقد تعبأ إحساسي أشد تعبئة لاستقبال يوم العملية أو التنفيذ))(٢) فـ ((كانت ليلة الثلاثاء ، ليلة عامرة بالصحو والتفكير عن يوم العملية الأربعاء بعد نحو ست وثلاثين ساعة))(٣) .

وإذا انتقلنا إلى استباق تمهيدي آخر في السيرة الذاتية السعودية سنجد السدحان قبل أن يدخل في تفاصيل رحلته لأمريكا قدم للقارئ توطئة جمالية تمهيدية يُشعره فيها بنية السفر فيسرد بعضاً من تفاصيل معارضة والدته لسفره .

((فاتحت أمي بنية السفر إلى أمريكا للدراسة الجامعية مبتعثاً من وزارة

---

(١) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ٢٣ .

(٢) السابق ، ص ٦٥ .

(٣) نفسه ، ص ٦٥ .

المعارف ، وأوضحت لهاه أن هذا الابتعاث نوع مـن (التكـريم) للمتميـزين دراسياً ، ... ولم تدعني ـ رحمها الله ـ أكمل شرحي ، فانخرطت باكية ، وهـي (ترجوني) بالكلمة والدمع أن أصرف النظر عن أمريكـا ، وأن أبقـى (قريبـاً منها) في المملكة قائلة : ((كفاني صبراً وأرقاً أن تعيش بعيداً عني في الرياض ، فكيف إذا سرى بك الطموح إلى البلاد البعيدة أمريكا)[1] !)).

ثم بعده ينطلق في سرد حياته ودراسته هناك .

أما الاستباق الإعلاني فهو يخبر بصراحة ومباشرة ما سيحـصل في الـسرد مستقبلاً من أحداث . وهذا الإعلان المباشر هو الـذي يفـرق بـين الاسـتباق التمهيدي والاستباق الإعـلاني ، إذا إن التمهيـدي يـوطئ للأحـداث بـصفة ضمنية فالسرد قد يـوحي بوقـع الحـدث أو قـد لا يـوحي بـه أمـا الاسـتباق الإعلاني فيخبر بصراحة عن أحداث ستقع في المستقبل .

ومن نماذج الاستباق الإعـلاني مـا وظفـه عبـد الحميـد مـرداد في سـيرته (رحلة العمر) إذ سنجد أن افتتاحية سيرته تعد استباقاً إعلانياً ((لعل القارئ يعجب أو يتهمني بالشطط عندما يقرأ العنـوان الأول (خلقـت رحّالـة) ... فكن معي من الآن لتعلم ذلك))[2] .

قام عبد الحميد مرداد بعد مفارقة الاستباق وإعـلان الحـدث باسـتخدام

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ٢٣٨ .

(٢) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٦ .

ظاهرة الاسترجاع للكشف عن حقيقة الحدث المعلن عنه ، وتقديم الإجابات ((لذلك كثيراً ما تأتي المفارقة الاسترجاعية بعد استباق إعلاني))[1] .

ومن نماذج هذا النوع من الاستباق الإعلاني هذا المقطع المجزأ من سيرة أحمد عبد الغفور عطار ((وضعت أمي الطعام بين يدي .. وما كدت أمدها إلى الصحن .. حتى سمعت منادياً ينادي باسمي ... ، ولم يكن الصوت معروفاً لدي ، بل كان غريباً علي ، وكان خافتاً ، فسألت : من ؟

فأجاب : انزل سريعاً ... واستبطأني المنادي فأعاد النداء فأجبته .. وفتحت باب منزلنا فإذا رجل يرتدي ملابس مدنية ، وأمام باب منزل جارنا خمسة بملابس عسكرية))[2] .

وهنا يعلن الكاتب عن حدث سيتحقق في سيرته مباشرة ، وهو اعتقاله وحبسه ((وأخذت أفكر في أمري ، وأسأل : ... لماذا يأمر مدير الأمن العام بأن أقضي ما بقي من الليل في المنطقة ؟ أليس هذا (توقيفاً) بلغة الشرطة والمحاكم؟ أليس حبساً ؟ بلى))[3] .

وبهذا يتحقق الحدث الذي أعلن عنه الاستباق على بعد بضع صفحات من مكان إعلانه . إذ سرعان ما تحقق الحدث المتوقع .

---

(١) الزمن من الرواية العربية ، مها حسن القصراوي ، ص ٢١٨ .

(٢) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٣) السابق ، ص ٣٠ .

ومن المهم التنبيه إلى مفارقة الاسترجاع والاستباق الزمني في سرد السير الذاتية من حيث البنية والوظيفة ، فحركة الاسترجاع تتم بالرجوع إلى الوراء عبر الذاكرة و الذكريات ، وتشغل حيزاً كبيراً في السرد قد يمتد إلى فصول . أما الاستباقية فهي حركة إلى الأمام عبر حدث متوقع ، وتشغل حيزاً لغوياً قصيراً في السرد ، لا يتجاوز الصفحة أو الصفحتين .

٢. تقنيات الزمن من حيث السرعة الإبطاء :

إن الحديث عن الزمن في سرد السيرة الذاتية لا يستقيم دون تتبع حركة تقنياته من حيث الإسراع والإبطاء . فيشمل الإسراع على تلخيص الأحداث واختصار زمنها ، وعلى تقنية الحذف، فالنص القصير يغطي فترة زمنية طويلة .

أما الإبطاء فيضم تقنيات المشهد والوقفة ، فالسارد يقف على مشهد زمني قصير بلغة مطولة ، فالنص الطويل يغطي فترة زمنية قصيرة .

وسأقف عند أول تقنية يستطيع الكاتب بها تسريع وتيرة النص الزمني وهي:

١. التلخيص :

وتعتمد على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات ، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل[١] .

---

(١) انظر : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، حميد الحميداني ، ص ٧٦ .

وتتجلى وظائف التلخيص في البناء الفني داخل النص ، فهي أداة للمرور السريع على فترات زمنية طويلة ، والربط بين المشاهد السردية ، وتقديم الشخصيات الجديدة وكشف ماضيها بصورة موجزة ، وعرض الشخصيات الثانوية التي لم يتسن للسرد معالجتها والتجاوز بالأحداث الثانوية ، وعلى الإشارة السريعة إلى الثغرات الزمنية وما وقع فيها من أحداث[1] .

ونماذج التلخيص في السيرة الذاتية متعددة ومتنوعة ، فمن نماذج التلخيص الذي تكون مهمته المرور السريع على فترات زمنية طويلة هذا المقطع لمحمد توفيق ((ثم ألم بي بعد ذلك ، ومنذ نحو عام ، حادث آخر شدني من (سويسرا) إلى (المستشفى التخصصي) في الرياض للمرة الثانية والأخيرة إن شاء الله .. وكانت فحوصات وعملية أخرى . ومن الله بالشفاء بعد لطفه الخفي فيما كان))[2] .

ففي هذه الأسطر المعدودة يلخص الكاتب حادثاً أصابه استدعاه من سويسرا إلى الرياض ولم يذكر تفصيلات وأحداث هذا الحادث وإنما كان مروراً سريعاً طوى فيه فترات زمنية غير محددة .

ومن نماذج التلخيص ، تقديم الشخصيات تقديماً سريعاً ومنها تقديم الكاتب حسن كتبي لشخصية الشيخ عبد الله حمدوه حيث قال : ((نشأت في

---

(١) للتوسع في الموضوع انظر : الزمن في الرواية العربية ، مها حسن القصراوي ص ٢٢٥ .

(٢) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ١٠ .

وسط محافظ على التقاليد العريقة ذات الطابع الأصيل في البيوت الحجازية ، ... وسلطان المدرسة ـ مدرسة الفلاح ـ والمعاني التي عنيت هي التقاليد العريقة في أقوى سلطانها مصحوبة بالانطباعات الدينية والأخلاقية ، ذلك هو المغفور له الشيخ عبد الله حمدوه وهو رجل سوداني طويل القامة))[1].

ويلخص الكاتب هنا ما تعلمه في حياته الماضية في مدرسة الفلاح بإضاءة سريعة تبين وتوضح شخصية الشيخ عبد الله حمدوه المطبوعة بالأخلاق الدينية .

يأتي التلخيص ليشير إشارة سريعة إلى ما وقع في الثغرات الزمنية من أحداث، ونموذجه نجده في سيرة أبو داهش ((انهمر المطر مع نزول برد كثيف لم تشهده البلاد من قبل ، ويعد توقف المطر وذهاب الغمام انطلقت – حفظها الله – إلى مزارعنا ... حتى إذا وصلت إحداها ، ألفت البرد قد أتى على المحصول وقد حان صرامه ، فقلبت كفيها في حزن ، ... بكت لفوات الموسم وقد حان))[2] .

فالكاتب أسقط من زمن السرد أياماً لا يعرف عددها وهي الأيام التي قضت من الموسم .

---

(١) هذه حياتي ، حسن كتبي ، ص ٥٤ .

(٢) حياة في الحياة ، عبد الله أبو داهش ، ص ٣٢ .

٢. الحذف :

يشترك الحذف مع التلخيص في تسريع السرد النصي ، و ((إغفال فترة زمنية – طويلة أو قصيرة – من زمن الحكاية ، وعدم التعرض لما جرى فيها من أحداث في السرد وهو التقنية الزمنية الثانية – إلى جوار التلخيص – التي يمكن أن يلجأ إليها الروائي لتسريع السرد ، والقفز على الفترات الميتة من زمن الحكاية))[1] .

ولصعوبة سرد الأيام والحوادث بشكل دقيق ، يلجأ الكاتب إلى الحذف ، واختيار ما يستحق أن يكتب ، ويروى ، فكاتب السيرة الذاتية ((لا يجمع أكواماً من المعلومات غير المنسقة ، ولا يكتب يوميات لا بأس فيها بالتكرار)) إلا أنه (يختار وينقي ويحلل ويربط .. ويعرض علينا سيرة خصبة حية كما عاشها))[2] .

وللحذف ثلاثة أنواع :[3]

١. الحذف المعلن .

٢. الحذف غير المعلن .

٣. الحذف الضمني .

---

(١) انظر بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص ١٥٦ ، بناء الراوية ، سيزا قاسم ، ص ٨٩ .

(٢) السيرة تاريخ وفن ، د. ماهر حسن فهمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٠م ١٣٩٠هـ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٣) الزمن في الرواية العربية ، مها القصراوي ، ص ٢٣٣ .

١. الحذف المعلن :

وهو الحذف الذي يعلن فيه الكاتب عن الفترة الزمنية المحذوفة ويحـددها بصورة دقيقة ، ويمكن للقارئ تحديد ما حذف زمنياً من السياق السردي .

ومن أمثلة الحذف المعلن ما أعلنه عزيز ضياء عن انقطاع وانقضاء شـهور عدة أمه فاطمة (ومع مرور الأيام ، انتهت الشهور الثلاثة ، ... ولم يعد أمامي إلا انتظار زواجها)[1] .

وبذلك يقفز عزيز ضياء بزمنه السردي مدة العدة (ثلاثة شهور) ويسقط أحداثاً ميتة لا أهمية لها ، وبذلك يتم تسريع زمن السرد .

وأيضاً قول سلمان العودة (خمسة وأربعون عاماً مـضت ، والمـشهد قريـة هادئة ، وطفل صغير يحمل ثلاث سنوات من عمره)[2] .

هنا حذف معلن ومحدد بخمسة وأربعين عاماً طوها لتسريع السرد .

٢. الحذف غير المعلن :

وهو إسقاط فترة زمنية دون تحديد لمدتها ، بحيث تكون غامـضة ، وغـير واضـحة للقارئ : كما في النموذج التالي لأحمد السباعي ((توالت السنون بنـا ونحـن مـأخوذون بمراكزنا) ، (توالت السنون تمر بنا في ريح لم تكن هادئة))[3] .

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٤٠٩ .

(٢) طفولة قلب دون التذكر فوق النسيان ، سليمان العودة ، ص ١١

(٣) أيامي ، أحمد السباعي ، ص ٩٠ .

وبهذه الطريقة يعلن السباعي عن تجاوزه لفـترة زمنيـة ، ويـصرح بـذلك لكنه لا يحددها بدقة وإنما يكتفي بالإشارة إلى وحدتها الزمنية (توالت السنون ومرت السنون) ، ويودع معها إشارات مـوجزة تلخـص أبـرز مـا في الفـترة المحذوفة من أحداث أو وصفها بالهدوء والحزن ، كما في المثال (فهي سـنوات لم تكن هادئة) على حد قوله .

والقصيبي عندما أراد أن يعبر عن مدى وفاء زوجته وتحملها لأعباء الحياة معه لجأ للزمن المفتوح غير المعلن حيث ركز على جملـة زمنيـة واحـدة فتحـت باب الزمن وهي (عبر السنين) قال : ((عنـدما انتقلـت إلى عمـل جديـد في الدمام تقبلت الأوضاع الجديدة بلا شكوى . عندما أصبحت وزيـراً وطالـت ساعات العمل ، وتعددت الرحلات ، لم أرها أو اسمعها تتذمر قط ، تقبلت ، بعد ذلك ، الواجبات الاجتماعيـة المرهقـة المتوقعـة مـن زوجـة الـسفير عـبر السنين، كانت تتولى شئون المنزل كلها))[1] .

وقدم سلمان العودة أيضاً نموذجاً للحذف غير المعلن حين قال : ((عُـين الشيخ مدرساً بالدمام ، ثم مديراً لمكتب الدعوة ، وطيلة الفترة كانت تجمعه به الرياض لقاءات منتظمة ومدارسات))[2] .

فمن المقطع السابق يلحظ أن السارد لم يعـين تلـك الفـترة ولم يعلـن عـن مدتها سنة أو أكثر أو أقل إنما الزمن مفتوح لتنبؤات القارئ .

---

(١) حياة في الإدارة ، غازي القيصبي ، ص ٧٣ .

(٢) طفولة قلب دون التذكر فوق النسيان ، سلمان العودة ، ص ١٩٩ .

٣. الحذف الضمني :

يوجد الحذف الضمني في جميع النصوص السردية ، ولا يعلن عنه صراحة بل يمكن الاستدلال عليه من خلال الثغرات الزمنية الحادثة في التسلسل الزمني للسرد ((ويعتبر هذا النوع من صميم التقاليد السردية المعمول بها في الكتابة الروائية ، حيث لا يظهر الحذف في النص ، بالرغم من حدوثه ، ولا تنوب عنه أية إشارة زمنية أو مضمونية ، وإنما يكون على القارئ أن يهتدي إلى معرفة موضوعه باقتفاء أثر الثغرات والانقطاعات الحاصلة في التسلسل الزمني الذي ينظم القصة))[1] .

وتحديد الحذف الضمني في النص صعب ، لما يحمله السرد غالباً من تشابك ، وعقد لا يكتشف الحذف ، ولا يحدد إلا بالتتبع أنواع الأحداث فهو يفهم ضمناً من سياقات الحوادث ، وهناك مواضع مختلفة يمكن إدراك هذا الحذف من خلالها .

منها عند الانتقال من فصل إلى فصل ، وإسقاط فترة زمنية قد يعلن عنها الكاتب ، وقد يتركها للقارئ لاستخراجها واستخلاصها ، ومن أمثلتها ما أسقطه الكاتب عبد الله مناع في انتقاله من الفصل الثاني إلى الفصل الثالث من فترة زمنية امتدت لسنوات ، بداية عن ذكريات الطفولة وفي الفصل الثالث قفز فترة زمنية غير معلنة يقول :

---

(١) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص ١٦٢ .

((وفي تلك الأثناء وعلى امتداد سنوات الاعدادية فـ (الثانوية) على وجه الخصوص .. كنت أتعرف عبر (الشلة) التي كان لابد وأن أكون أحد أعضائها رغم فارق السن بيني وبينهم))[1] لكن القارئ أدركها من خلال السياق .

أما الموضع الثاني للحذف الضمني فقد يكون داخل الفصل الواحد نفسه، ويستخدم له الكاتب عادة طريقة البياض وهي وضع ثلاث نجمات (***) للتعبير عن أشياء محذوفة أو مسكوت عنها داخل الأسطر ، وفي هذه الحالة ، يشغل البياض بين الكلمات والجمل مساحات تأويله على شكل نقط متتابعة قد تنحصر في نقطتين ، قد تصبح ثلاث نقط أو أكثر ، وعند البياض الفاصل بين فصول السرد عادة يتم الانتقال إلى صفحة أخرى ، وقد يكون هذا الانتقال دالاً على مرور زمني أو حدثي[2] .

أي يشعر القارئ بتجاوز الكاتب لفترة زمنية قد يعلنها فيكون الحذف معلناً ، وقد يتركها دون ذكر ، ليتوصل القارئ إليها ويدركها ضمناً من خلال السياق ، ومن أمثلته ما ذكره عزيز ضياء في سيرته ((كان أول من لاحظ أني أمشي حافياً هو ـ محمد علي ـ ثم زميله ـ إسماعيل ـ فوقفا وأخذا يتحدثان معاً بالتركية ... ولم أكن أحتاج إلى ذكاء لأفهم أنهما يستهولان الظاهرة ... وما

(١) بعض الأيام بعض الليالي أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٤٥ .

(٢) انظر بنية النص السردي ، حميد لحمداني ، ص ٥٨ .

ستجره عليّ من مشكلة مع أمي بل ومع (عمي) أيضاً .

كما سبق أن قلت ... كان يوم الخميس هو ذلك اليوم المنحوس الذي عرفت فيه أو ذقت العلقة في (الفلكة) ورجعت فيه من المدرسة حافياً))[1] .

من الواضح أن المقطع السردي الذي جاء تالياً للنجوم الثلاثة مبني على الحذف غير المعلن يدرك ضمناً من خلال سياق الأحداث ، فالسارد لم يوضح ما جناه من عقاب أو ما ناله من عتاب وترك للقارئ إكمال ما حذفه وفقاً لمعرفته وفطنته .

أما الطريقة الثالثة فهي طريقة النقط المتتابعة (...) التي يعتمد عليها الكاتب في القفزات الزمنية غير المعلنة كما في سيرة عبد الرحمن السدحان إذ يذكر في سرده لرحلته إلى أبيه وما حصل له من ضياع . فقد ذكر هذه القصة في مقاطع يتخللها الكثير من الحذف الضمني لاسيما وإنه يضع نجمات بين كل مقطع ، وفي المقطع الأخير يلحظ القارئ حذف ضمنياً للزمن القصير ، الذي عاشه مع ابن صالح لحظة محاولة إيصاله إلى والده يقول : (* * * واصلنا عصر اليوم نفسه الرحلة إلى جازان ، وقد بدأ العد التنازلي في خاطري للقاء والدي ، ووصلنا بعد الغروب بقليل ، وقادني ابن صالح إلى (بيت أبي) ... وتم اللقاء الذي كابدت من أجله طويلاً)[2] .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٤٧٩ .

(٢) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ١٥١ .

فبين لفظه (قاده) ، ولفظه (تم اللقـاء) سـياقات ضـمنية لمـن يـذكرها السارد وطواها ربما رغبة منه في الوصول إلى النقطة الأهـم في الحـدث ، وهـو اللقاء.

ومن تقنيات الزمن إبطاء السرد بالمشهد والوقفة:

المشهد:

وهي تقنية زمنية يقوم فيها السارد باختيار المواقف المهمة التي تعنيـه مـن الأحداث القصصية ، وعرضـها عرضـاً تفـصيلياً ومبـاشراً ، موهمـاً القـارئ بتوقف حركة السرد عن النمو[1] .

ويمثل المشهد الحركة الزمنية المقابلة للتلخيص فــ ((إذا كـان التلخـيص يقدم الموقف العام بشكل كامل ، فالمشهد يـأتي لتقـديم الموقـف الخـاص مـن خلال تصويره فترات كثيفة مشحونة))[2] .

وترجع أهمية المشهد إلى التوازن الـذي يحدثـه داخـل حركـة الـسرد فهـو يوقف حركة التسريع في الحـدث ليركـز عـلى الأحـداث المهمـة واللحظـات المكثفة المؤثرة في حياة الكاتب أو شخـصياته الـسردية ، فيقـف عـلى أبعادهـا النفسية والاجتماعية ، ويتابع حركتها ، ويشهد أفعالها وكأن كـل شيء يحـدث الآن .

---

(١) انظر : تجربة سليمان القوابعة الروائية ،عبد الله مسلم الكساسبة ، دار اليـازوري العلميـة للنـشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٦م ، ص ١٣٨

(٢) الزمن في الرواية العربية ، مها القصراوي ، ص ٢٣٩ .

تكـررت تقنيـة المـشهد كثـيراً في الـسيرة الذاتيـة الـسعودية وتعتمـد أحيانا مشهد الحـوار الـداخلي كـسيرة عبـد العزيـز الـسالم حـين كـشف عـن مشاعره الداخلية تجاه خروجه من المدرسة يقـول : ((بحكـم وضـعي الأول على الفصل : كنت مسئولا عن انضباطه في غياب المدرسين . وفي هذا المجـال ينطبق عليّ القول : وأكثر ما يجني على المـرء اجتهـاده ، فهـذا الاجتهـاد الـذي أوصلني إلى رئاسة الفصل بين الطلاب : هـو الـذي أدّى بي إلى الخـروج مـن المدرسة))[1] .

وأحياناً يكون الحوار في المشهد حواراً خارجيـاً بـين بعـض الشخـصيات ليوضح خصائصها ، وطريقة تفكيرها ، كما يظهر عنـد عزيـز ضـياء مـن سرد حكاية الساكن (الثعبان) و (رغم أن الخالة فاطمة ظلت تؤكد أن (الساكن) لا يؤذي أحداً إذا لم يؤذه هو أحد ، وأن جميع البيوت في هـذا الزقـاق (زقـاق القفل) ، فيها أمثال الساكن في بيتنا ، فقد أضافت، تقول : ((

• الشيخ الزاكور ، يقدر بعون الله ، أما يرصده ، وما يخلّيه يخرج من بيتـه وأمّا أنّو ياخده معاه .

• ياخده معاه ؟؟؟

• ايوه ياما اخدهم معاه ...

---

(١) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٥٤ .

• لكن ... لكن فين يودّيهم ؟؟؟

• اللي ما ادري عنّو ... فيه ناس يقولوا أنّـو يحبسهم عنـده في البيـت ... ولكن فيه ناس كمان يقولون أنّو يدبحهم ويأكلهم))[1] .

وهذه اللقطة الحوارية التي بين أم عزيز ضياء والخالة فاطمة بثت الحركـة والتلقائية في السرد ، وأشركت القارئ في الحدث ، وشغلت بعض الصفحات وهي من العوامل الدالة على طريقة من طرائق تبطئة السرد .

الوقفة الوصفية :

هي التقنية الأخرى إلى جانب المشهد التي تعمل على إبطاء حركة السرد ، بل إنها تسعى إلى إيقاف سيرورة الزمن الـسردي ، أو تعطيلـه إلى أقـصى حـد ممكن[2] .

والوصف جزء مهم مـن أجـزاء الـسرد ، لأنـه الأداة الرئيـسية في تقـديم الأشياء والأماكن والشخصيات .

فأكثر الوقفات في السرد وقفات وصفية تسهم في إعطاء صورة كاملة عن الشخصيات والأمـاكن، فعنـد الكاتـب عبـد العزيـز الربيـع سـتجد وصـفاً لأساتذته ، وشيوخه والنجار الذي عمل عنده ، والنجار الذي خلع ضرسه ، والعطار الذي عالج طحاله .

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٢١٩ .

(٢) بناء الرواية ، سيزا قاسم ، ص ٩٢ .

ومن أبرز الأمثلة ما ذكره الربيع عن وصف المميزات المتصلة بأمه والتي كانت من شأنها إبطاء الحركة الزمنية للسرد ، وقد بدأها بقوله ((من مميزات هذه السيدة أنها تتمتع بقلب ذكي وذهنية واعية ولذلك فقد استفادت كثيراً من أحاديث أبي فحفظت كثيراً من آيات القران وكثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة وكثيراً من المعارف والطرائف وكان لذلك أثره في توسيع دائرة ثقافتها وفي إجادتها للحديث إجادة تجتذب من يستمع إليها وكان هذه الإجادة دورها في توسيع دائرة صديقاتها وفي ترسيخ مكانتها بينهن))[1] .

جاء هذا النص مشحوناً بوصف شخصية أمه بدقة معبرة ، والتي استفادت من أحاديث الزوج وحفظت الكثير من آيات القرآن الكريم ، والأحاديث والمعارف ، مما جعلها أكثر قرباً من معارفها وصديقاتها وأهلها ، وأكثر مكانة ومحبة .

ومن نماذج الوقفة الوصفية التي تُحدث إبطاء للزمن السردي هذا الجزء المستقطع من سيرة عبد الحميد مرداد في وصفه لمناسبة (قرى) لأهل البادية كانت بالزيماء، يقول : ((ذات ليلة كان الزيماء (قرى) وحضره أناس كثيرون .. وقد ألبستني أمي المرضع ثوباً قاني اللون ، ومنطقتني بالنسع ، وبرقعتني بالبخنق المطرز بالودع والخرز وصارت ترقصني ... ثم تبادل النسوة حملي وإدلالي والرقص بي ، وصرن يغنين ويهزجن الأهازيج الجميلة ، وأنا محمول

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

على الأكتاف تارة ، وعلى النحور تارة : هذه تلاعبني وتلك ترقصني كمارَقص شــهلة جنينهــا ووليــدها ، كــأني ولــدهم وولــدوني فأرضــعوني فقبلــوني وأحبوني))[1] .

نحن أمام وقفة وصفية عن العادات والتقاليد في مجتمع الزيمة بين النساء، فكأنه ينقلنا بهذا الوصف إلى المكان الذي أقيمت فيه هذه المناسبة ، وساعدت الوقفة على إبطاء حركة السرد فهي بمثابة الاستراحة التي يلـتقط فيهـا الـسرد أنفاسه ، ليعود لمتابعة سيره ، فقد وجدنا الوصف جاء بالفعل داخـل الحـدث موقفاً لحركته الزمنية لأن الكاتب كان يتحدث قبل هذا المستقطع عـن رحلـة طفولته الرابعة ، لكنه أوقف سير الزمن هنا ، وأخذ في وصف أحد المناسبات البدوية ومانحاً للقارئ فرصة التأمل والتحليل .

ونستخلص مما سبق أن تقنيات الزمن الـسردي تـرتبط بأحـداث وإيقـاع النص ، ومن خلال التقنيات نستطيع دراسة إيقاع النص مـن حيـث الـسرعة والبطء ، فيتسارع حين يلجأ الكاتب إلى تلخيص الأحـداث وحـذف فـترات من الزمن ، ويكن الإيقاع بطيئاً إذا لجأ الكاتب إلى المشهد والوقفة الوصفية .

(١) رحلة العمر ، عبد الحميد مرداد ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

٥ – المكان :

المكان : الموضع والجمع : أمكنة وأماكن[١] .

ومصطلح المكان له مفاهيم مختلفة نجدها في علوم متعددة مثل العلوم اللغوية ، والفيزيائية والفلسفية ، والجغرافية وغيرها . بحيث تُكونّ هذه المفاهيم في النهاية مصطلح المكان .

لكن هناك مصطلح آخر اتخذه النقاد للدلالة على المكان السردي ، وهو مصطلح الفضاء ، وسوغوا لذلك بأن الفضاء أعم من المكان ((لأنه يشير إلى ماهو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي وإن كان أساساً ، إنه يسمح بالبحث في فضاءات تتعدى المحدود المجسد ، لمعانقة التخيلي والذهني ، ومختلف الصور التي تتسع لمقولة الفضاء))[٢] .

وإن المكان عنصر من عناصر الفضاء الذي يشمل أحداث السرد، ومكنونات الفضاء ((فمجموع هذه الأمكنة التي تجرى فيها الأحداث الروائية ، هو ما يبدومنطقياً أن تطلق عليه اسم : فضاء الرواية ، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان))[٣] .

وأخيراً نجد أن خالد حسين يؤكد في دراسته على استعمال مقولة الفضاء

(١) القاموس المحيط ،الفيروز آبادي، مادة كون .

(٢) قال الراوي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي في العربي ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص ٢٤٠ .

(٣) بنية النص السردي ، حميد لحمداني ، ص ٦٣ .

((للدلالة على مجموعة الأمكنة التي تتوزع ساحة الخطاب على حين سيقصر استعمال المكان للدلالة على مكنونات الفضاء))[1] .

ورغم ذلك التعدد في المفاهيم ما زال مصطلح (المكان) حاضراً في الدراسات النقدية بصورة أكبر لسببين رئيسيين :

أولهما : أن المكان مكون رئيسي من مكونات الفضاء فالأمكنة هي التي تشكل الفضاء .

وثانيهما : أن المكان مصطلح قارُ في الذائقة النقدية العربية لا يمكن إلغاؤه بجرة قلم ، لذلك ظل حاضراً في عنوانات الكتب[2] .

ويشكل المكان عنصراً مهماً في معظم الفنون الأدبية ، و ((يعدّ في مقدمة العناصر ، والأركان الأولية ، التي يقوم عليها البناء السردي))[3] فهو عنصر فاعل في الأحداث والشخصيات .

وشخصية الكاتب هي التي تظهر دور المكان في العمل السردي ((صحيح أن الطريقة الفنية هي التي تظهر لنا جمال المكان ، وصحيح أن

---

(١) شعرية المكان في الرواية الجديدة (خطاب الروائي لإدوار الخرائط نموذجاً) خالد حسين حسين ، كتاب الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص ٨٥ .

(٢) البناء الفني في الرواية السعودية ، حسن الحازمي ، ٢٩٥ .

(٣) الرواية في الأردن في ربع قرن ، إبراهيم خليل ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ص ١٢١ .

المخزون التاريخي لهذا المكان يمد الكاتب برؤى ثرة ، إلا أن ذلك كله لا يعطينا فناً بدون رؤية الشخصية وهي تعمل))[1] .

ويختلف المكان في السيرة الذاتية عن المكان في الرواية ، لأن ((مكان الرواية ليس المكان الطبيعي ، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً ، له مكوناته الخاصة ، وأبعاده المميزة))[2] .

أما نص السيرة الذاتية فترسمه أحاسيس الكاتب الذاتية، وتعيد خلق المكان الواقعي بكلمات قائمة على تجارب حياته: ((ففهم المكان قائم أولاً على الخبرة والتجربة ... وبذلك يصبح المكان إطاراً للأشياء ، ينطوي عليها ويبرزها ، ويصبح التعبير مكانياً هو تعبيرعن خصائص الموضوعات المادية المحيطة بنا التي سرعان ما تتكون صلاتنا بها))[3] .

فالمكان إذن في السيرة الذاتية هو المكان المحيط بالكاتب والناتج عن خبراته وتجاربه فيه .

والمكان في السيرة الذاتية مكان واقعي ، لكن صورته لا تظهر إلينا كما

(١) إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون العربية العامة بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص ٧ .

(٢) بناء الرواية ، سيزا قاسم ص ٧٤ .

(٣) عبقرية الصورة والمكان ، طاهر عبد مسلم ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٢م ، ص ١٦ .

كانت على أرض الواقع ، بل كما كان صاحب السيرة يراها ، فجاءت صورة المكان لدى بعض الكتاب السعوديين تلاحماً نفسياً وعاطفياً نتيجة لترسبات الذاكرة واختزان الذكريات الجميلة فيه ، وتنوعت طرق التناول والوصف للأماكن لدى كتابنا في أعمالهم الأدبية فمنهم من اهتم بوصف المكان الحميم أو الأليف وهي علاقة تقوم بين الإنسان والمكان ، فيغدو المكان محمولاً نفسياً في ذات الإنسان كالبيت والمسجد والمدرسة .

ومنه من اقتصر اهتمامه على المكان الهندسي، وهو المكان الذي تعرضه القصةبدقة وحياد ، من خلال أبعاده الخارجية[1] ، كوصف غرف ومجالس المنازل .

وأخيراً تحدثوا عن الأماكن المعادية ، كالسجن والمنفى والمستشفى .

وهذا التنوع في تناول المكان يمنحه بعداً مختلفاً يجاوز كونه مجرد وسيط يؤطر الأحداث .

ونحن من خلال المقاطع سنبين هذا التنوع وتأثيره على الكاتب سواء على مستواه الشخصي أو على مستواه الاجتماعي أو الثقافي ((فالمكان الذي يعيش فيه البشر مكان ثقافي))[2] أي أنها عملية تقوم على التأثير المتبادل بين الإنسان والمكان، وأول هذا التنويع للأماكن المكان الأليف أو الحميم الحاضن للوجود

---

(١) انظر : جماليات المكان في الرواية العربية ، شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص ١٢ .

(٢) مجلة ألف (البلاغة المقارنة) يوري لوتمان : ع٦ ، ص ٧٩ .

الإنساني مهما كانت نوعية هـذا الوجـود ، والمكـان هـو الـذي يـضم سـعادة الإنسان وتعاسته فترتبط تلك المعالم النفسية بتلك الأماكن التي احتوته .

ونجد هذا النوع من المكان عند عبد العزيز الربيـع عنـدما تنـاول علاقتـه الشخصية بالحرم المدني وأنه جزء من مشاعره وعواطفه فالحرم ((أبـرز معـالم المدينة بل هو المحور الذي تدور عليه الحياة فيها وما من إنسان ولد في المدينـة أو نـشأ فيها إلا وكان للحرم أقوى انطباعات في نفسه فإليـه مغـداه ومراحـه وفيـه متنفـسه ومسرته وعنده يلتقي بإخوانـه للقـراءة والمناقـشة . وبأسـاتذته للدراسـة والبحـث وبنفسه للصلاة والراحة وبالمصلين للتقوى والإنابة))[1] .

وهو مكان مـصور مـن الواقـع ، ليقـوم بمهمـة واحـدة ، وهـي احتـواء شخصية الكاتب وأفعالها يقول : ((وهكذا قضيت أيام الطفولة الأولى حتـى انتهيت من المرحلة الابتدائية وأنا في صحبة المسجد ألقاه مصبحاً وممـسياً بـل أنني ألقاه ثلاث مرات))[2] .

فنجد انعكاس المكان المحتوي على خصائص قد لا يحتـوي عليهـا غـيره، منعكسة على شخصيته بمعنى أن له أثراً ظاهراً على هذه الشخصية ففيه يمارس العبادات التي تمنح للنفس الراحة والطمأنينة، وفيه تقام العلاقات الاجتماعية المكتسبة للثقافات المختلفة، فالمكان هو المنطق لتفسير التصرفات ، فلا يحكـم

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٣٠ .

(٢) السابق ، ص ٣٠ .

على سلوك الإنسان إلا من خلال وجوده في المكان .

ومن وظائف هذا المكان الكشف عن البعد الاجتماعي لسكان المدينة، فارتباطهم الوثيق بالمسجد النبوي الشريف يؤكد على علاقتهم بالمكان،ومدى تغلغل قدسيته بدواخلهم.

و ((تتراتب هذه الأحياز المكانية في الأهمية تبعاً لوظيفة كل منها ، وعلاقة الفرد بها إن شدة أو ضعفاً ، وتتسع وتضيق تبعاً لسايكولوجية الفرد الانعزالية أو الانفتاحية))[1] .

وهذا ما يفسره حديث الكاتب عبد العزيز الربيع لرحلة (المهاريس) التي كان يخرج إليها وهو صغير مع أمه وصديقاتها ويحملون (سلال الطعام وأدوات الشاي وبعض البسط الخفيفة)[2] .

وهو منتزه سياحي جميل في المدينة المنورة، يقول عنه الربيع ((المهاريس نقر كبيرة في داخل الصخر تحتفظ بماء المطر نظيفاً عذباً لفترات طويلة وتطلق هذه التسمية على النقر الصخرية الموجودة داخل جبل أحد ويشكل كل مهراس من هذه المهاريس مع ما حواليها من مرتفعات ومنخفضات ونباتات جميلة وصخور صغيرة وكبيرة بأشكال هندسية مختلفة تشكل هذه المجموعة

(١) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المصري ، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ، قادة عقاق ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠١م ، ص ٢٥٩ .

(٢) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٥٥ .

منظراً رائعاً يخلب الألباب))[1] .

يفهم المكان في هذا التصوير على أنه المكان الجغرافي فالكاتب ((يقدم دائماً حداً أدنى من الإشارات الجغرافية التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ من أجل تحقيق استكشافات منهجية للأماكن))[2] .

وحديث الكاتب حديث شائق ، فهذه (المهاريس)تكشف عن اهتمام الناس في المدينة المنورة بالمكان، وبالعلاقات الاجتماعية ، وطرائق قضاء الأوقات في ظل اختفاء وسائل الترفيه والتثقيف التي تظهر علينا بصورتها الحالية .

والمكان قد يكشف عن الشخصية،ويعرف بمواهبها ، وهواياتها ، بقراءة دلالية للمكان ستتضح لنا ملامح الشخصية: (أن هذه الرحلات التي كنت أقوم بها في طفولتي إلى جبل أحد مرة أو أكثر كل شهر خلقت عندي هواية تسلق الجبال التي ظلت تلازمني إلى ما قبل سنوات قليلة)[3] .

فهذا النص أبرز الوظائف التي يؤديها المكان في السرد وذلك ((من خلال علاقته بالأحداث والأشخاص ، حيث يتم رسم الشخصيات من خلال المكان الذي تعيش فيه . كما يتم إبراز مشاعرها من خلال تقيم استبطان لها ،

---

(١) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٥٥ .

(٢) نظرية الأدب ، ويليك ووارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، سوريا ١٩٧٢م ، ص ٣٩ .

(٣) ذكريات طفل وديع ، عبد العزيز الربيع ، ص ٢٥٦ .

تتقلص معه الصورة المادية للمكان))[1] .

وبعد أن وقفنا على علاقة الكاتب بالأماكن الأليفة والحميمية نجد أنفسنا متسائلين لماذا يهتم الربيع بهذه الأماكن وخصوصيتها ،مركزاً عليها دون سواها؟! فنقول من خلال استقراء الخط العام لسيرة الكاتب أن هذا الاهتمام راجع إلى وداعة الكاتب والتي ظهرت في حديثه، وعن تأثيرها على كل شي يحيط به فيلاحظ أنه لو لم تخض شخصية الكاتب بتجربة الوداعة لما ظهر للمكان أثر في النص ، فظهور المكان عند الكاتب مرتبط بتوتر العلاقة الشخصية بالناس مما أدى إلى انحصار تنوع المكان ، فلو انتزعت هذه الوداعة لما ذكرت هذه العلاقة الحميمية المختصرة بين الكاتب والمكان .

والمكان الحميم عنصر مهم لدى الكاتب أبو عبد الرحمن الظاهري ، فيقف على قريته ، ويؤكد حضورها على امتداد سيرته ، ليس حضوراً تجميلياً أو اسمياً ، لكنُ وحضوراً فعلياً يكشف عن أهمية المكان وتغلغله في نفسه ، وحبة العميق لها ، فقد احتفظت ذاكرة الظاهري بتلك القرية المتجذرة في أعماقه ، وجعلته يحن لها ولشيوخها ،يقول : ((إنني أحن حنيناً إلى القرية ، ولكن القرية أصبحت مدينة صغيرة ، وانسحبت عنها رويداً ذكريات الماضي . وإنني أحن إلى ملامح الشيوخ كما كنت أعرفهم بأزيائهم وسحناتهم المشرقة بنور الإيمان ، وكنت سابقاً أحسدهم لما أرى لهم من مكانة سامية في المجتمع))[2] .

---

(١) طرائق تحليل القصة ، الصدق قسومة ، ص ٥٨ ، ٦٠ .

(٢) تباريح التباريح ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، ص ١٠٢ .

من خلال النص نجد أنه استحالة الفصل بين المكان والشخصية ، فكلاهما يحدد هوية الآخر فيظل المكان : (القرية) هاجساً يرغب الظاهري في العودة إليها ، ولو من خلال الذاكرة فيستخدم الوصف الشاعري والعاطفة الصادقة ليرسم ملامح قريته ، فيقول عنها : ((إنك لتجد القرية تنبض بالحيوية والحركة في بكورها فهذا يحمل مخرفاً ويجر عسيباً ، فإذا دنوت منه طأطأ رأسه لتتناول ما تشاء من فذات تمر ، وذلك يحمل زنبيلاً من التين المصفى ، وآخر يتقلد مهراً متجهاً صوب العوالي ، ليجذ ما شمس من العيداتات . وعندما ترنو الشمس ويتضرج الأفق الغربي تجد القرية في هدوء وصمت))[1] .

وهذا الجزء المستقطع يؤكد حب الظاهري لقريته ، وارتباطه بها ، وفي الوقت نفسه يرينا البعد الاجتماعي لأهل قريته التي تدب فيها الحركة منذ بكور الصبح ، وتخشع في الأفق الغربي ، وما يحمله أهلها من نقاء في النفوس ، وصدق في العمل .

لكن هذا الوضع تغير على حد قوله إذ ((القرية أصبحت مدينة صغيرة))[2] أفرزتها الحياة العصرية ، فأثر فيه المكان المتحضر ، وعكس على نفسيته الألم حين استرجع ما في تلك القرية الهادئة ((وأول زيارة قمت بها

---

(١) تباريح التباريح ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، ص ٤٧ .

(٢) السابق ، ص ١٠٢ .

لشقراء بعد طول الغيبة طاولت جدار المدرسة أطل على الفصول والساحات ففرطت مني ساعات بغير وعي أستعيد شريطاً من الذكريات . أمر سوق الحسيني ، ومسجد الحسيني فتخذلني رحلي عن السير ، وتفرط مني الساعات أبكي مرة ، وأضحك أخرى ، وأتأوه ثالثة ، وأعجب رابعة ... إلخ))[1] .

وبما أن المكان يكشف عن جوانب الشخصية ويؤثر فيها ، فإن الشخصية أيضاً تؤثر على المكان ، وتعكس وجهة نظرها فيها ، فنحن من خلال المقاطع السابقة لا نرى من القرية إلا ما أراد الظاهري أن نراه منها ، وسطره في سيرته، ويمكن أن نلمس تأثير المكان على الشخصية عند الكاتب عبد العزيز السالم، واستجابة نفسه لجمال وطمأنينة الحرم المكي فيصف رحلته لمكة للحج مسخراً فيه الفعل المضارع ، وكأنه يرى ما يصفه الآن مستمراً ((وأول مرة ذهبت إلى الحج ... كان مع صحبة طيبة من الرفاق ... وبعد أن أحرمنا من الميقات توجهنا مباشرة إلى الحرم الشريف ، وسعدنا بمشاهدة الكعبة ، وبرؤيتها لأول مرة : انتاب أكثرنا حالة من الخشوع والرهبة ، والتأثر الشديد ، فقد هطلت عيوننا بالدموع لهذا المشهد الرباني المؤثر ، وارتفع النشيج ونحن نطوف بالكعبة المشرفة))[2] .

والملاحظ على هذا الجزء هو رسم السالم لانطباعاته المكانية عند رؤية

---

(١) تباريح التباريح ، أبو عبد الرحمن الظاهري ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) ذكريات مما وعته الذاكرة ، عبد العزيز السالم ، ص ٨١ ، ٨٢ .

الحرم ، وتأثره بمشهد الكعبة،وأثر الكعبة عليه فيما بعد ، فوصف الفضاء المكاني بعبارات موحية ، ومؤثرة تتعاطف معها المشاعر ، وتصدقها . أن هذه النظرة امتدت إلى من رافقه وصاحبه في الرحلة ، فقد هطلت الدموع ، وارتفع صوت البكاء انعكاساً لهذا المشهد الرباني الروحاني .

ويتضح من خلال استقراء النصوص أن للمكان تأثيراً على نفوس البشر و ((أن هناك أماكن جذابة تساعد على الاستقرار وأماكن طاردة تلفظنا ، فالإنسان لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها ، لكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته))[1] كما هو حال المكان الروحاني عند السالم .

وقد تكون بعض الأمكنة محايدة ، لكنها قد توحي بالتوجس والتردد كما هو الحال عند الكاتب عبد الرحمن السدحان حين انتقل من مكان كان يضمه بألفة ، ومحبة إلى مكان جديد لم يتأقلم معه، بل تسبب له في صدمة حضارية إذ إنه سافر من جازان إلى جدة ثم إلى بيروت للدراسة يقول : ((ثم اتجهنا جميعاً إلى منزل شقيقته في أحد أحياء بيروت الحديثة . كنت وأخي مشدوهين بما رأينا وما سمعنا ، وبدا كل شيء غريباً : الشوارع والعمران وقيافة الناس ولهجتهم ، وكنا بلباسنا العربي ذلك اليوم ... كضيوف في حفلة (تنكرية)

---

(١) جماليات المكان ، سيزا قاسم ، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، ص ٦٣ .

لا نعرف فيها أحداً ولا يعرفنا أحد))[1] .

وهذا المقطع يظهر السدحان من خلاله مدى تأثير المكان الجديد المتحضر على نفسيته في مرحلة الطفولة .

لكن السدحان فيما أكد بعد سهولة الإتلاف مع المكان فقد حدثنا عما ألفه من طعام وسكن والطقس ، وسهولة تألف التعامل مع الأساتذة والطلاب حيث كانت أجواء المكان قابلة للتأقلم :(لكن الأيام والأسابيع المتعاقبة علمتنا أن نألف الكثير ، طعاماً وسكناً وطقساً : وأن نتعامل بيسر مع الأساتذة والزملاء الطلاب والطالبات ، كان قبول الجميع لنا قبولاً حسناً))[2] .

وعندما ابتعد عن هذا المكان ، واستكمل دراسته في وطنه السعودية ، ظل تأثير المكان باقياً على لسانه ((بسبب بعض الكلمات (اللبنانية) التي كانت تتسلل عبر لساني أحياناً بلا إرادة ولا قصد ضمن فقرات حديثي))[3] .

وهكذا في كل الأحوال يظهر تأثير المكان في الشخصية ، وتأثير الشخصية على المكان ((فالمكان لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي ، وإنما يتغلغل عميقاً في الكائن الإنساني ، حافراً مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات

---

(١) قطرات من سحائب الذكرى ، عبد الرحمن السدحان ، ص ٢٠٦ .

(٢) السابق، ص ٢١٤ .

(٣) نفسه ، ص ٢٢٨ .

المختلفة ، ليصبح جزءاً صميماً منها))[1] .

وقلنا فيما سبق أن من بين الأماكن التي اهتم بها كتابنا السعوديون الأماكن الهندسية أو الحسية . إذ بين المكان الهندسي عناية الكاتب بأصالة المكان ، وأهميته ، وكيف يصف بعمق ، وشمول المكان الذي ارتبط به في يوم من الأيام والتصق بذاته ، ويبرز أهم ملامحه الداخلية والخارجية .

فقد قدم الكاتب عبد الله المناع في سيرته الذاتية ارتباطه العاطفي ببيت خالته، ووصف الهيئة الخارجية ومكوناته وأجزاءه الداخلية ،يقول: ((كان مصنفاً من الطبقة الراقية ، فهو يسكن في بيت من ثلاثة أدوار : الأول له ولضيفه ، والثاني لـ (المعيشة) والثالث لزوجته ـ خالتي ـ وضيوفها ، ... كان بيت خالتي وزوجها بأدواره الثلاث المفروشة والمنسقة أجمل تنسيق ، وبموجوداته الكثيرة والجميلة ... من جهاز (الراديو) الخشبي الضخم بموجاته الدائرية المثيرة ... إلى (جرامافونه) واسطواناته الرائعة ... إلى لوحة (الفوتوغرافية) المعلقة على جداره ... إلى البومات) صور عائلية التي تضم صور (بابا قاضي) وصور زوجته وابنهما الوحيد ... يشكل عالماً متكاملاً من الجمال والمتعة))[2] .

فإذا بحثنا في هوية أهل هذا البيت ،ومكانتهم وجدناهم من الطبقة

---

(١) شعرية المكان في الرواية الجديدة ، خالد حسين ، ص ٦٠ .

(٢) بعض الأيام بعض الليالي ، أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ص ٢٦ .

الراقية التي تدل على تاريخ المدنية . أي البيت في تقدير الكاتب كان موحياً بهوية ،وثقافة ،ومستوى أهله ،وساكنيه هذا من جانب ،ومن جانب أعم هو يعكس الصورة الحضارية الجميلة التي يجب أن يكون عليها أي بيت ، على حد تعبير الكاتب .

و بعد ذلك يتحدث عن المكان بتلاحم وجداني معه ، حيث يتدفق على لسانه الرقة والعذوبة ((عرفت في ذلك البيت الموسيقى والغناء ، وتعلمت سماع الأخبار ومتابعتها ، وعشقت صوت الشيخ (أبو العينين شعيشع) ، وسبحت مع صوت عبد الوهاب في (جندوله) وشربت صوت أم كلثوم ... وأحسست بـ (اللوحة) الفوتوغرافية التي لم ترها أو تعرفها البيوت الأخرى ... نعم تذوقت من خلال ذلك البيت في حارة الشام ألوان الفنون جميعها : السمعية والبصرية))[1] .

فقد قدم الكاتب عملية كشف للمكان من خلال الوصف الحسي للأشياء والديكورات التي لعبت دوراً أساسياً في اكتسابه جملة من المواصفات والصفات ، وعلى حسب ما يرى، ميشال بيتو، بأن الارتباط بالديكور والأشياء المحسوسة تسهم في إبراز الجوانب المعنوية للشخصية لأنه ((نوع من وصف الأشخاص الذي لا غنى عنه ، فهناك الأشياء التي لا يمكن أن يفهمها القارئ ويحسها إلا إذا وضعنا أمام ناظريه الديكور وتوابع العمل ولواحقه))[2] .

---

(١) بعض الأيام بعض الليالي ، أطراف من قصة حياتي ، عبد الله مناع ، ص ٢٧ .

(٢) بحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بيتور ، ترجمة : فريد أنطونيوس ، الفكر الجامعي ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط١ ، ص ٥٣ .

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن عبد الله مناع ذكر في هـذا الـنص آليـة علاقة الجزء بالكل حين بدأ بوصف أجزاء الفنون السمعية والبصرية في المكان الذي حوله من مثل الراديو الخشبي ، واللوحات الفوتوغرافيـة إلى أن وصـل إلى الكل وهو البيت في حارة الشام أي سـلك طريقـة الجـزء الـذي يـستدعي الكل ، وهي غاية سردية لتكثيف صورة المكـان ، وإبـراز أهميتـه فــ ((البنيـة المكانية المتوالدة : المتميزة باستدعاء الكل لمجرد ظهور الجزء فالباب أو النافذة تستدعي وجود الجدار ، والأخير يحدد المكان ، لذا فإن توالدية البنـى المكانيـة هي استمرار العناصر المكانية وتدرج حضورها مـن خـلال سلـسلة معلومـة مكانياً ، والجوهري في هذه البيئة هو تكثيفها المكان واقتصارها على الأسـاسي من العناصر))[1] .

ولم يكن عبد الله مناع وحده الذي وصف المكان الحسي ، فقـد سـبقه إلى ذلك الكاتب عزيز ضياء حين وصف أحد مجالس النساء في أحد بيوت المدينة: ((كان هناك مجلـسان ... أحـدهما للرجـال وآخـر للنـساء .. ولكـن مجلـس السيدات كان بالغ الفخامة .. مـا زلـت أتـذكر الأسـقفة المزخرفـة والإطـار الذهبي الذي يستوعب السقف على امتداده بزخارفه الرائعة . كما أذكـر تلـك المقاعد الوثيرة المتلاحقة وعليها (المساند) ... وكلها مكسوة (بالدومـسك)

---

(١) المكان في النص المسرحي ، منصور نعمان نجم الديلمي ، إربد : دار الكندي للنشر والتوزيع ط١ ، ١٩٩٦م ، ص ٩٢ .

الأخضر المشجر الذي سمعت فيها بعد أنه يستورد من استنبول ولا يقتنى الأثاث الذي يكسى به إلا الأثرياء والوجهاء في تلك الأيام))[1] .

حين ننظر إلى النص نجد أن الكاتب استخدم البنية المكانية المحسوسة ، والمتمثلة في أبعاد ، ومساحات ، وأحجام الأشياء ، وهذا نمط يهتم بالتفاصيل الدقيقة لمحتويات المكان وأشيائه ((وكأنها لا تعني ولا تدل على شيء آخر غير ذاتها))[2] .

ويمكن تعليل ذلك ، حين نعرض غاية الكاتب من ذكر ذلك المجلس ، وأثاثه فقد مر هذا المنزل بظروف خانقة ((بحيث لم يبق من تلك الوجاهة والأبهة .. إلا المنزل نفسه وسكانه وزخارف ذلك المجلس وقد حال لونها وبهت رواؤها وقد أخذت تهب على المنزل كله رياح الفاقة والعوز ولكنها تعجز رغم استمرارها إلى حد يشبه الاستبطان على أن تمس الكبرياء والكرامة وعزة النفوس التي لن أنسى أنها رغم هذه الظروف الخانقة كانت لا تبخل على من يلوذ بها أو يسألها العون))[3] .

إذن فالأشياء المحسوسة عبرت عن ثقافة أهل المنزل ، ووضحت نفسية الشخصيات التي عاشت فيه ، بل استطاعت أن تعطي للمكان هويته التي ((تتعلق بالآداب المنتمية إلى وطنها الأصلي في كونها تمثل صورة حقيقية

---

(١) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٧٢٢ .

(٢) الحساسية الجديدة ، مقالات في الظاهرة القصصية ، أدوار الخراط ، دار الأدب : بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص ١٦ .

(٣) حياتي مع الجوع والحب والحرب ، عزيز ضياء ، ص ٧٢٣ .

للوطن والمجتمع الذي تنتمي إليه من سلوك وأفكار وعادة يجعلها في الغالب ناقلة لتلك الملامح الخارجية للمكان من جهة ، وللملامح الداخلية من جهة أخرى))[1] .

ووصف الأماكن في السيرة الذاتية ضرورة حتمية ، وذكره يكون عن طريق تفاعل الشخصية معه ، وبذلك ((يمكن أن يكشف عن الحياة اللاشعورية للشخصية من خلال نظرتها له ، وتعبيرها عنه))[2] .

فنجد بوضوح وصفاً للأماكن الأليفة والمعادية التي سعى إليها بعض كتابنا السعوديين في سيرهم ، وقد حرص بعض الكتاب على إظهار المكان المعادي في سيرته من مثل محمد عمر توفيق حين أسند المكان المعادي لبيروت سبب انعكاس المرض على نفسيته ((هذه لبنان ما أحلاها ! ... أحببتها كثيراً في العام الماضي ، ولكني أحببت الحياة فيها ، لا الموت))[3] .

وظل يرسم الصورة المعادية في مكان آخر ، وهو المستشفى فقد كان ((المستشفى طرازاً أمريكياً ومن الدرجة الأولى ، ولكنه بدأ يستحيل في إحساسي إلى (زنزانة) ... وأتذكر الآخرين من الأهل والعيال الذين يحيون

(١) الرواية النسائية السعودية ، خطاب المرأة وتشكيل السرد ، سامي جريدي ، مؤسسة الانتشار العربي بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص ٧٤

(٢) انظر : بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص ٤٤ .

(٣) أيام في المستشفى ، محمد عمر توفيق ، ص ٦٥ .

ويعيشون معي بأفئدتهم وأرواحهم – وإن كانوا بعيدين عني وعن المستشفى – فتضيق (الزنزانة) عليّ وأكاد أختنق !))[1] .

فالمستشفى أضحى سجناً ضيقاً يكاد يخنقه، عاكساً نفسيته ، الكاتب مع المكان وتفاعله.

وهذا الوصف للمكان جاء محملاً بالدلالات الكاشفة عن الصور المعادية التي سيصفها أو سيرسمها الكاتب في رحلة علاجه والتي منها صورة استعداده للعملية ولبسه لثياب التنفيذ – على حد قوله – ((بدأت أناجي الله في ضميري وعلى لساني ، وأتمثل الأرض والرحاب التي أحب أنا أحيا وأموت فيها ... والممرضة في هذه الأثناء تهيئني للعملية على السرير ، فألبستني ثياب التنفيذ وظهر أنها استعجلتني في الصعود بسريري إلى غرفة العمليات بعد أن حقنتني بالمورفين))[2] .

ويستمر في وصف المستشفى ـ المكان ـ متخذاً مبدأ المعادية ذاته .

وقد أخذت صورة المكان المعادي عند الكاتب أحمد عطار بعداً آخر أكثر ألماً ، ومعاناة ، وذلك حين وصف حبسه الانفرادي في أحد غرف السجون، يقول : ((وبولغ في (السجن الانفرادي) فأغلق علي باب الغرفة ، ومنعت من الكلام مع السجناء ... قضيت ست ساعات في غيابة محبسي الضيق حتى

---

(١)أيام في المستشفى،محمد عمر توفيق ، ص ٦٦ .

(٢) السابق ، ص ٦٦ .

ضاقت النفس أشد الضيق ، وكدت أختنق من الحر والرطوبة ودوي مكائن الكهرباء ومن الروائح الكريهة المنبعثة من المراحيض التي بداخل السجن))[1] .

فالسجن هنا موصوف بأكثر من صفة تدل على صغر الغرفة وحقارتها إذ يقع خلف مكائن الكهرباء ، وينبعث منه روائح مراحيض السجناء ، يدل فالمكان دلالة واضحة على التغير الكبير الذي طرأ على حياة الكاتب فمن بعثة في مصر إلى حبس انفرادي في أحد غرف السجون: (قال أحد الزملاء السجناء وكان متعلماً وقارئاً ، فلما سمع اسمي حياني بحرارة وإعجاب وقال : قرأت كتبك وكنت أقرأ مقالاتك ، وأعلم أنك سافرت إلى مصر في بعثة ، فما الذي جاء بك من مصر ثم إلى السجن ؟)[2] .

تظهر أيضاً صورة المكان المعادية عند الكاتب حسن كتبي الذي عبر عن علاقته المليئة بالسأم ، والملل ،والحزن حين ذكر قصة سجنه تحت عنوان (في غيابة السجن) ، ووصف صعوبة تأقلمه مع سجنه إذ، يقول : ((ولقد حاولت أن أتجاوب مع البيئة التي وجدت فيها وأصغي إلى أرواح أولئك البائسين الذين جمعني القدر بهم في ذلك الفناء الفسيح ، الأروقة المطلة عليه ،

---

(١) بين السجن والمنفى ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ٧٢ .

(٢) السابق ، ص ٦٩ .

حتى لكأنه جزيرة منعزلة عن الكون ، تقوم وسط بحار من الوحشة واليأس والقنوط))[1] .

من خلال هذا النص يصور الكاتب بعين الحزن ما يبثه المكان من الوحشة، واليأس ، والقنوط ، ويمكن ملاحظة النفور الطاغي من المكان من خلال وصف الكاتب لمحاولته التجاوب مع البيئة أو التجاوب مع أصحابها البائسين ويتضح مما تقدم أن حضور المكان في السيرة الذاتية ذات أهمية إذ إن توظيف آلية وصف المكان تكشف عن العلاقة المتبادلة ، والمؤثرة بين الشخصيات ، والأماكن التي عاشوا فيها ، وإبراز مشاعرهم ، وبذلك يمكن القول إن المكان من أهم عناصر السرد ، بل يحتل الدور الطليعي من بينها .

(١) هذه حياتي،حسن كتبي ، ص ١٠٦ .

الخاتمة

تناول هذا البحث المرأة في السيرة الذاتية السعودية من خلال الدراسة الموضوعية الفنية ، واستهدفت الدراسة توضيح صورة المرأة لدى كتاب السير السعوديين ، وقد تكونت من مقدمة وتمهيد وفصلين رئيسيين وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات .

كشفت المقدمة عن دوافع البحث ، وأسباب اختياره ، والمنهج الذي سار عليه ، كما كشفت عن الدراسات الأدبية السابقة التي عنيت بأدب السيرة الذاتية ، وضمن ذلك المرأة ، لكنني لم أجد في حدود المساحة المعرفية التي اطلعت عليها أي دراسة عنيت بصورة المرأة مستقلة . فسعيت لتأسيس صورة علمية لها من خلال هذا البحث، وحرصاً مني على إضافة شيء جديد يثري الثقافة المحلية ، ومشهد ثقافتنا السردية .

وقد كان مدار الفصل الأول في مبحثه الأول (تشكيلات صورة المرأة) حول الصورة التي رسمها كتاب في السيرة الذاتية السعودية للمرأة، من كونها أماً ، وجدة ، وزوجة وابنة وغيرها متتبعة لأثرها الفاعل في حياة كتاب السير الذاتية .

وكانت قضايا المرأة الاجتماعية في السيرة الذاتية السعودية موضوعاً للمبحث الثاني فعرضت لأهم ، وأبرز القضايا التي غدت معلماً في السيرة الذاتية ، كقضية الطلاق وهي أكثر القضايا تأثيراً على نفسية وروح الكتاب ، وشغلاً لأذهانهم .

فعند استبطان النصوص السردية ظهرت دوافع وقوع الطلاق، فأغلبها يعود إلى الرجل ،وبعضها يعود للنساء، وثمة أسباب قليلة،لا تعد ظاهرة قد تقود إلى حدوث ذلك، من مثل التباين الكبير في المرجعية الثقافية والاجتماعية بين الزوجين .

وهناك قضايا أخرى اجتماعية لها علاقة بالمرأة كشفها البحث كمعالجة قضية العنوسة والزواج ،وقضايا التعليم ،والأمية،كما تعرض البحث لقضية الانفتاح ، والتقليد ،والتى نوقش فيها ظاهرة السفور ،والحجاب، وظاهرة الاختلاط ، وظاهرة الشعوذة والكهانة، وغيرها من الظواهر المتعلقة بقضايا المرأة الاجتماعية.

أما الفصل الثاني فكان معنياً بدرس صورة المرأة في البناء الفني في السيرة الذاتية وفيه يبين البحث ملامح الشكل الفني كاللغة ، والشخصية ، والحدث، والزمن ، والمكان .

واستطاع البحث من خلالها أن يطرق أبعاداً فنية كثيرة لكل شكل فني ، ففي اللغة تم دراسة مستويات اللغة كاللغة التقريرية واللغة التصويرية ، واللغة التعبيرية والشعرية وأخيراً الوثائقية .

كما تناول هذا الفصل الحوار ، ووظائفه الفنية الخاصة التي تسهم في تشكيل النص السردي ، وحدد أسلوب الحوار في الكلام المباشر وغير المباشر ودرس أبعاد استخداماته إن كان باللغة الفصحة أم العامية .

وأخيراً نتائجه في الكشف عن ذات الشخصية ، وعن رؤيتها تجاه القضايا الاجتماعية والفكرية ، وتأثيره في تعميق البعد الواقعي في السرد ، فهو يعبر عن المشهد بأدق أمور الحياة وتفصيلها .

أما البعد الفني للشخصيات فقد قدم من خلال عدة أبعاد وهي البعد الجسمي والنفسي والاجتماعي وأيضاً ثم تصنيف الشخصيات ،بالشخصية الرئسية ، والثانوية بحسب حجم الدور الذي تقوم به وأهميته .

وساهم العنصر الفني في الحدث وبشكل واضح في صنع الشخصيات ، وبناء الزمن ، وظهور الفكرة التي يسعى الكاتب إلى إيصالها للقارئ من خلال إبرازها بشكل فني ملتحم بالحدث ومنه ظهرت الأحداث الرئيسة والثانوية .

وفي الشكل الفني يظهر للزمن دور مهم وأساسي في السيرة الذاتية، لأن كل أديب مرتبط به ارتباطاً وجودياً فعلياً،فهو يظهر التحولات الزمنية في شخصياتهم ويبين أساليب ومستويات التعبير عندهم،وتأثيره على عامل الروح والجسد،ولتحديد طابع الزمن اقتضى ذلك الوقوف على عنصرين هما :

١ - الزمن السردي من حيث الماضي والحاضر والمستقبل .

٢ - تقنيات الزمن السردي من حيث السرعة والابطاء .

وقد جاء المبحث الأخير عن المكان المهتم بطرق تناول الأمكنة ، ووصفها. فمن الكتاب من اهتم بالأماكن الحميمية والمرتبطة بذات الإنسان

كالبيت والمدرسة والمسجد،ومنهم من اهتم بالأماكن المعادية ، كالسجن والمنفى والمستشفى .

وبعضهم ذكر الأماكن بالشكل الهندسي من خلال أبعاده الخارجية كوصف غرف أو مجالس المنازل وغيرها .

وظهر من هذا التنوع تأثير المكان على الكتاب سواء كان على المستوى الشخصي أو على مستوى المجتمع .

وبهذا يكون هذا الفصل قد كشف من زوايا متعددة البناء الفني لسرد السيرة الذاتية .

ويمكن تلخيص أبرز نتائج هذه الدراسة في التالي :

- يعرف عن السيرة الذاتية بشكل عام ربط النص بكاتبه ، وهذا ما يميز فن السيرة الذاتية عن سواه من فنون السرد .

- قلة الدراسات النقدية لفن السيرة الذاتية ، ولعل السبب يرجع لندرة كتاب السير الذاتية فقد ينشغلون أو تليهيهم إصدار الروايات ، والقصص ، أو الدواوين الشعرية عن كتابة سيرهم، وإن وجد وكتب أحدهم سيرته ، فأنه يكتبها تورية في إحدى روايته .

- لم يعتمد وجود تسمية محددة للسيرة الذاتية في فترة من الفترات ، وكانت تسمى بـ (مقالة) وأحياناً بـ (الرسالة) وهي خاصة بالنخبة : القليلة والمتعلمة والمفكرة في تلك الفترة .

- اختفاء صورة المرأة أحياناً في السيرة الذاتية السعودية ، وذلك لأسباب تتعلق بشخصية الكاتب السعودي الذي يستشعر حساسية السيرة الذاتية التي تقوم على تعرية الذات ومواجهتها ، كما يقيده – أيضاً تدني سقف الحرية في الكتابة السيريه لأنها لا تعتمد على الخيال. ، ويضاف إلى ذلك ثقافة المجتمع التى تحكمه العادات ،والتقاليد مما يجعل الكاتب يتنصل من تدوين أيامه بشكل صريح ، مما يضطره – لكتابة فنون أخرى – كالرواية مثلاً ، والتي تمنحه قدراً كبيراً من الحرية .

- المرأة في السيرة الذاتية السعودية من المواضيع الجديدة التي لم تُول قدراً من الأهمية مقارنة بوجودها في الفنون السردية الأخرى من مثل الرواية والقصة .

- قضايا المرأة الاجتماعية في السيرة الذاتية السعودية تحتاج لمزيد من البحث ،والمعالجة،ولاسيما فيما يخص المعالجة الفنية ،و الموضوعية.فهي جديرة بالدراسة،والبحث.

- الدراسة بيّنت عمق الشعور عند المرأة في السيرة الذاتية السعودية ، وأبرزت عواطفها المتنوعة من خلال الشخصيات التي تمثلها كالأمومة والزوجة والأخت والابنة وغيرها .

- اسهم تعليم المرأة في الرقي بالمجتمع ، وفي أثرمحيطها الكبير والصغير ، وفي المقابل أيضاً صورت السيرة الذاتية السعودية بعض حالات الأمية عند المرأة،كالنساء المؤمنات بالخرافة والشعوذة ،والاساطير،والقصص البائدة.

كجدة الكاتب أحمد السباعي .

- ظهور المرأة الإيجابية التي تبدى في اللحظات الصعبة وفاءها لأسرتها ولأبنائها ، وأيضاً ظهور المرأة السلبية المستبدة الناكرة لتاريخ عاطفي مشترك بينها وبين أسرتها كما أظهرت السيرة الذاتية بعض الصور للمرأة الأجنبية وشخصيتها الثقافية والاجتماعية كالممرضة ، والجارية ، وابنة الجيران وغيرها .

- إن من أسباب الطلاق أو العنوسة هو عضل المرأة ، وممارسة الرجل دور الاختيار بدلاً عنها وهضمهم حقها .

- اصطبغت السيرة الذاتية بمسحة من الحزن والأسى لا تخفى وتكاد تكون محصورة بفقدان المرأة ، أو مرتبطة بها .

- شخصية المرأة في تاريخ السيرة الذاتية السعودية في الغالب تكون شخصية يقتدى بها،أي قدوة قادرة على الفعل والتأثير في كثير ممن حولها،ولها حالات أخرى تظهر بدورالمرأة الضعيفة العاجزة السلبية .

- تتميز بعض السير الذاتية بسرد متفوق لغة وموضوعاً كسيرة عزيز ضياء (حياتي مع الجوع والحب والحرب) وهي سيرة متقنة في الصياغة والبناء .

- يمثل الزمان في إحدى وجوه مستوياته بالنسبة للسيرة الذاتية أفقاً محدوداً يقرب من الواقع ،لا الخيال، فالكاتب في السيرة الذاتية لا يتجاوز زمنه، ولا يعيش في أكثر الحالات سوى الزمن المادي الواقعي .

توصيات

١ - إيجاد دراسة مناظرة لدراسة الدكتور عبد الله الحيدري في كتابة ((السيرة الذاتية في الأدب السعودي)) لإضافة المستجدات من السير الذاتية .

٢ - عمل موازنات بين ما يسمى بالسيرة الذاتية الحقيقية كما هي محددة عند بعض كتاب السير وبين الرواية التي تحمل في طياتها سيرة ذاتية .

٣ - تقديم دراسة تعنى بإيجاد تقنيات جديدة لبعض أجزاء السيرة الذاتية، لأن تقنية السيرة الذاتية قد تختلف في مناحيها ، عن السرد في القصة والرواية .

٤ - إن صورة المرأة ما زالت بحاجة إلى مزيد من البحث والتصوير لإيجاد صورة دقيقة لها في المجتمع السعودي ،و لتغيب الصورة الشوهاء عنها التى رسمت لها من خلال بعض الروايات والقصص .

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

- **آمنة يوسف**

تقنيات السرد ، ط١ ، اللاذقية : سورية ، دار الحوار ، ١٩٩٧م .

- **إبراهيم خليل**

الرواية في الأردن في ربع قرن ، ط١ ، عمان ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤م .

- **ابن منظور (محمد بن مكرم ابن منظور)**

لسان العرب ، ط١ ، بيروت ، دار صادر .

- **أبو الحسين (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين)**

مقاييس اللغة (تحقيق : عبد السلام محمد هارون) ، دار الفكر ، ١٩٧٩م .

مجمل اللغة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

- **آبادي (محمد بن يعقوب الفيروز)**

القاموس المحيط (تحقيق ، خليل مأمون شيحا ، ط٢ ، دار المعرفة ، ٢٠٠٧م .

- **أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري**

تباريح التباريح ، ط١ ، الرياض : دار الصحوة للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

- **أحمد السباعي**

أيامي ، ط١ ، جدة : تهامة ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

تاريخ مكة ، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، ط٧ ، مكة، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

سباعيات ، ط١ ، جدة : تهامة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

- **أحمد سليمان اللهيب**

صورة المرأة في شعر غازي القصيبي ، ط١ ، دمشق : دار الطليعة الجديدة ، ٢٠٠٣م .

- **أحمد عبد الغفور عطار**

بين السجن والمنفى ، ط١ ، بيروت : مؤسسة جواد للطباعة والتصوير ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

كتابي ، ط٥٠ ، مكة ، مطبعة أم القرى .

- **أحمد العدواني**

بداية النص الروائي مقاربة لآليات تشكل الدلالة ، ط١ ، الرياض : النادي الأدبي بالرياض ، ٢٠١١م .

- **أحمد علي آل مريع**

السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم ، دراسة نقدية محكمة ، ط٣ ، تونس ، دار حامد للنشر ، ٢٠١٠م .

- **أحمد قنديل**

الجبل الذي صار سهلاً ، ط١ ، جدة : تهامة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- **أحمد كمال زكي**

النقد الأدبي الحديث ، أصوله واتجاهه، ط٥٠ ، القاهرة : مؤسسة كليوبترا ، ١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ .

- **أدوار الخراط**

الحساسية الجديدة مقالات في الظاهرة القصصية ، بيروت : مؤسسة الانتشار العربي ، ٢٠٠٨م .

- **أسعد رزوق**

موسوعة علم النفس ، مراجعة عبد الله عبد الدايم ، ط٢ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩م .

- **السّيد يس**

تحليل الإجتماعي للأدب ، ط٥٠ ، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م .

- **السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)**

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، ط٤١ ، مصر ، مكتبة الحلبي ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

- **الصادق قسومة**

طرائق تحليل القصة ، ط٥ ، تونس : دار الجنوب للنشر ت.د

باطن الشخصية القصصية خلفياته وأدواته وقضاياه ، تونس ، دار الجنوب للنشر .

- **أمل التميمي**

السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر ، ط١ ، الدار البيضاء ، المغرب ، مركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٥م .

- **بثينة السيد العراقي**

أسرار في حياة المطلقات ، ط٢ ، الرياض ، دار طويق للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

- **بدرية البشر**

وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي ، دبي والرياض أنموذجان ، ط١ ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٨م .

- **بسام بركة وآخرون**

مبادئ تحليل النصوص الأدبية ، ط١ ، بيروت : مكتبة لبنان ، ٢٠٠٢م .

- **تهاني عبد الفتاح شاكر**

السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان وجبر إبراهيم وإحسان عباس ، نموذجاً ، ط١ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٢م .

- **الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد)**

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ط١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، القاهرة : دار المعارف ١٩٦٥م .

- **جابر عصفور**

زمن الرواية ، ط١ ، دمشق : دار المدى للثقافة والنشر ، ١٩٩٩م .

- **جبور عبد النور**

المعجم الأدبي ، ط٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م .

- **جورج ماي**

السيرة الذاتية ، تعريب محمد القاضي ، وعبد الله صولة ، قرطاج : بيت الحكمة ، ١٩٩٢م .

- **حسن الهويمل**

في الفكر والأدب دراسات وذكريات ، ط١ ، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- **حسن بحراوي**

بنية الشكل الروائي ، ط١ ، بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٠م .

- **حسن محمد كتبي**

هذه حياتي ، ط٢ ، جدة : دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .

- **حسن نصيف**

مذكرات طالب ، ط٣ ، جدة : نادي جدة الأدبي .

- **حميد الحميداني**

بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، ط٣ ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ٢٠٠٠م .

- **خالد حسين حسين**

شعرية المكان في الرواية الجديدة (خطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً) ط١ ، كتاب الرياض ، ٢٠٠٠م .

- **رشاد رشدي**

فن القصة القصيرة ، مصر : المكتب المصري - الحديث ١٩٨٢م .

- **رفيعة الطالعي**

الحب والجسد والحرية في النص الروائي النسوي في الخليج ، ط١ ، بيروت لبنان : مؤسسة الانتشار العربي ، ٢٠٠٥م .

- **روجر هينكل**

قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير ، ترجمة صلاح رزق ، ط١ ، دار الآداب ، ١٩٩٥م .

- **رولان برتوف ورويال أوئيلية**

عالم الرواية ، ترجمة نهاد التكرلي ، مراجعة فؤاد التكرلي ومحسن الموسوي ، ط١ ، بغداد : دار شؤون الثقافة العامة ١٩٩١م .

- **زينب العسال**

تفاعل الأنواع الأدبية في أدب لطيفة الزيات ، ط١ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣م .

- **سامي جريدي**

الرواية النسائية السعودية ، خطاب المرأة وتشكيل السرد ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الانتشار العربي ، ٢٠٠٨م .

- **سامي سويدان**

أبحاث في النص الروائي العربي ، ط١ ، بيورت : مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٦م .

- **سعيد بنكراد**

النص السردي نحو سميائيات للإيديولوجيا ، ط١ ، الرباط : دار الأمان ، ١٩٩٦م .

- **سعيد جبار**

السيري والتخييلي في الرواية المغربية ، ط١ ، الرباط ، ٢٠٠٤م .

- **سعيد يقطين**

قال الرواي ، بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٨م .

- **سلمان العودة**

طفولة قلب دون التذكر فوق النسيان ، ط١ ، الرياض : مؤسسة الإسلام اليوم للنشر ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

- **سليمان حسين**

مضمرات النص والخطاب دراسة في عالم جبرا ، إبراهيم جبرا الروائي ، دمشق ، اتحاد الكتاب .

- **شاكر النابلسي**

جماليات المكان في الرواية العربية ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٤م .

- **شوقي المعملي**

السيرة الذاتية في التراث ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

- **صلاح رزق**

أدبية النص ، ط١ ، القاهرة : دار الثقافة العربية ، ١٩٨٩م

- **صلاح عبد الغني محمد**

موسوعة المرأة المسلمة تربية الأولاد وبر الوالدين وصلة الرحم ، ط١ ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ج٦ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

- **طاهر عبد مسلم**

عبقرية الصورة والمكان ، الأردن : دار الشروق للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م .

- **طه عبد العظيم حسن**

الإرشاد النفسي ، النظرية والتطبيق ، التكنولوجيا ، ط١ ، دار الفكر ، ٢٠٠٤م .

- **عائشة الحكمي**

تعالق الرواية مع السيرة الذاتية ، الإبداع السردي السعودي أنموذجاً ، ط١ ، القاهرة : دار الثقافة للنشر ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .

- **عبد الحميد مرداد**

رحلة العمر ، ط١ ، مكة ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي .

- **عبد الرحمن السدحان**

قطرات من سحائب الذكرى ، ط١ ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

- **عبد الرحيم الكردي**

السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجاً) ، ط١ ، القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

- **عبد السلام الككلي**

الزمن الروائي ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، د.ط .

- **عبد العزيز الثنيان**

بوح الذاكرة (الجزء الأول) ، ط١ ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

بوح الذاكرة (الجزء الثاني) ، ط٢ ، الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

- **عبد العزيز الخويطر**

وسم على أديم الزمن (لمحات من الذكريات) ، (الجزء الثاني) ط٢ ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

وسم على أديم الزمن (لمحات من الذكريات) (الجزء السابع) ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

وسم على أديم الزمن (لمحات من الذكريات) (الجزء التاسع) ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

- **عبد العزيز الربيع**

ذكريات طفل وديع ، ط٢ ، مطابع الفرزدق ، ١٤٠٢هـ .

- **عبد العزيز السالم**

ذكريات مما وعته الذاكرة ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

- **عبد العزيز مشري**

مكاشفات السيف والوردة ، ط١ أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

- **عبد العزيز المهنا**

رحلتي مع الموت ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ط. د

- **عبد الفتاح أبو مدين**

حكاية الفتى مفتاح ، ط١ ، جدة : الشركة السعودية للتوزيع ، ١٤١٦هـ .

- **عبد الفتاح عثمان**

بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية) مصدر : مكتبة الشباب ١٩٨٢م .

- **عبد الكريم الجهيمان**

مذكرات وذكريات من حياتي ، ط٢ ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

- **عبد المنعم الحفني**

معجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، ط٣ ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٠م .

- **عبد اللطيف الحديدي**

الفن القصصي في ضوء النقد الأدبي الحديث ، ط١ ، دار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٥م .

- **عبد اللطيف عبد الحليم**

كتابات في النقد،ط١،القاهرة :دار المصرية اللبنانية،٢٠٠٥م

- **عبد الملك مرتاض**

في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، الكويت : عالم المعرفة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيمائية مركبة الرواية (زقاق المدق) الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٩٥م .

- **عمر أوكان**

اللغة والخطاب ، المغرب : أفريقا الشرق ، ٢٠٠١م .

- **عدنان ذريل**

اللغـة والأسلوب دراسـة ، ط٢ ، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

- **علي العمير**

أدب وأدباء ،ط٢، جدة :دار العمير للثقافة والنشر،١٤٠٥هـ،١٩٨٥م

- **عبد الله أبو داهش**

حياة في الحياة ، ط١ ، الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

- **عبد الله الحيدري**

السيرة الذاتية في الأدب السعودي ، ط٢ ، الرياض : دار طويق للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

إضاءات في أدب السيرة الذاتية بحوث ومقالات وحوارات ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

- **عبد الله مسلم الكساسبية**

تجربة سليمان القوابعة الروائية ، الأردن : دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م .

- **عبد الله مناع**

بعض الأيام بعض الليالي ، أطراف من قصة حياتي ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

- **عز الدين إسماعيل**
الأدب وفنونه ، ط٨ ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ط.د .
- **عزيز ضياء**
حياتي مع الجوع والحب والحرب ، جدة : عبد المقصود خوجة (الأعمال كاملة) ، (الجزء الخامس) ، ط.د .
- **غازي القصيبي**
حياة في الإدارة، ط١٤ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠١٠م .
سيرة شعرية ، تهامة للنشر والمكتبات ، ١٤٢٤هـ .
عقد من الحجارة ، ط١ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩١م .
- **فاتح عبد السلام**
الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية ، ط١ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٩م .
- **فاليت برنار**
النص الروائي تقنيات ومناهج ، ترجمة رشيد بنجدو ، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة ، ١٩٩٩م .
- **فريال كامل سماحة**
رسم الشخصية في روايات حنه منه ، ط١ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٩م .

- **قادة عقاق**

دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان ، دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠١م .

- **كمال سعد خليفة**

اللغة وتقنيات البناء القصصي ، ط١ ، مكة المكرمة ، مركز بحوث اللغة العربية وآدابها ، جامعة أم القرى ، ١٤٣٠هـ .

- **كوثر محمد القاضي**

شعرية السرد في القصة السعودية القصيرة ، ط١ ، الرياض : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

- **لطيفة زيتوني**

معجم مصطلحات نقد الرواية ، ط١ ، بيروت : مكتبة لبنان ، ٢٠٠٢م .

- **لطيفة المخضوب**

القص الشعري في الإبداع السعودي المعاصر ، ط١ ، الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤١٤هـ .

- **ماهر حسن فهمي**

السيرة تاريخ وفن ، ط١ ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

- **محمد الباردي**

عندما تتكلم الذات ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ط١ ، تونس: ٢٠٠٨م .

- **محمد التونجي**

المعجم المفصل في الأدب ، ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ ، ج١ .

- **محمد توفيق بلو**

حصاد الظلام ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

- **محمد حسن زيدان**

خواطر مجنحة ، ط١ ، جدة : مكتبة تهامة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان (كتاب الاثنينة ٢٤) ، ط١ ، جدة : عبد المقصود خوجة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

- **محمد الداهي**

الحقيقة الملتبسة قراءة في أشكال الكتابة عن الذات ، ط١ ، الدار البيضاء : شركة النشر والتوزيع المدارس ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

- **محمد رشيد ثابت**

روايات عبد الرحمن منيف من المظهر السير الذاتي إلى الشكل الملحمي ، تونس : مركز النشر الجامعي ، ٢٠٠٦م .

- **محمد عناني**

الأدب وفنونه ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١م .

- **محمد العوين**

صورة المرأة في القصة السعودية ، الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

قضايا المرأة السعودية من خلال السرد ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

- **محمد غنيمي هلال**

النقد الأدبي ، ط٣ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٤م .

- **محمد يوسف نجم**

القصة في الأدب العربي الحديث ، القاهرة : دار مصر للطباعة ، ١٩٥٢م .

- **محمود عمر توفيق**

أيام في المستشفى ، ط١ ، جدة : مطابع سحر ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

- **مجدي وهبة وكمال المهندس**

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ط٢ ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٢م .

معجم مصطلحات الأدب ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٤م .

- **مراد عبد الرحمن مبروك**

العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر دراسة نقدية (١٩١٤ - ١٩٨٦) ط١ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩١م .

- **منى المديهش**

لغة الرواية السعودية (دراسة نقدية) ، ط١ ، الرياض : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

- **مندولا**

الزمن والرواية ، ترجمة : بكر عباس ، مراجعه : إحسان عباس ، ط١ ، بيروت : دار صادر ، ١٩٩٧م .

- **منصور الحازمي**

فن القصة في الأدب السعودي الحديث ، ط١ ، الرياض : دار العلوم ، ١٤٠١هـ .

- **منصور نعمان نجم الديلمي**

المكان في النص المسرحي ، ط١ ، إربد : دار الكندي للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦م .

- **مها حسن القصراوي**

الزمن في الرواية العربية ، ط١ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٤م .

- **ميسرة طاهر**

التربية بالحب ، مكتبة الكتاب العربي ، ط.د .

- **ميشال بيتور**

بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة : فريد انطونيوس ، ط١ ، بيروت : الفكر الجامعي منشورات عويدات .

- **ميشل عاصي**

الفن والأدب ، ط٣ ، بيروت : مؤسسة نوفل ، ١٩٨٠م .

- **ناجي محمد الأنصاري**

التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢هـ ، دراسة تاريخية وصفية ، تحليلية ، ط١ ، القاهرة : دار المنار ، ١٤١٤هـ .

- **ناصر يعقوب**

اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (١٩٧٠ ، ٢٠٠٠) ، ط١ ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٤م .

- **نبيل راغب**

دليل الناقد الأدبي ، القاهرة ، دار غريب للطباعة ، ١٩٨١م .

- **نجاح أحمد عبد الكريم الظهار**

تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية وازدهاره في عهد الملك فهد (بمناسبة مرور عشرين عاماً على بيعة خادم الحرمين الشريفين) ، ط١ ، دار المحمدي ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م .

- **نجم عبد الله كاظم**

مشكلة الحوار في الرواية العربية ، ط١ ، إربد : عالم الكتب الحديث ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .

- **ويليك وارين**

نظرية الأدب ، ترجمة : محي الدين صبحي ، سوريا ، ١٩٧٢م .

- **ياسين بوعلي**

أزمة المرأة في المجتمع الذكوري العربي ، ط١ ، دمشق : دار الحوار للنشر ، ١٩٩٢م .

- **ياسين النصير**

إشكالية المكان في النص الأدبي ، ط١ ، بغداد : دار الشؤون العربية العامة ، ١٩٨٦م .

- **يحيى إبراهيم عبد الدايم**

الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٤م ، ١٣٩٤هـ .

الدوريات والمجلات

- **أسامة محمد البحيري :**

« تشكل الزمن السردي في السيرة الذاتية السعودية قراءة في [ذكريات طفل وديع] » مجلة علامات ، مجلد ١٧ ، ج ٦٦ ، شعبان ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م ، ص ٤٥٩ .

- **حمد السويلم**

مجلة علامات ، ١٤٢٩هـ ، ٢٠٠٨م ، ج٢ ، ص ٥٦ .

- **فايز قنطار**

« الأمومة نمو العلاقة بين الطفل والأم » عالم المعرفة سلسلة في يناير ١٩٧٨م ،

- **محمد برادة**

« التعدد اللغوي في الرواية العربية » ع ٦٩ ، خريف ١٩٩٢م ، ص ١٦٧ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة